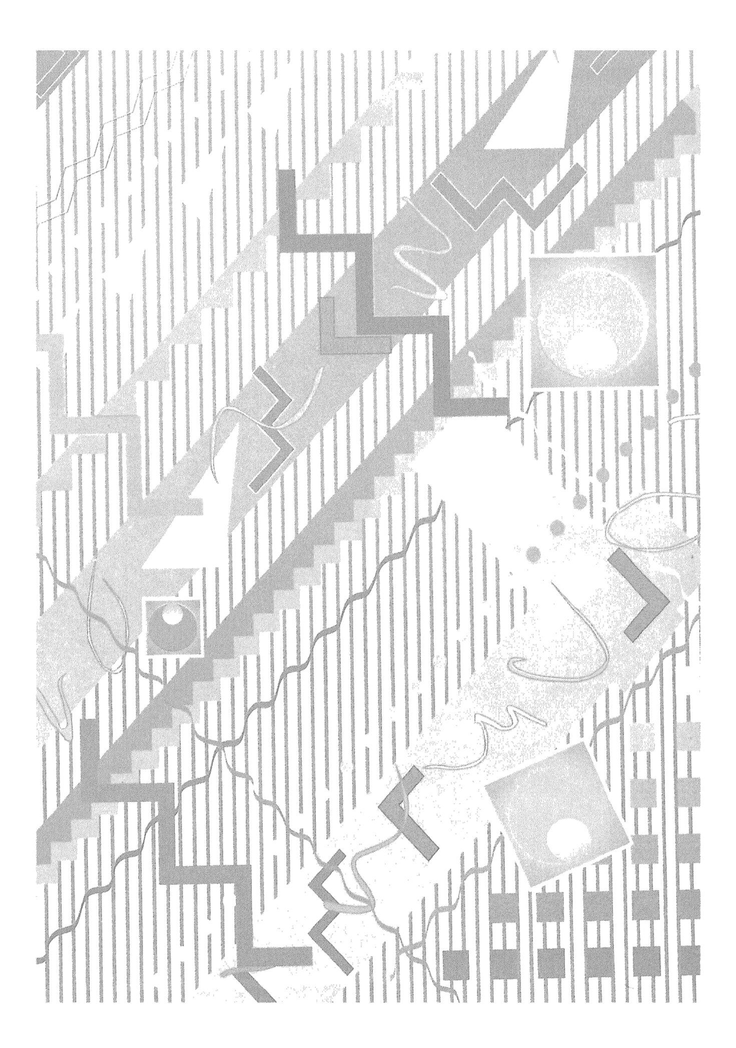
موسوعات الوافي بالمعلومات

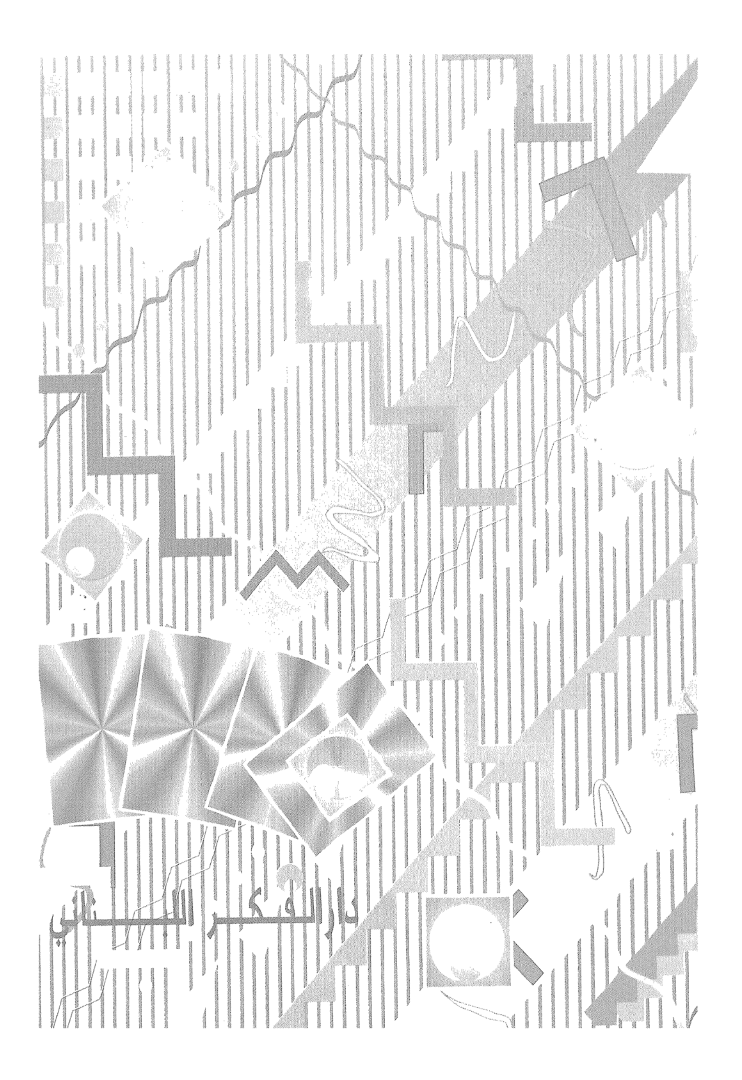
موسوعة
الأديان السماوية والوضعية
٥

دار الفكر اللبناني

الديانة اليهودية






دار الفكر اللبناني

موسوعات

الوافي بالمعلومات ١٩٩٥ - ١٩٩٦

* * * * *

الموسوعة العلمية الملونة

* موسوعة الثقافة العامة (ألف معلومة في كافة المجالات)
* موسوعة عالم الحيوان
* موسوعة عالم النبات
* موسوعة الفلك، الكون، البيئة والتلوث
* موسوعة جسم الإنسان
* موسوعة الطبيعة
* موسوعة العلوم
* موسوعة الجغرافيا
* موسوعة التاريخ
* موسوعة العباقرة والمشاهير

الموسوعات الأخرى

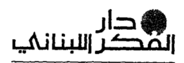
* موسوعة التعايش، اللغة، الجنس لدى الحيوانات
* الموسوعة العلمية
* موسوعة الأديان السماوية والوضعية
* موسوعة الأسماء العربية ومعانيها
* موسوعة الإملاء العربي
* موسوعة الحب والجمال والغزل
* موسوعة الاختراعات
* الموسوعة الموسيقية الشاملة
* موسوعة الشفاء دون دواء
* موسوعة الطب الشعبي

موسوعة الأديان
السماوية والوضعية

الديانة اليهودية

د ـ يوسف عيد

دار الفكر اللبناني
بيروت



للطباعة والنشر

كورنيش بشارة الخوري - بيروت - لبنان
هاتف: ٦٣٠٩٠٦ - ٦٣١٠٠٢
ص.ب: ٤٦٩٩ فاكس: ٦٣٠٧٥٧

الطبعة الأولى ١٩٩٥

الديانة اليهودية في العقيدة والتاريخ

المفهوم البدائي:

منذ أن تجاوز الإنسان مراحل تطوره ونما في الحضارة والوجود، راح يسائل نفسه عن مولده ومماته ويحاول التعرّف إلى تغيّرات الطبيعة الرتيبة والعنيفة وكيف يدور اليوم من فجر يمتد الصبح فيه حتى يصير نهاراً ويرتفع الضحى، وتحم الظهيرة ثم يأخذ صهدان الشمس يفتر حتى المغيب، ويأتي بعد ذلك القمر ثم يختفي، وهو محاط بنجوم تتلألأ.

وحاول الإنسان معرفة ما يدور في فلكه، فهذا يوم مطير وذاك يوم جهير. وهذا بحر هائج وتلك صحراء جافة. تتعاقب الفصول فتموت الطبيعة وتحيا. والريح من أين تأتي وإلى أين تذهب؟ والجبال كيف ارتفعت فكللت بعضها الثلوج، واندلعت من فوهات بعضها البراكين والنيران؟

كل شيء ماثل أمام هذا الإنسان ولم تستطع حواسّه أن تدرك مفهوم تلك القوة الخفية التي تسيّر الكون الذي هو فيه.

أمور غامضة تخفى عليه وقد سترت عنه طبائع الأشياء وأبهمت النتائج. لكنه أدرك في قرارة نفسه أن هناك قوة خفية تربط الظواهر بسلكها وتمشي بإرادتها. غير أن الرهبة كانت تستبد به فيخيل إليه أن لكل شيء مما يكتنفه ذكاء، وأن هذه الظواهر الطبيعية إنما تحدثها كائنات موفورة الفطنة تبغي بصنيعها إنجاز أغراض خاصة بها. ألا يحسب الطفل أن دميته هي ذات حياة

حين تتحرك آلياً فيتحدث إليها ويشاركها في تصرفاتها؟ هكذا الإنسان البدائي في طفولة البشرية يفكر على هذا النحو، ومن ثم مثل القوى المحيطة به يمثل ما للبشر من ذكاء وإرادة. وراح يتوهم أحياناً هيئتها، حتى سيطرت هذه العقيدة على حياته.

مفهوم الروح عند الإنسان اليهودي:

فسّر الإنسان اليهودي بعض ما يخفى عليه أمره من هذه الظاهرات بأن له روحاً لطيفاً حالاً بجسده ولكنه مستقل عنه قابل لأن يزايله في أية لحظة. وكان يقرن بين النسمة والنسمة فيرى أن «الريح» إن هي إلاّ «روح»[1] كبيرة ترضى فتكون نسيماً بليلاً ينفح أو تغضب فتكون عاصفة تلفع.

وفي مفهوم هذا الإنسان أنه إذا تراءى له في نيامه صديقه، فهو إنما رأى روح ذلك الصديق لا شخصه.

وتوهّم أيضاً أن الروح تفارق النائم بعض الوقت ثم تؤوب إليه. لذلك هو قمين بألا يوقظ فجأة لئلا تتمنّع في العودة إليه.

وتوصل بعد ذلك إلى القول: لئن كانت الروح ترتد إلى النائم إنها لحريّة أن ترتد إلى الميت، فلاحت في رأسه فكرة البعث. وراح تباعاً يعتني عناية شديدة بمدافن موتاه، فيودع في قبورهم ما قد يحتاجون إليه من آنية وطعام ومتاع. وكان يعتقد أن موطن الروح في الرأس وتبعاً فإن مخرجها عند الموت هو الأنف أو الفم في أثناء التنفس[2] كما حدث لراحيل امرأة يعقوب وقد لفظت

---

(١) وفي العربية كما في العبرية، فإن كلمتي «ريح» و «روح» صنوان. فكلمة ريح في العربية أصلها روح (بكسر الواو) لهذا تجمع على أرواح. كقول ميسون بنت بجدل الكلبية امرأة معاوية حين نقلها زوجها من البدو إلى الحضر:

بيـت تخفـق الأرواح فيـه   أحبّ إليّ من قصر منيف

(٢) من أجل هذا، كان العرب يقولون: مات فلان «حتف أنفه» أو «حتف فيه» أي مات على فراشه من دون قتل ولا ضرب.

روحها وهي تضع وليدها الأخير على طوار الطريق[1]، وعند البدائي أن العطاس أذان بأن الروح تعالج دخول الجسم أو الخروج منه، حتى إذا حضرته الثؤباء وضع يده على فمه متخذاً منها حاجزاً يحول دون خروج الروح من جسده أو دخول عدو روحي إليه.

وكان البدائي يعتقد أيضاً بأن الروح تظل في الجسم ما ظل الجسم صحيحاً متماسكاً، فإذا دبّ إليه الفساد زايلته الروح.

ومما كان يعتقد أن الروح بعد مفارقتها للجسد، تحوم حوله وقتاً، لذلك كان أهل الميت يتزيّون بلباس السواد ويعفّرون وجوههم ويحلقون شعورهم ويطيّنون رؤوسهم بالرماد لينبهم الأمر على روح الميت المتحررة من جثمانه. ويصوتون ويصرخون صراخ المذعورين ليخيفوها فترحل. وما برح اليهود حتى يومنا يغيّرون أسماء مرضاهم إذا ما بلغت بهم العلّة ليبعثوا الحيرة في الروح الشريرة. تلك هي أهم العادات التي كان يمارسها اليهود القدماء وهي لم تزل حتى أيامنا مع بعض التغيير في غير معنى لها.

وكان اليهودي الأول يعتقد بأن الروح بعد فراقها صاحبها، تبدو في هيئته، كذلك وجدت الثنائية Dualism من الروح والجسد. وقد تنقلب صورة هذه الروح إلى حيوان ما فتنشأ من جرّاء ذلك الأساطير. ويوجد اعتماد سائد عند اليهودي، أن اللحم يحتوي على مادة الروح التي ينطوي عليها الحيوان، لذلك غالى في توهمه أن الإنسان يكتسب خصائص الحيوانات التي يغتذي بلحومها، وهذا ما جعل اليهودي يحرّم على نفسه لحم الخنزير. وأن كل إنسان يقتني حيواناً يؤثر برعايته ويقرّبه منه يستحرم قتله ويرى أكل لحمه ضرباً من أكل لحم البشر. من هذا المعتقد، قد تولد مفهوم الطوطمية عند اليهود. وهي ضرب من عبادة الإنسان البدائي لحيوان أو نبات يحسب أن بينهما صلة قربى أو آصرة رحم.

---

(١) تكوين ٣٥: ١٨.

ويبدو أن عقيدة التقمّص قد استقت معالمها من الطوطمية. إذ إن لكل قبيلة قديمة حيواناً واحداً على الأقل تقدسه وتنظر إليه على أنه الروح الحارسة لها وهو منبع قوتها ومصدر الأعمال الصالحة. ومثّل الطوطم رمزاً للقبيلة وشعاراً يربط أفرادها حتى يتوهمون أنهم منحدرون من سلالة واحدة ورحم واحد.

يعدّ الطوطم شعاراً مقدساً ونجساً في وقت واحد حيث كانت تحميه شريعة الـ «تابو»[1] أي شريعة التحريم.

وظلت فكرة الإضراب عن أكل بعض الطواطم مستمرة في بعض المجتمعات.

فالبقرة مثلاً؛ هي تابو عند الهنود، والخنزير تابو عند اليهود.

وكان الحمل طوطماً لإحدى القبائل الكنعانية.

وازدادت الآراء الدينية مع الزمن تعقداً وزخرفاً حتى غدا الكاهن الملك هو المثوي الذي تحل به روح القبيلة، ولهذا كان قميناً أن يعبد إلهاً، ومن المرجّح أن الحق الإلهي قد نشأ من هذا الاعتقاد.

ومن أجل دفع الأرواح الشريرة كان البدائي يتلو الأدعية ويقيم الصلوات ويحمل الخرز والتمائم وهي شيء تثوي فيه روح صديقة صالحة ذات بأس ونشاط. فإذا حمل الإنسان غيمته «حجبت» عنه الأذى ولعل الحجاب الذي ينوطه المرء عليه في عصرنا إلا صورة متأخرة من التميمة. ولا تزال نساء كثيرات من نساء أوروبا يلبسن الميداليات والتمائم لاستدرار المعونة، ولاتقاء ما عسى أن يكون مخبوءاً لهن في عالم الغيب.

---

(١) يطلق أهل بوليزيا لفظ «تابو Tabu» على ما يحرم عليهم مسّه من الأشياء بسبب قداستها أو نجاستها. ويرى بعضهم أن يترجم هذا اللفظ بكلمة «لا مساس» من قول موسى للسامري ينتهره لصنعه العجل الذهب ﴿فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾ [طه ٩٧].

وأضفت صناعة التمائم قدسية على الذين انفردوا بصنعها. واستغل الكهان الدين لأغراضهم الخاصة وعملوا على توسيع الاعتقاد بالخرافات بين شعوبهم لتظل قابعة في غياهب الجهل فيسهل عليهم إخضاعها وخداعها. ولو أن الناس بذلوا في سبيل بعضهم ما بذلوه في سبيل آلهتهم تلك لكنّا الآن نتفيأ ظلال حضارة راقية خير من حضارتنا.

ثم ما لبث الناس أن انتقلوا من تميمة الفرد إلى تميمة الجماعة فكانت الأوثان والأصنام، وجلست الآلهة في الأصنام. فكان الفينيقيون والقرطاجيون يقدمون القرابين البشرية مثلاً للإله مُلخ (بضم الميم) وعندما حوصرت مدينة قرطاجة سنة ٣٠٧ ق. م. حرق أهلها على مذبح هذا الإله مئتي غلام من أبناء السراة. وللعرب أيضاً أوثانهم وآلهتهم كما كان لمختلف الشعوب آنذاك.

وسار العبريون بما يتصل بأوهامهم ووساوسهم الدينية على النهج الذي سارت عليه مختلف الشعائر البدائية. فبدأوا يتعاطون السحر. والتوراة حافلة بالشواهد على إيمان اليهود بالسحر. فعندما احتشدت جحافل الفلسطينيين لذود الغزاة من بني إسرائيل وطفق الكهنة يكيدون شاول ويزعمون له أن الرب حال عن مودته وكفّ عن نصرته، تلبد الجو في وجهه وأعيت عليه معالجة الخطر الخارجي والداخلي في آن، وأراد أن يستخير ربه فإذا هو قد تجمدت قريحته وتبلدت مخيلته حتى استعصى عليه أن يرى رؤيا يفسرها بما تشاء له وساوسه وأوهامه، ولم يجد بداً من الانصراف إلى الجان عوضاً عن الآلهة واللواذ بالسحرة بدلاً من الأنبياء «فقال شاول لعبيده فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان، فاذهب إليها واسألها؛ فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور. فتنكر شاول ولبس ثياباً أخرى وذهب... فقالت المرأة من أصعد لك فقال أصعد لي صموئيل. فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم. وكلمت المرأة شاول قائلة لماذا خدعتني وأنت شاول، فقال لها الملك لا تخافي فماذا رأيت. فقالت المرأة لشاول رأيت آلهة[1] يصعدون من الأرض. فقال لها ما هي

(١) استعمل الكاتب العبري هنا كلمة الوهيم خطأ وهو يريد رفاييم ومعناها أشباح الموتى، =

صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة. فعلم شاول أنه صموئيل فخرّ على وجهه إلى الأرض وسجد. فقال صموئيل لشاول لماذا أقلقتني بإصعادك إياي. فقال شاول قد ضاق بي الأمر جداً. . . فقال صموئيل ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك وقد فعل الرب نفسه كما تكلم عن يدي وقد شق المملكة من يدك وأعطاها لقريبك داود»[1].

وقد ظل السحر عالي الشأن عميق الأثر حتى القرون الوسطى. وكان الأقدمون يؤمنون أن ممارسة السحر عمل اختصت به النساء دون الرجال أو أن الغلبة لهن في ممارسته، ولهذا كانت كثيرة المتهمين بممارسته من النساء، والنساء في نظرهم مفطورات على الشر.

والساحرة في صورتها المحدثة امرأة وثيقة الصلة بالشيطان لها مقدرة على إتيان الخوارق تحلق بين آن وآخر في الهواء فيما بين الجمعة والسبت من ليالي الأسبوع ممتطية مكنسة ذات عصا، فتؤم ندوات مختلفة تتنادى فيها الساحرات فوق قنن الجبال الشاهقة لتجديد البيعة للشيطان وإظهار الولاء له. وتخرج الساحرة إلى رحلتها هذه لا جهرة من باب البيت بل خفية من ثقب المفتاح ويرقد في فراشها في أثناء غيابها شيطان من الشياطين الصغيرة الشأن متخذاً زيها. وهلم جرّاً. . . وكان يقال للزوج وهو يعلم أن زوجته لم تفارق فراشه، أن ضجيعته في تلك لم تكن حليلته حقاً، بل كانت شيطاناً يتزيا بزيّها. وكان المألوف أن يخنقوا الساحرات بأيديهم فيمتن دون أن تخرق دماؤهن ثم يحرقوا جثثهن فينبعث منها قتار كذلك الذي ينبعث من محرقات اليهود.

وقد عبد الساحر الطريق أمام الحبر اليهودي، وليس ذلك بالأمر العسير الفهم، فهما صنواه ولدا معاً وترعرعا معاً. ولبثا معاً على خرافات ما وراء

= فالذي رأته الساحرة إذاً هو شبح صموئيل (رومه) ولهذا فهو يعقب على كلامها سائلاً ما هي صورته؟

(١) صموئيل ٢٨ : ٥ ـ ١٧.

الطبيعة ويمارسان وظيفتهما بإقامة شعائر ومناسك خاصة بكل منهما، الساحر يستعين الرقي والعزائم على إخضاع القوى التي تعلوه قوة البشر وإملاء إرادته عليها، على حين يتوسل رجل الكهنوت إلى هذه القوى بدعوته إيّاها بألفاظ مهذّبة. وهذا الفرق بين الأسلوبين وليد التباين العقلي والثقافي بين الساحر ورجل الدين. وكذلك بين جمهور هذا وجمهور ذاك، وثم وفي بعض الأحيان ما يشبه أن يكون تعاوناً بين الطائفتين، إذ إن رجال الكهنوت اليهودي من يدللون على صدق مزاعمهم حول عالم ما وراء الطبيعة وخلود أرواح البشر وصدق المعجزات المنسوبة إلى أنبياء بني إسرائيل (كوقف الشمس والقمر عن الدوران) بما يروجه السحرة ومحضرو الأرواح المحدثون من الأضاليل وما يدعون إتيانه من الخوارق والأعاجيب، وكذلك بين المشعوذين من يستشهدون على صحة دعاواهم في فعل السحر ويُسخر الجان قديماً وحديثاً بما ورد في هذا المعنى في التوراة..

لذلك نشأ الدين اليهودي مشوباً بالوساوس والأوهام التي كانت تهيمن على أولئك البدو البدائيين ولم يكن في أول أمره غير أمشاج من الأساطير والوصايا أي التابوات المؤسسة على المذهب الحيوي والسحر العاطفي. وفي مناسك العبريين غير ما تقدم أمور كثيرة يعيا بها الفهم ويكل عنها النظر إلا أن يهتدى إلى جذورها في أنفاق الأساطير، ومن ذلك اتخاذ الطلاسم والعوذات استجلاباً لليمن وإناطة التمائم تحرزاً من قوى الشر، والابتهال والصلاة والجثو على الركبتين والصيام عن تناول بعض الأطعمة الخ.. الخ..

وتجدر الإشارة إلى أن كلامنا يدور على اليهودية كدين قائم في ذاته لا على اليهودية كما يراها ويفسّرها غير دين.

من هو إبراهيم:

يحدثنا الشهرستاني فيقول: «إن النور المستقر في «آدم» قد انشعب بعد وفاته إلى «إبراهيم» ثم انشعب النور نفسه شعبةً إلى «بني إسرائيل» وأخرى إلى

«إسماعيل». على المبدأ الأول تركزت «القدس»» وعلى الثاني «مكّة». وكانت تتالى الصحف، منزلةً على «إبراهيم» ومَن سبقه مِن الأنبياء».

ولد إبراهيم بمدينة «أُور» الكلدانية، ورزق ولداً أسماه «إسحاق» ثم رزق ولداً أسماه «يعقوب» أو «إسرائيل» ومنه خرجت وتكاثرت هذه الطائفة. يذكر «سفر التكوين» أن أبناء «إسرائيل» كانوا يعدون إثني عشر صبياً، وكان لكل منهم قبيلته. كلهم سعدوا بتكاثر النسل، على حد تعبير الأسطورة. وليس من مستند غير هذا السفر، فيما إذا كانت القبائل الإسرائيلية الإثنتا عشرة، هي من سبط واحد، معاده يعقوب أو «إسرائيل»، أو هي وليدة الخيال والأغراض، كما هي حال كل أسطورة، يصبح هذا أول لَبسٍ في تاريخ إسرائيل، نظراً لما يولونه من تقدير للعِرقيَّة العنصرية وما يزالون. وقد أوجز تاريخ العالم رسالة إبراهيم بقوله:

«إن عبادة إبراهيم هي عبادة شعب مدينة (أُور Our). ألَّه جماعته القمر وأسموه (التيراه Térah) وكان الإلهُ (نانار Nanar) الأقوى لديهم. وإن جذور هذه الديانة معادها (السومرية). وتاريخ مغادرة إبراهيم للمدينة كان في حوالى ١٩٢٠ ق. م وفي كلام للكتاب القديم يقول: «يا إبراهيم أنا ألوهيم (إله الآلهة) أرغب في إقامة صلة وتقى بيننا معاً، شرط أن تعترف بي إلهاً أنت ونسلك».

اليهود ومعتقداتهم:

اليهود ساميّون نشأوا عند الحدود الشمالية للصحراء العربية، وعاشوا حياة البدو الرحّل طوال قرون على غرار عدد من القبائل الأخرى. وقبل أن يصلوا إلى التوحيد، ألَّهوا قوى الطبيعة في عالمهم الصحراوي، خصوصاً تلك التي تظهر على قمم الجبال وفي الواحات. فالينابيع والسواقي والأشجار مليئة بالأرواح الخيّرة. وهناك أرواح شريرة كما سبق ورأينا في تقديمنا للبشرية ومعتقداتها، ومنها العواصف الرملية العاتية. ومن وحوش الغاب كانت الأفعى موضوع تقديس أيضاً.

وظن العبرانيون أنها مليئة بالأرواح النارية التي سموها السيرافيم، أي الكائنات المشتعلة. وأطلقوا عبارة «إيل» (el) الشائعة بين الشعوب الساميّة، وجمعها إيليم أو إيلوهيم، على كل الأرواح التي تتمتع بقدرة تفوق قدرة البشر. ومن أسماء الآلهة عند الساميين أدونيس ومعناه الرب، ومَلَك الذي يعني الملِك، ورَبّ ويعني السيّد. وهذا يشير إلى أن الساميين نظروا إلى علاقتهم مع الآلهة كعلاقة شخصية. فالإله هو السيد أو الرب وهم العبيد أو الخدام، وهو الملك وهم الرعية. وربما كان للصحراء أثر إلغاء الطبيعة من المشهد وإيقاف الإنسان في وضع مباشر مع الله.

وكانت القبيلة تختار آلهتها وتقيم عهداً معها ملزماً للطرفين. ومنذ البداية كان لدى العبرانيين حس بهذا «الاختيار»، يتجلى في حال إبراهيم الذي عاش نحو العام ١٩٠٠ قبل الميلاد في أُور الكلدانية قبل انتقال قبيلته إلى حاران على الفرات أيضاً. وهناك تبنّى إبراهيم الإله المحلي الذي يدعى إيل شَدّاي، أي إله جبل شدّاي. وكان، في نظره، يفوق الأرواح التي آمن بها قومه ومثّلوها بالتيرافيم، وهي تماثيل كانت العائلات تحتفظ بها لاستخدامها في العبادة. ولم تطل إقامة إبراهيم في حاران، بل قاد قبيلته البدوية جنوباً، بناء على نصيحة إيل شدّاي، سعياً إلى مراع أكثر خضرةً وأمناً، هي أرض كنعان. وفي الوقت نفسه كانت جماعة ساميّة أخرى، دعاها المصريون «الهكسوس»، تنزح إلى مصر في اتجاه النيل. وتذهب التقاليد إلى وصف إبراهيم بـ «الخليل»، أي حبيب الله، لأنه وضع إيمانه وثقته في وعد الإله. وبعد وفاة إبراهيم، انتقلت زعامة القبيلة إلى ابنه إسحٰق ثم إلى حفيده يعقوب. وكان أن حلّت مجاعة بأرض كنعان، فنزح أحفاد إبراهيم إلى مصر، بلد زوجته سارة. هناك لقوا معاملة حسنة من الهكسوس الذين حكموا مصر بين ١٧٥٠ و ١٥٨٠ قبل الميلاد واعتبروهم حلفاء. وسارت الأمور حسناً إلى أن ثار المصريون على الهكسوس وطردوهم من أرضهم، واستعادوا السيطرة على شرق البحر المتوسط. ولم يشمل الطرد الإسرائيليين، بل ظلوا على حالهم نحو مئة وخمسين سنة، إلى أن اعتلى عرش مصر الفرعون رعمسيس الثاني. هذا وضع لنفسه أهدافاً عمرانية جبارة، يحتاج

تنفيذها إلى قوة بشرية هائلة. وأدار الفرعون نظره إلى الحدود الشمالية الشرقية، وقرر تسخير الإسرائيليين في تلك الأعمال. هكذا صاروا عبيداً للمصريين الذين بدا تفوقهم دليلاً على تفوق آلهتهم. ورأى الإسرائيليون أن لا شيء يمكن أن ينقذهم من تلك العبودية سوى كارثة تحل بمصر أو ظهور قائد بينهم ينقذهم من محنتهم. وهنا يأتي دور موسى.

موسى ودوره:

«كلمة موسى تعني: الناجي واسمه السابق: (هوزارسيف) وأن سفر التكوين هو ينبوع الأسرار والعلوم الروحانية سابقاً ولاحقاً. وكشف الحقائق قد انبثق منذ انبثاق الوعي الإنساني في إيران ومصر والهند. ذلك الكشف هو الأفكار الأصيلة للعقيدة الباطنية في كل زمان ومكان». «وقد قُيِّض لموسى أن يلتقي في صحراء سيناء بذلك الحكيم الذائع الشهرة «شُعيب» وشعيب هذا كان مختزن العلوم منذ القدم، وذا ذاكرة متوقدة جمعت كنوز المعارف».

بعدها ساءت حال الإسرائيليين في مصر، واتَّهمهم بعض المؤرخين بإثارة الفتن، وبثّ الجراثيم في مياه الشرب، ونشر البعوض ناقل الجراثيم، لأغراض سياسية. كان في هذه الأثناء مولد (موسى وشُعيب Hobab)، فحاكت المراجع الدينية بمولده وطفولته روايةً مغزاها: لتفاقم أخطار إسرائيل على مصر أوعز العرّافون للملك (منفتاح بن رعمسيس) الكبير، أن يقتل كل مولود جديد لهم. بين هؤلاء المواليد موسى. حرصاً على سلامته وضعته أمه في سلة وألقته في النيل، فتقاذف السلة حتى ظفرت بها زوجة الملك. فربت الطفل وحين نشأ تعرّف إلى أهله. كيف؟؟ على ذمة الرواية.

شبّ موسى وتفاقمتْ بزمانه الاضطهادات فاضطرَّ أن يقتل مصرياً، فطُرد وهرب مع بعض عشيرته الواثقين به إلى شاطىء خليج (العقبة) على البحر الأحمر، حيث تزوج من ابنة شُعَيب، كاهن المِدْيانيين. اتصل بالراهب شعيب واستمدّ منه بعض الأنوار السماوية. على أن القرآن الكريم يلمح إلى اقترانه بابنة شعيب نفسه. بعدئذ تابع موسى طريقهُ عَبر «صحراء التيه» فرأى ناراً في

عوسجة، وصوتاً يناديه يا موسى إنني أنا ربّ العالمين. فارتدَّ لمصر، وجمع سائر عشيرته ليعود بعدها إلى فلسطين أرض ميعاده. كان مضطهداً وملاحقاً في عودته. على شاطىء البحر الأحمر، ضرب بعصاه المياه فانشطرت فمرَّ مع ركبه. ومضطهدوهُ ابتَلَعهُم البحر. (سفر الخروج). وجاءت موسى الوصايا العشر المعروفة مبنية على أسس أخلاقية اجتماعية وتوحيديَّة. محفورة على لوح من حجر، فيما احتوى لوح آخر قوانين مفصلة تحدد أصول الحياة اليومية والمعاملات بين الناس وما لا يجوز أكله، وتعهّد «يهوه» بأن يحمي العبرانيين إذا هم خدموه.

الوصايا العشر:

تلك الوصايا الأخلاقية التي أملاها الله تعالى على موسى جاءت في الصيغة التالية: لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة... لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً. اذكر يوم السبت لتقدسه... لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع. أكرم أباك وأُمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك إياها الرب إلهك. لا تقتل. لا تَزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشتهِ بيت قريبك... ولا شيئاً مما لقريبك» (خروج ٢٠ : ٢ ـ ١٧).

ومرة صعد موسى إلى الجبل حيث أمضى أربعين يوماً في حوار مع الله. وإذ وجد قومه ذلك الوقت طويلاً، طلبوا إلى هارون أخ موسى، الذي كان قائدهم في مصر، أن يصنع لهم عجلاً ذهبياً من حليّهم. ولما عاد موسى وجدهم يعبدون العجل ويرقصون حوله. فاغتاظ وكسر لوحي الوصايا بحجة أن شعبه لا يستحق ذلك العهد مع الله، وحطم التمثال وأحرقه حتى استحال رماداً، وأرغمهم على شربه بعد إذابته بالماء، ووقف يوبخهم على نكث العهد مع الله. وبرر هارون فعلته بقوله لموسى إن الناس حملوه على ذلك. وهذا النوع من الانحراف عن التوحيد نراه كثيراً في تاريخ العبرانيين اللاحق.

وصعد موسى من جديد إلى الجبل، معتذراً أمام يهوه. ولما عاد إلى السفح وعد شعبه، بعدما أعاد إليه الثقة بإلهه، أن يقوده إلى بلاد كنعان، «أرض الميعاد». وكان اليهود بدواً لا يملكون أرضاً، لكنهم تذكروا أن إبراهيم عاش يوماً على تخوم كنعان. وراقهم ذلك الوعد. وعندما أطلقوا أعنّة الرحيل واجهتهم مشكلة جديدة: أين يمكن أن يخاطبهم الله إذا ابتعدوا عن الجبل؟ وكان الجواب تأمين مكان يجتمع فيه الله مع شعبه،وهو خيمة اجتماع صار العبرانيون يحملونها كيفما ارتحلوا. وهي أساس المجمع الذي نشأ لاحقاً. ووسط الصمت داخل الخيمة، كان موسى يصغي إلى يهوه وهو يكلمه. من هنا اكتسب موسى لقب «الكليم» أو كليم الله. وقُصر استعمال الخيمة على تلك الغاية المقدسة، ولم يكن ينصبها سوى قوم من اللاويين الذين أتى الكهنة منهم.

وفي مسألة اختفاء موسى وموته يقول الشهرستاني: «في مستهل الطريق بينما كان الشعب اليهودي يتخبط في التيه، جائعاً عارياً ومشرداً، نفختْ في رأسه فكرة الصراع بين حق وباطل، وتزويرٍ لحقائق إلهية خفيت عن العامة... تلك الملابسَات جعلت اليهود شِيعاً. من هذه الشيع جماعة اتهمت موسى بقتل أخيه «هارون»، لأن هذا الأخ كان محبوباً من القبائل وخطيباً مفوَّهاً. حاول فضح مخططات أخيه موسى. فاعتقد بعضهم بأنه اختفى وسيعود. وقائلون: مات وسينبعث لينقذ جماعته. «الملل والنِحل».

انتهى موسى في الصحراء، وخلفه «يوشع» الجبار واستمر ضياع بني إسرائيل مدة أربعين عاماً قيل أنهم ظفروا «بالمنّ والسلوى» سَداً لرمقهم. أما اتباع موسى فكانوا يتَّقون اسم يهوه إجلالاً له مكتفين بالإشارة إليه. ويعتقد اليهود بأن يهوه هو الذي دفن موسى في «موآب».

أخيراً وصل التائهون أرض ميعادهم، وركز يوشع في حنكته وجبروته وطغيانه سلطان مملكته تدريجاً في بَرِّ كنعان جنوباً فشمالاً. وكان بعده الملك داود، وكان ابنه سليمان الحكيم، وتلاهما احتلال السامرة. ثم نهب وتدمير

هيكل القدس. عام (٥٨٦ ق. م) من قبل جنود (نبوخذ نصر). عقب ذلك نُفي الإسرائيليّونَ إلى بابل، متمسكين بعقيدتهم الأم «بيت يهوه» معتبرين نكبتهم عقوبةً لهم على عصيانهم شريعة موسى.

ومع الوقت تكونت الطقوس لدى العبرانيين. حتى أن قبل خروجهم من مصر بدأوا يكرسون يوم السبت من كل أسبوع على اسم الرب، ثم وجدوا فيه رمزاً لليوم الذي استراح فيه الله من أعماله في خلق العالم.

إلاّ أن بعض المصادر تورد حكاية الوصايا العشر على الألواح بما يناقض الخبر الذي أوردناه. ومختصر الحكاية كما يراها البروفسور (دياكونوف، Diakonof) ما يلي: «لا حقيقة لوجود موسى، إنه نتيجة تخيلات الإسرائيليين، وتلك النار، لا صحة تاريخية لها قط، وتقديس الأفعى لأنها تعيش في عالم الموتى، وحيث تنبت المزروعات كافة. إسمها في التكوين (ناهاش، Nahash) أما خرافة قصة موسى، فقد نبعت بعد خمسة قرون من خروج إسرائيل من مصر، لأن سفر التكوين لم يُعرف قبل تلك الفترة بأمد طويل.

لكن المؤرخ (أدوار شوار Ed. schuré) يسهب في الأدلة على وجود موسى، معتبراً إياه أحد كبار العرفانيين وهذا ما نقتطفه عنه:

«في تلك المسيرة الطويلة الزاخرة بالبشر والماشية، وقف موسى يقاضي الناس بشيء من العنف. إذا بالحكيم الخطير «شعيب» يهيب به باسم الإله الأحد لكي يقدم لقومه النصائح، ويزيح غلواءه ويأمرهم بأن ينتخبوا من بينهم الرجال المزوّدين بالفضائل، والرافضين لكل ربح مادي غير شريف، ويهديهم الطريق الآمن، وما يقتضيه عمله. ويعرفهم بالله الأحد، وينظمهم فرقاً، يرأس كلاً منها ذلك المنتخب صاحب الفضائل وتقوى الله. كان كلام شعيب كأنّه وحي منزل، استقبله موسى بالرضى والقبول. ثم قاد القوافل متوغلاً في الصحراء. بعد فترة زمنية وقف طالباً من شعبه السهر والصوم ريثما يعود من الجبل حاملاً الشريعة منقوشةً على صفيحة من الحجر. إنصاع لأمره القومِ وانطلق، لكنه لم يعد إذْ

كان منافسوه كثر، وكانوا يؤمنون بـ (استاروت) منقذا لا بموسى. وهكذا قيل: إن بني إسرائيل خانوا إلههم فلْتُبدِّدهم الرياح الأربع. وقيل أنه أسلم الروح بين أهله».

وقبل أن يخبو ذلك النور كان موسى قد وضع بين أيدي أتباعه أمانة مقدسة هي تابوت العهد. نقل تصميمه عن الهياكل المصرية التابعة للإله أوزيرس.

لهذا التابوت أربعة أجنحة مذهبة بشكل «أبي الهول»، تشبه الحيوانات الرمزية الأربعة التي أشار إليها النبي حزقيال أحدها ذو رأس أسد، والثاني رأس ثور، والثالث رأس نسر، والرابع رأس إنسان، مشخّصة فيها العناصر الطبيعية الأربعة: تراب وماء وهواء ونار. وضمن التابوت سفر باراشيت Bereshit باللغة الهيروغليفية وعصا موسى السحرية، وكتاب العهد أو كتاب الشريعة.

وبعد أربعين سنة في القفر، شعر العبرانيون الذين خرجوا من مصر بالقوة الكافية لغزو أرض كنعان. ونقرأ قصة ذلك الغزو الدامي في سفرَي يَشوع والقضاة في الكتاب المقدس، حيث صوِّر يهوه كإله حربٍ أجازَ قتل الكنعانيين من غير شفقة. وكان موسى قد مات قبل تلك الأحداث، فخلفه يَشوع الذي قاد المحاربين عبر نهر الأردن. وكانت معركة أريحا أقسى المعارك. والواقع أن غزو تلك البلاد استغرق طويلاً ولم يكن بالأمر السهل. فالكنعانيون كانوا قد أقاموا جدراناً قوية مرتفعة حول مدنهم وقراهم، وكانوا يملكون عربات وأسلحة ليس لبني إسرائيل مثلها. وقاومت أورشليم وبقية المدن المجاورة، التي تقوم على تلة مرتفعة يسكنها اليبوسيون، غزو العبرانيين طوال قرنين. وأبدى الفلسطينيون مقاومة مريرة. وانتحر الملك شاول حين هزموه على جبل جلباع. لكن خَلَفه داود قضى على شوكتهم، ثم استولى على مدينة أورشليم وجعلها عاصمة له. وصمم بناء هيكل يوضع فيه «تابوت العهد» الذي يحمل الوصايا. إلا أن داود لم يعمر كي ينفذ خطته، فأكملها ابنه سليمان.

ينوه الكهنة بالوصايا العشر ويحفونها بهالة من القدسية زاعمين أنها أول

شريعة أخرجت للناس وأنها أس الفضائل، وهو زعم لا ينهض على أساس من العلم ولا يدعمه سند من التاريخ، فقد سبق المصريون العبريين في سن التشريعات ورعاية الآداب وكذلك سبقتهم شعوب قديمة أخرى.

وقد أسفر التحليل العلمي لهذه الوصايا عن:

١ ـ إنها خاصة بمن يسمونهم شعب الله المختار وحدهم، وهذا واضح من مقدمتها: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية». (خروج ٢٠ : ٢).

٢ ـ إنها تفتقر إلى الوضوح والتحديد، فالوصية السادسة ـ مثلاً ـ «لا تقتل» لا تبين لنا هل هي تحرم قتل الإنسان وحده أو قتل الحيوان أيضاً؟ وهل هذا التحريم يشمل القتل دفاعاً عن النفس من شرة إنسان أو ضراوة حيوان؟ وهل هي تحرم قتل الحيوان للاغتذاء بلحمه؟ وهل هي تحرم على الجلاد إنفاذ حكم القتل في المحكوم عليهم به؟

والوصية الثامنة «لا تسرق» ليس من الواضح هل هي خاصة بسرقة الممتلكات المادية وحدها أو هي تنطبق كذلك على من يسرق من أحد أصدقائه خطيبته وعلى من يستولي على دراجة غيره ليتنزه بها ساعة ثم يعيدها مكانها؟ وهل هي تنطبق على تزوير الصكوك وتزييف النقود وهما أمران لم يكن للناس بهما عهد في العصر الجاهلي إبان ظهور التوراة؟

٣ ـ إنها تناقض أمور أخرى أوصى بها «العهد القديم». فمن ذلك أنها تنهي عن القتل على حين أن موسى أمر بالقتل الجماعي دون رحمة وبلا تمييز بين الرجال والنساء والأطفال. فقد حدث أنه أرسل جيشه لإبادة شعب مدين، فأعمل الجيش سيوفه في رقاب الرجال ثم أشعل النيران في مساكنهم فذهبت ربوعهم وقراهم طعمة للحريق، وأقفل الجيش راجعاً يدق طبول النصر معتزاً بما جلب من السبايا وما غنم من الماشية وما نهب من المتاع، وعل قواده أنفسهم بما سيلقاهم به موسى من الحفاوة والبشر، فإذا بكليم الله قد تمعر وجهه وصب

عليهم جام[1] غضبه معرباً عن فرط سخطه لأنهم استحيوا النساء والأطفال وما كان ينبغي لهم، وأمرهم أن يبادروا فيستأصلوا شأفة الأسرى جميعاً لا يستبقون منهم إلا العذارى. «فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها». (عدد ٣١: ١٧).

ومن ذلك أيضاً أنها تنهى عن السرقة على حين أن موسى حرض بني إسرائيل على أن يسرقوا المصريين قبل أن يبرحوا بلادهم. «فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين». (خروج ٤٣: ٢١ ـ ٢٢).

٤ ـ ولم يكن المقصود بها هو الحث على الفضيلة والنهي عن الرذيلة على حسب المعنى المفهوم في هذه الأيام، بل كان للتحذير من بعض أمور يعتقد أنها تولد أخطاراً جسيمة وتعقب نتائج وخيمة لا يقتصر أذاها على الذين ظلموا منهم خاصة بل يعم الجماعة كلها إذ هي متضامنة في السراء والضراء[2].

لهذا جاءت أغلب الوصايا العشر في صيغة النفي، فهي لا تقول: كن سالماً، كن نزيهاً، كن عفيفاً، بل تقول: لا تقتل. لا تسرق. لا تزن. لا تشهد على قريبك شهادة زور[3].

(١) الجام: إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها، وهي مؤنثة وقد غلب استعمالها في قدح الشراب.

(٢) ولهذا عوقب الشعب المصري جميعاً وقتل أبكاره ـ فيما يزعمون ـ عن بكرة أبيهم لأن فرعون نفسه لم يزمن برسالة موسى، وعوقب الشعب اليهودي بأن تخرم الموت من أبنائه سبعين ألف رجل حصدهم الوباء لأن الملك داود أحصى فتيان الشعب القادرين على حمل السلاح، وعوقب أهل الأرض طراً بالطوفان لأن قرية نوح أنكرت نبوته وسخرت بمزاعمه.

ومما كان يحفظ على العبريين تضامنهم أنهم كانوا يعدون أهل الأمم الأخرى «تابو» لا يحق لهم المشاركة في شهود الشعائر الدينية اليهودية كالاقتراب من المسكن المقدس وأكل الخبز المقدس بين يدي الرب وحرق البخور أمامه.

(٣) وعند علماء التربية وعلم النفس أن تكرار النهي عن إتيان أمر ما يضعف المقدرة على =

ويتضح مما تقدم أن هذه الوصايا بنيت على أوهام العبريين القدماء ووساوسهم المؤسسة على المذهب الحيوي والسحر العاطفي وأن غايتها القصوى هي توكيد سريان بعض التابوات التي فرضت عليهم منذ أقدم عصور جاهليتهم وتجنيبهم عقبى اللعنات الفتاكة التي هي قمينة أن تعصف بهم إذا انتهكت تلك التابوات.

ولعلّ الذي أثبتناه فيما يتصل بالوصايا العشر يصدق كذلك على «العهد القديم» كله، فهو سجل لإيمان العبريين بالسحر يبين عن قصور معارفهم، لا فيما استحدث بعدهم من المعلومات فحسب (كدوران الأرض ونظام كوبرنكس وقوانين كبلر وجاذبية الثقل وعدم قابلية المادة لأن تستحدث وأن تفنى)، بل كذلك في الأمور التي كان يعرفها معاصروهم وأسلاف معاصريهم من الشعوب العريقة في الحضارة والمدنية. فقد كان الصينيون ـ مثلاً ـ يفقهون الشيء الكثير من سبح الأجرام السماوية في مسالكها وكانوا يحسبون أجال الكسوف والخسوف حتى لقد حاكموا في سنة ٢١٦٩ ق. م عالمان فلكيان يدعيان «هو» و «هي» لأنهما غفلا عن تنبيه القوم مقدماً إلى كسوف للشمس كان وشيك الوقوع.

لم يكن العبريون في زمن «العهد القديم» إلا ألفافاً من أشباه الإنسان لا يحسنون غير السلب والنهب. وقد لبثوا إلى نهاية دويلتيهم الهزيلتين وهدم بيت المقدس سنة ٧٠ م مرتطمين في حماة الجهالة. ومن اليسير علينا أن نستخلص من العهد القديم بياناً بطائفة من المعلومات لم ترق إلى معرفتها أذهانهم، فكان جهلهم بها مبعث أخطاء جسام تفشت بذلك الكتاب. ويمكننا القول بوجه عام أن أولئك العبريين لم يكونوا قادرين على تصور الأبعاد الشاسعة سواء ما يتصل بالزمان والمكان. لقد كانوا على غير بصر بأن الكائنات الحية تعمر الأرض منذ مئات الملايين من السنين، ولهذا زعموا أن الكون خلق سنة ٤٠٠٤ ق. م، ولم يدر في أخلادهم أن النجم المسمى بالشعري اليمانية Sirus يكبر عن شمسنا في

= مقاومة إغرائه بل هو يكاد يوحي بارتكابه.

الجرم ٢٦٨٨ ضعفاً وأن النجم القطبي الذي يهتدي به الملاحون والسارون في الصحراء يبعد عنا ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٢٩٢ ميل وأن الضوء النافذ الذي يتأدى إلينا من بعض النجوم بسرعة ٠٠٠,٨٥ ميل في الثانية، يقطع ما بيننا وبينها في ٠٠٠,٠٠٠,٥ سنة، فالحياة في وهمهم غير موغلة في القدم، والأرض في ظنهم تشمل الشرق الأوسط وما يصاقبه[1] من الأصقاع ليس غير، والكون عندهم يتألف من شيئين متقابلين متكافئين هما السموات والأرض. «في البدء خلق الله السموات والأرض». (تكوين ٠١ : ١).

وهم يرون الشقة بينهما غير شاسعة، أما ما يسمونه «الجلد» ويسميه العرب «الرقيع» أي قبة السماء فهو في حسبانهم جسم صلب أشبه شيء بلوح من زجاج يعلو علينا مئات من الأمتار وهو مرفوع على عمد. «أسس السماء ارتعدت وارتجفت لأنه غضب». (٢ صموئيل ٢٢ : ٨).

«أعمدة السماء ترتعد وترتاع من زجره». (أيوب ٢٦ : ١١).

وهذا الجسم الصلب مرصع من باطنه بأجرام سماوية مضيئة على النحو الذي نرى به المصابيح والثريات في السقوف والجدران.

وبما أن الشمس والقمر في حسابهم لا يزيدان في الحجم كثيراً على المقدار الذي يبدوان به فقد كان من الهين اليسير على نبي مثل يشوع بن نون أن يعبث بهما. «حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الأموريين أمام بني إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل. يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر[2] فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل»[3]. (يشوع ١ : ١٢ ـ ١٤).

---

(١) صاقبه: قاربه وواجهه، يقال جارٌ مصاقب.

(٢) لا وجود لهذا السفر في الوقت الراهن.

(٣) وقد حاول بعض المحدثين الغير على الدين أن يلطفوا من غرابة هذه الحادثة بالبحث لها =

لقد كان مؤلف هذا السفر جاهلاً بأصول الفلك كما كان جاهلاً بمشاعر الرحمة: كان يجهل أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، وأن ما يبدو وقوفاً للشمس والقمر لو صح أنه حدث ما كان إلا وقوفاً للأرض عن الدوران حول محورها وهو أمر لو تحققت لأعقبت فجاءته حرارة صاعقة، وهكذا يستهان بإفساد نواميس الكون كيما يتسنى لقبيلة من الهمج أن تنتصر على قبيلة أخرى في ذلك اليوم نفسه بدلاً من إرجاءِ الانتصار إلى اليوم التالي[1].

ولم يكن العبث بنواميس الكون يقف في مخيلة هؤلاء القوم عند حد، فقد طالعونا بمعجزة أخرى أعقبت معجزة يشوع بثمانية قرون وبزتها في روعتها، فقد ابتلى حزقيا بن آحاز ملك يهوذا بالقروح فجأر إلى إلهه بالدعاء فاستجاب له يهوه. وأراد النبي الذي يعاصره، أشعيا بن آموس، أن يطمئن ذلك الملك بأنه سيبرأ من قروحه فأظهره على ما أوحي إليه. «قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. هأنذا أشفيك. في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب: وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة». (٢ ملوك ٢٠: ٥ ـ ٦).

ولم يقنع الملك بكلام النبي وطلب برهاناً على صحة نبوءته فاجترح النبي معجزته الباهرة، وفيها لم يكتف بوقف الأرض عن الدوران، بل تمادى فركسه فانقلبت تدور في الاتجاه العكسي[2].

= عن عوامل وأسباب طبيعية فإذا هم قد زادوها شذوذاً، فقد زعموا أن حركة الأرض لم ينلها الخلل والاضطراب ولكن أشعة الشمس انكسرت واستطالت لأسباب تتصل بانعكاس الضوء فبدت يوماً كاملاً كأنها في كبد السماء. ولو حدث ذلك لبدا كأن الشمس قد ظلت تشرق ٣٦ ساعة متصلة هي ١٢ ساعة للنهار الأصلي و ١٢ ساعة للنهار الظاهري الناجم عن انسكار الأشعة و ١٢ ساعة للنهار الحقيقي التالي، ولوجب على المتحاربين من الفريقين أن يظلوا يتصاولون ويتجاولون في حومة الوغي ٣٦ ساعة متوالية.

(١) وفي آداب الإغريق مثيل لذلك نجده في الفصل ٢٣ من إلياذة هوميروس، فإن الآلهة هيرا Hera أرادت أن تنقذ «الأخائيين» من الهزيمة التي أوشكت أن تحيق بهم فأمرت الشمس بالمغيب.

(٢) والطريف في الأمر أن تلك المعجزة حدثت بعد أن أبل الملك من علته، ولهذا ورد نبأ =

كان العبريون يذهبون إلى أن الله يقيم فوق الجلد متوارياً في الظلام. «حينئذ تكلم سليمان. قال الرب إنه يسكن في الضباب»[1]. (١ ملوك ٨: ١٢).

«وجعل الظلمة ستره حول مظلته ضباب المياه وظلام الغمام». (مزمور ١٨: ١١).

وأنه كان ينزل بين الحين والحين من فوق الجلد إلى الأرض لبعض شأنه ثم يعود أدراجه. «فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها». (تكوين ١١: ٥).

وأنه كان يقيم معه فوق الجلد أبناؤه، أولئك الذين هبطوا الأرض فراقتهم بنات الناس وخلبن ألبابهم فتزوجوا بعضهن ورزقوا منهن أولاداً يمتازون ببسطة الجسم ووفرة القوة وشدة النهم. «وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم». (تكوين ٦: ٤).

وأنه كانت تقيم معه الملائكة أيضاً وتنتقل جيئة وذهاباً بين الأرض والسماء، وذلك ما شاهده يعقوب في رؤيا له. «وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء. وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب». (تكوين ٢٨: ١٢ ـ ١٣).

«فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم

= ذلك الأبلال في الآية السابعة من الإصحاح العشرين من سفر الملوك الثاني. «فقال أشعياء خذوا قرص تين، فأخذوها ووضعوها على الدبل فبرىء». (٢ ملوك ٢٠: ٧).

على حين ورد نبأ المعجزة الباهرة بعد ذلك في الآية الحادية عشرة من ذلك الإصحاح. «فدعا أشعياء النبي الرب فأرجع الظل بالدرجات التي نزل بها بدرجات آحاز عشر درجات إلى الوراء». (٢ ملوك ٢٠: ١١).

(١) وصواب الترجمة هو: يسكن في الظلام الكثيف.

أعلم. وخاف وقال ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء». (تكوين ٢٨ : ١٦ ـ ١٧).

وأنه كان يقيم معه كذلك بعض المقربين إليه من البشر: منهم أخنوخ المعروف عند العرب باسم إدريس. «وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه». (تكوين ٥: ٢٤).

ومنهم إيليا التشبي، المعروف باسم الياس، وقد كان يسير ذات مرة هو وتابعه اليشع. «وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما. فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء[١]». (٢ ملوك ٢ : ١١).

وأنى لأولئك العبريين الجهلاء أن يعلموا أنه لو صعد امرؤ بجسده في السماء لهرأه البرد فمات خصراً[٢] ولما يقطع من الطريق شوطاً طويلاً، وناهيك افتقاره إلى التنفس والاغتذاء.

وفي وهمهم أن الأرض كانت أول أمرها لا شكل لها «وكانت الأرض خربة». (تكوين ١ : ٢).

وصواب الترجمة: وكانت الأرض بلا شكل أما كيف يكون جرم ما بغير شكل فأمر يدق على الأفهام، بيد أن الأرض لم تبق طويلاً على هذا اللاشكل، فسرعان ما أصبحت ذات تربيع «وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربعة

---

(١) وقد أضاف إليهما المسيحيون ربهم يسوع «ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله». (مرقس ١٦ : ١٩).

ويضيف الكاثوليك إليهم السيدة مريم البتول (أي العذراء المنقطعة عن الزواج إلى الله) وقد منَّ الله عليها بأبناء وبنات كثيرين. «أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان. أوَ ليست أخواته ههنا عندنا. فكانوا يعثرون به». (مرقس ٦ : ٣).

(٢) خصر الرجل: آذاه البرد في أطرافه. الخصر: البرد.

زوايا الأرض[1] ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما». (رؤيا يوحنا ٧ : ١).

فهي إذن رقعة مفلطحة غير كروية وغير متحركة. وهي أيضاً ـ كالسماء ـ مرفوعة على عمد «لأن للرب أعمدة الأرض وقد وضع عليها المسكونة». (صموئيل ٢ : ٨).

«المؤسس الأرض على قواعد فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد». (مزمور ١٠٤ : ٥).

وهي مركز الكون، وكل ما في الكون إنما خلق من أجل الأرض وسخر لساكنيها، فالشمس تنير لهم نهاراً والقمر يضيء لهم ليلاً والنجوم تهدي المدلجين[2] من البدو مصحرين[3] والمقلعين[4] من النواتي مبحرين. أما النجوم فقد بلغ من هوان شأنها عند كتاب التوراة أنهم لم يفردوا لذكرها في قصة الخلق غير كلمة واحدة. «فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم». (تكوين ١ : ١٦).

لقد جهل القوم كيف تكونت البحار وكانوا، فيما يبدو، يخالونها أسبق من اليابسة وجوداً ونحن نعلم الآن أن بخار الماء ظل يكتنف الكرة الأرضية دهراً طويلاً فلما بردت قشرتها استحال البخار ماء وغشى الماء وجه الأرض. وحدثت بعد ذلك تكرشات في أديم الغبراء فارتفعت أجزاء منه فكانت الجبال

---

(١) ولهذا كان بعض الجغرافيين في العصور الوسطى يرسمون بسيط الأرض في خرائطهم على شكل مربّع.

(٢) أدلج القوم: ساروا من أول الليل، وقبل الإدلاج سير الليل كله.

(٣) أصحر القوم: برزوا إلى الصحراء لا يوازيهم شيء، تقول رأيتهم مصحرين أي بارزين إلى الصحراء.

(٤) أقلع الملاح السفينة: رفع شراعها ونشره لتسير. ولا يقال أقلعت السفينة إذا سارت لأن الفعل ليس لها.

وتجمع الماء في القيعان[1] بقوة الجاذبية فكانت البحار والمحيطات. ولكن كتّاب الوحي الذين دونوا سفر التكوين كانوا يجهلون كل ما يتصل بجاذبية الثقل، فلم يجدوا بداً من الاستظهار بالقوة العظمى لحسر المياه التي تغمر البسيطة وجمعها في القيعان. «وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك». (١ : ٩).

---

(١) القاع: أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام.

أساطير بني إسرائيل

كان من جراء هذا الجهل المطبق أن تقبل العبريون الأساطير التي كانت ذائعة بين الشعوب المجاورة وانتحلوا الكثير منها وبخاصة الأساطير البابلية[١] فقد كانت قبائل العبريين ضاربة أطنابها[٢] على تخوم الكلدان، وكلا الشعبين سامي[٣] الجنس حيوي (أنيمي) العقيدة يقبض على ناصيته[٤] شؤونه الدينية كهنة ينطقون بالوحي.

فما الأساطير؟

هي قصص ابتكرها البدائيون لتفسير ما يغم عليهم من ظواهر الطبيعة

---

(١) لاحظ الشبه بين قصة إنقاذ الطفل موسى بوضعه في سلة طفت به فوق النيل وقصة إنقاذ سرجون الأول Sargon الذي كان يحكم بابل قبل المسيح بخمسة عشر قرناً (أي قبيل زمن موسى) إذ وضع وهو طفل في سلة طفت به فوق مياه الفرات فأنقذه بعض الناس، ثم هامت به الآلهة عشتاروت فتزوجته وملكته على البلاد فكان أول ملك من الساميين ودام ملكه ٤ سنوات.

(٢) الطنب (بضمتين): حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد. والسرادق هو الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت و ـ الذي يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم وغيرهما.

(٣) نسبة إلى سام بن نوح، ويرى بعض العلماء باللغات أن اسم سام مشتق من اسم إسماعيل.

(٤) الناصية: مقدم الرأس و ـ شعر الرأس إذا طال ـ ويقال أذل فلان ناصية فلان: أهانه وحط من قدره.

وأحداث الكون، وليس عجباً أن تكون تلك القصص بدالية كالأذهان التي تفتقت عنها. وقد ذاعت تلك الأساطير وشاعت على ترادف الأزمنة وتخالف الأمكنة. وهي تشابه تشابهاً وثيقاً على ما بين البلاد التي ذاعت فيها من بعد الشقة.

والأساطير ضروب شتى، فمنها:

١ ـ أساطير تكشف عن أصل الإنسان وتبين كيف وفد الموت على العالم وتوضح كيف تعددت اللغات، كالأساطير التي حاكتها بعض الشعوب حول خلق الوجود في ستة أيام ومعصية آدم وبناء برج بابل.

٢ ـ أساطير تتعلق بحوادث طبيعية وتفسر بعض الظواهر الطبيعية، كأسطورة اكتساح الطوفان للكرة الأرضية كلها مما يعللون به ما يعثرون عليه من الأصداف المتخلفة من الحيوانات الرخوة في أحجار الجبال البعيدة عن البحار.

٣ ـ أساطير تعلل ما استرعى الانتباه من أشياء غير مألوفة، كأسطورة مسخ امرأة لوط عموداً من الملح، مما يعللون به مصادفتهم بعض صخور تشبه الإنسان في هيئته.

٤ ـ أساطير تتعلق بتاريخ شخص حقيقي كالأسطورة القائلة بأن الناس كافة منحدرون من أرومة نوح.

٥ ـ أساطير تتعلق بتاريخ شخص حقيقي (كالملك سليمان) أو موهوم (كالملك آرثر، وفلهلم تل)[1]، ومن ذلك أسطورة الصراع بين الله ويعقوب، وهي تعلل لنا لمَ استبدل يعقوب هذا باسمه فتسمى «إسرائيل» ولم أسمى البقعة التي اصطرعا فيها «فينيئيل» أي وجه الله.

٦ ـ أساطير تبين الأصل المنسي لبعض العادات والمناسك والاحتفالات،

---

(١) بطل استقلال سويسرا كما نرى في رواية الشاعر الألماني شيلر.

فأسطورة الصراع بين الله ويعقوب السالفة الذكر تجلو لنا لمَ يعزف اليهود عن أكل حق الفخذ، وأسطورة أستير تبين لنا لمَ يحتفل اليهود بعيد البوريم، وكذلك أسطورة افتداء أفجينيا بغزال[1] تبين لنا مصدر المنسك الخاص بالتضحية في العيد بحيوان والإقلاع عما جرى عليه البدائيون في القرون الأولى من التضحية بأبنائهم على مذابح آلهتهم. ومما لا ريب فيه أن هذه الأساطير قد تبدلت معالمها بكثرة تداولها، وأن الشعوب والقبائل حشدت فيها من التغني بمحامدها والتنويه بمآثرها ما يجعلها محببة إلى نفوس أبنائها.

وقد كان أعضاء الأسر الكبيرة في الزمان الخالي ينصتون إلى هذه الأساطير في رهبة وخشوع، فلما درس ذلك النظام ونشأت طائفة الأطباء السحرة وأصبحوا هم الذين يصرفون أمور قبائلهم استأثر هؤلاء برواية أساطير الآلهة، وكانوا يضنون بروايتها فلا يفعلون ذلك إلا في مناسبات خاصة. وقد رفع هذا الصمت الذي أحاط بها من شأنها وأسبغ عليها ثوباً من القدسية فأصبحت لا يتراقى إليها الشك ولا يباح فيها الفحص ولا يخاض فيها بالحجاج واللجاج. فأما الأساطير التي تحولت إلى غوامض[2] والتي هي أجل من ذلك خطراً فقد كانوا يحبسونها عن التداول ليلقنوها خلفاءهم، وهذا ما نلمسه عندما نقرأ كيف وضع الكتاب المقدس.

الديانة العبرية وأنبيائها:

عرف دين يهوه تبدلات عدة، منها ما كان مرتبطاً بالانتقال من حياة البداوة إلى حياة زراعية ومدنيّة. فقد وجد العبرانيون أنفسهم وسط قوم ذوي حضارة عريقة، من مظاهرها الدين الراقي، وتعلموا الكثير منهم. والكنعانيون (١، ١) من مؤلهي الطبيعة، وهذا ليس غريباً في بيئة زراعية. وقد أطلقوا اسم «البعل» على الإله، ومعناه مالك الأرض. وكانت كل أرض مدينة بخصوبتها

---

(١) وكأنما على منوال واحد نسجت هذه القصة وقصة افتداء إسحٰق بكبش.

(٢) Mysteries وهذه الكلمة المستعملة في لغات حديثة شتى مشتقة من الكلمة الإغريقية Myo ومعناها إغماض العينين وإطباق الشفتين.

لبعل نُظر إليه كسيّد إقطاعي ضمن تخومه، وكممثل لإله سماوي. كما نُظر إلى دورة النبات كتجسيد لولادة البعل نفسه وحياته وموته وانبعاثه. وفي تذكار موته كان الناس ينوحون، وعندما يحتفلون بمولده أو انبعاثه يقيمون أعياداً يبتهجون خلالها لمجيئه. وقد بنت كل بلدة معبداً للبعل الخاص بها. وفي المعابد كانوا يقدمون الهدايا من بواكير الثمار أو الحيوانات، ثم يأكلون معاً من تلك التقدمات، فتتشدد الروابط بين الإله وخاصته، وفي ما بين الناس. ومن أهم الآلهة عشتروت (عشتار عند البابليين)، وهي إلهة الخصب و «عشيرة» البعل الدائمة العذرية. وكان دورها يبرز في كل الأعياد.

وقد تبنى العبرانيون ـ ولا سيما أهل الشمال المخصب، أي قبائل إسرائيل العشر ـ تلك الآلهة، وإنْ لم يهجروا يهوه، فيما ظل أهل مقاطعة اليهودية الصخرية، وجلّهم رعاة، أقل انحرافاً عن ديانة يهوه. ومع الوقت ظهرت الفكرة القائلة بأن يهوه هو إله الأرض أيضاً، وأنه في الكل وفوق الكل. وظهر الأنبياء ليقاوموا الانحراف عن خط يهوه القويم. ولئن تميزت مرحلة موسى، على الصعيد الديني، باكتشاف الإله الواحد، فقد تميزت مرحلة الأنبياء بالعودة إلى الإله الواحد.

وركّز الديانة العبرية الثالوث الإلهي الأقدس القائم على يهوه، الشعب الإسرائيلي والأرض المقدسة. وتقوم ديانة إسرائيل على تعاليم وأقاصيص جمعها حكماؤهم ونظموها وطوروها مع الزمن وأعطوها اسم الكتاب المقدس ويحتوي الكتاب المقدس على: التوراة وأقوال الأنبياء ومخطوطات الكتبة:

١ ـ التوراة:

للتوراة القيمة المتميزة. تحوي خمسة كتب منسوبة كلّها لموسى منها كتاب بدء الخليقة وهو وصف للبشرية الأولى، ولحياة الكهنوت وإبراهيم وإسحٰق ويعقوب. وتحدث كتاب الخليقة عن بدء الخلق والطوفان ونوح.

الأسفار:

يجمع البحاثون والعلماء أن كتاب «حزقيال» وضع أولاً، ومن ثم ركّبت من حوله الكتب الأخرى، وعلى رأس هؤلاء البحاثين العلماء اليهود أنفسهم.

وكما سبق وذكرنا، فإن العلماء اليهود سباقون في هذا المضمار، ولعل تسرعهم في كشف الحقائق الخفية في كتبهم المقدسة، والتي بقيت عصوراً طويلة مقبولة دون مناقشة، غايته استباق أي تدقيق قد يقوم به العلماء من غير اليهود، وهكذا يكسبون صفة العلماء الموضوعيين، بينما هم، في الواقع، لا يخافون أن يضعف إيمان أتباعهم الأعمى بكتبهم وتعاليمهم.

وليس ذلك بحاجة إلى برهان، فنحن نراه يوماً بعد يوم. وعالم يهودي هو الذي أعطى تفسيراً لهذه الظاهرة، فقد قال الدكتور أرثر روبن (أنظر الحاشية ٢ ص ١٨) أن زعماء اليهود الأولين قد خططوا بدقة لكي يبقى اليهود كتلة واحدة متماسكة، وذلك باتخاذهم سلسلة من «الإجراءات الاستثنائية» بحيث أصبح «انعزال اليهود واقعاً كاملاً وأزلياً»، وأمكن إبقاؤهم طوال هذه القرون تحت سيطرة زعمائهم الكاملة، وهؤلاء قد أثبتوا، على مرّ الأجيال والعصور، كفاءة نادرة في هذا الحقل إذ خلقوا جيلاً بعد جيل من اليهود الذين كيّفت عقولهم لقبول فكرة «العرق الذي نشأ وترعرع وراء الجدران المحصنة» مما يؤدي، منطقياً وواقعياً، إلى بقاء سيطرة الزعماء. فالدين اليهودي ليس «ديناً صحيحاً، بل منظمة قتالية تلبس لبوس الدين، غايتها الاحتفاظ بنقاوة الشعب اليهودي»، والعبارات بين المعترضتين كلها مأخوذة عن الدكتور آرثر روبن المذكور في صدر هذه الدراسة[1].

---

(١) يلاحظ أن المؤلف لا يتطرق إلا قليلاً لماهية «الشريعة الموسوية» فيما يتعلق بالعلاقات بين البشر، ولعل من الجدير بالذكر أن هذه الشريعة تضع الخطوط العامة للعلاقات بين الناس، ثم تطبق حسب تفسيرات الحاخامين. وقد دونت هذه التفسيرات كلها بهامش نص التلمود، وفي بعض الأحيان تأتي بعض التفسيرات متناقضة، بحيث يحتار القارىء الجديد إياها يطبق.
=

وهكذا، فليس هناك أي ضرر إن حطمت بعض الحقائق، طالما أن الأساس لم ولن يمسّ، وطالما أن الذي يحطمه اليهود، بمحاولاتهم العلمية هذه ليس كتبهم المقدسة، بل بالواقع هو كتاب المسيحيين المقدس، إذ دمج «العهد القديم» إلى «العهد الجديد» ليصبحا «الكتاب المقدس» لدى المسيحيين. أما كتاب اليهود المقدس الحقيقي، فهو كما نعلم، «التلمود»[1]، أما «التوراة» فهي مجرد كتاب تاريخي أسطوري في معظمه. ولا خوف مطلقاً على «التلمود» طالما أنه لا ولن يقع بيد العامة، حتى اليهود منهم، وطالما أن ما كتب فيه منذ أقدم العصور لا تجري مناقشته أو تحريفه ولا حتى تعديل صفحاته في الطبعات المتتالية.

قلنا أن كتاب «حزقيال» وضع أولاً، ومن ثم تمَّ وضع باقي الكتب كلها، بعد أن اكتشف الكتبة الفريسيون الإمكانيات الواسعة التي فتحها أمامهم «حزقيال» بخياله المتأجج.

وقد تعمق «أشعيا» وتوسع في بعض مقاطع من «حزقيال» بشكل هادىء

= يقول الحاخام المعاصر آدين شتاينزالتز: «أحياناً نجد موضوعاً وبهامشه نجد حوالي صفحتين تحاولان تفسيره وأحياناً أخرى نجد جواباً يعتقد واضعه أنه الجواب الصحيح، لكن الأجوبة الأخرى لم تشطب من النص بحيث نجد تفسيرين أو أكثر لكل نص، تتناقض أحياناً».

ومن الذين وضعوا تفسيرات أو اجتهادات هامشية على التلمود موسى بن ميمون المشهور. ومن بين تفسيراته هذا الاجتهاد الطريف، ترجمه إلى العربية العامية الحاخام الدمشقي أبو العافية من (سفر قما ورقة ٣٦) «لما يصدف مشروعية بين يهودي وبين مصري هكذا يكون التخرج تنظر إن كان اليهودي يطلع له الحق في شريعة المصري يروح اليهودي يشارعه في شريعته ويقول له: «هكذا شريعتكم وإذا شاف أنه أحسن لليهودي في شريعة اليهود لا يشارعه غير في شريعة اليهود ويقول له هكذا شريعتنا»، وقال العالم المذكور «لا تتعجبوا ولا يصعب عليك هذه الحالة»... (الأصول العربية ـ الدكتور أسد رستم، من ٣١ ـ ٣٢).

(١) أنظر تفصيل ذلك في موضعه.

وعميق على طريقة «المدراش» الذي أخذنا نموذجاً عنه في «نواح راحيل» الذي سبق ذكره، بينما كان «إرميا» أكثر حذقاً ومكراً. وأتى بعدهم «دانيال»، وكان أكثرهم غموضاً، ونبوءاته من النوع المستعصي. وتقول «الموسوعة اليهودية» حذاء كلمة «المسيح الدجّال Anti-Christ»: ««في زمن المكابين (أي حوالى ١٦٠ ق. م.) انبثقت فكرة تقديم فلسفة كاملة لتاريخ العالم، وقد قام بهذه المهمة (دانيال) بشكل بارع».

وكل هذه الكتب تنبّأت بقيام مملكة «يهوه» حيث يسيطر اليهود على شؤون العالم «ويرثون الأمم»، إلى أن يقول «أشعيا» (٦٠ : ٢): «لا تغرب شمسك من بعد وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً وتكون أيام مناحتك قد انقضت ويكون شعبك كلهم صدّيقين وإلى الأبد يرثون الأرض».

لكن ما أن أتى «دانيال» حتى كان اليهود قد أخذهم الاستنكار والسخط لأن «الوعد» لم يتحقق. فسارع «دانيال» إلى تهدئتهم، منبئاً إياهم أن الرب سيعلمهم بالوقت المناسب متى سيتحقق «الوعد» ينتهي سخطهم: «وقال إني أعلمك بما سيكون في آخر السخط فإنه يتم في الميعاد المحدود» (دانيال ٨ : ٩)، فلا تقلقوا يا بني إسرائيل ولا تتحول مناحتكم إلى سخط، لأنه في الوقت المحدد «هذه هي الضربة التي يضرب بها الرب جميع الغوييم الذين تجندوا على أورشليم. لحومهم تذوب وهم واقفون على أرجلهم وعيونهم تذوب في وقوبها وألسنتهم تذوب في أفواههم» (زكريا ١٤ : ١٢).

إن صلاة اليهود الأكثر ترداداً اليوم هي التالية: «فليتمجّد ويتقدّس اسم الرب العظيم في كل العالم الذي خلقه حسب مشيئته، ولتتحقق ملكه أثناء حياتكم وخلال أيامكم وأثناء حياة كل بني إسرائيل، بسرعة وبالقريب العاجل، آمين» (عن كتاب الصلاة للسبت والأعياد، الصادر عن شركة النشر العبرية).

وإذا بقي لدينا أي شك في معنى صلواتهم وماهية «الوعد»، فما علينا سوى الرجوع إلى «الموسوعة العبرية» أمام كلمة (الإيمان بالأخرويات

Eschatology): «إن تحطيم جيوش يأجوج ومأجوج لا يعني، كما قال «ويبر» خطأ إبادة عالم الغوييم عند انتهاء عهد المسيح المنتظر، بل إفناء كل سلطة وبلد تعارض ملك «يهوه» وتحقيق عهد المسيح المنتظر، والشعوب التي ستخضع عندئذ للشريعة ستبقى على قيد الحياة... وهكذا «يكون في كل الأرض يقول الرب أن ثلثين منها ينقرضان ويضمحلان والثلث يستبقى فيها» (زكريا ١٣ : ٨)، أما الأرض المقدسة نفسها فلن يسكن فيها أحد من الغرباء».

ولو تعمقنا في كل من أسفار «التوراة»، لوجدنا أن كلاً منها له غاية خاصة به ومحددة، تعطي اليهود الأمثلة والوصايا والتعليمات، كما تعطينا نحن معيناً لا ينضب من المواقف والحقائق التي يجدر بنا التوقف عندها بعناية وتعمق، لما فيها من الدروس والعبر، وكذلك الأخطار التي تنتظرنا من تحقيق «الوعد». ولنأخذ هذه الكتب الواحد بعد الآخر.

«سفر أستير» مثلاً، هو كتاب بعيد كل البعد عن الدين، إذ هو درس وضيع وصفيق عن كيفية دفع سلطة الغوييم إلى تحطيم شعبها ثم وضعه تحت إمرة اليهود الماحقة والباطشة. أما احتفالهم العربيد والمتهتك بعيد «الفوريم»، إنما هو احتفالهم بذكرى قتلهم ٧٥٠٠٠ من الفرس حاولوا مقاومة ابتزازهم لأموالهم وانتهاك أعراضهم، كما أن «عيد الفصح» الدموي هو احتفالهم بذكرى القتل التقليدي للمولود الأول المصري. وفي «سفر أستير» نجد تفسيراً لاختيار ألوان علم إسرائيل، وكذلك ألوان علم الأمم المتحدة[1] «وخرج مردكاي من

---

(١) إشارة إلى أن الأمم المتحدة هي من صنع اليهود، ولغاياتهم فقد قال بن غوريون: «إن هدف الأمم المتحدة هو هدف يهودي (مجلة تايم ١٦ آب ١٩٤٨) كما قال ناحوم سولولوف، وهو زعيم صهيوني في ٢٧ آب ١٩٢٢ في مؤتمر كارلسباد، «إن جمعية الأمم هي فكرة يهودية، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة». وهناك كتب عديدة خصصت فقرات طويلة لهذه الفكرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر «اليهودية المعادية للشيوعية» تأليف جورج بيكني، وأحجار على رقعة الشطرنج للكومندور وليام كاي كار..

حضرة الملك بثوب الملك السمنجوني والأبيض». . (أستير ٨: ١٥).

أما كتاب «سفر الأمثال» و «سفر الجامعة» فممتلثان حكمة وتوصيات لأعضاء المؤامرة لكي يبلغوا النجاح المطلوب. وقراء «التوراة» من المسيحيين البسطاء لم يحاولوا البتة الاستفادة منها، فإلى جانب تلك الدرة من الحكمة التي توجنا بها هذه الدراسة، توجد درر لا تقل عنها عمقاً وواقعية «من عمل بكف وانية افتقر وأيدي المجدّين تستغني» (أمثال ١٠ : ٤)، ولعل كف الغوييم الوانية هي السبب الذي من أجله لا يستطيعون مزاحمة اليهود اقتصادياً.

«إن ارتداد الأغرار يقتلهم وترف الجهال يهلكهم» (أمثال ١ : ٣٢)، وغير ذلك من الأمثلة والنصائح الحكيمة التي لم يظهر الغوييم أي اهتمام في تطبيقها على حياتهم العملية وفي معاملتهم مع اليهود، إلا أننا نجد الكثير من علمائنا يتوقفون مدهوشين عند بعض من هذه الأمثلة، لا سيما المبتذلة والعادية منها، دون الالتفات إلى غيرها، مثل «فليس تحت الشمس شيء جديد»، (سفر الجامعة ١ : ٩)، ويجدون فيها منتهى الحكمة.

لنتبع نصائحهم هم في محاولاتنا تفهم الخطر المريع الذي يتهددنا، «لا توبّخ الساخر لئلا يبغضك. وبخ الحكيم فيحبك، أفد الحكيم فيصير أحكم، علم الصديق فيزداد فائدة» (أمثال ٩ : ٨ و ٩)، وقد أعطى السيد المسيح حواريه نصائح مماثلة إذ قال: «لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها فترجع فتمزقكم» (إنجيل متى ٩ : ٦).

أما غاية «سفر أيوب» فقد كانت تكييف المتآمرين ليتقبلوا العذاب والانتظار الطويلين قبل أن يتمكنوا من السيطرة على العالم، ويتحقق ذلك بالوقت المناسب للذين ثابروا على التمسك بإيمانهم.

ثم يأتي «سفر راعوت» فيصف لنا كيف يجب على المرأة «الغوي» أن تتصرف إن تزوجت من يهودي. وكمثل «سفر استير» وكذلك «نواح راحيل»، لا يمت «سفر راعوت» إلى الدين بصلة، بل فيه أحياناً ما يبعث الاشمئزاز إلى

النفس، لا سيما عند قراءتنا المقطع الذي يصف كيف تراود «راعوت» «بوعز» عن نفسها.

وأسفار **«الملوك»** الأربعة هي نموذج للتاريخ القديم المكيف من وجهة النظر الفريسية، وغايتها إعطاء البرهان أن النجاح مرهون بالطاعة العمياء للشريعة.

أما **«سفرا أخبار الأيام الأول والثاني»**، فهما «مدراش»، أي توسع في نص توراتي، مستوحى من أسفار الملوك.

وقد توجت هذه الأسفار كلها، بسفري **«عزرا»** و **«نحميا»** وفيهما وصف للظروف التي جرت بها القراءة الأولى للشريعة الموسوية للفلسطينيين المحطمي المعنويات، ومن ثم قبول هؤلاء لعزرا **«الكاتب»** ونحميا الحاكم كرؤساء لهم.

و «عزرا» هو أول الكتبة، ومعه ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين «وضعوا» التوراة والشريعة الشفهية، والتي سيطرت لقرون عديدة على عقول وجميع مقدرات اليهود. وكان للكتبة هؤلاء حزب منظم، هو حزب «الفريسيين»، وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين، أي معلمو الشريعة.

تقول «الموسوعة اليهودية» أمام كلمة «كتبة»: «هم هيئة من المعلمين كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب. وقد ابتدأ تنظيمهم مع عزرا الذي كان رئيسهم. وهؤلاء الكتبة كانوا أول من علم التوراة وهم واضعو الشريعة الشفهية».

نبوءة حزقيال

ليست غاية هذه الدراسة إعطاء تفصيلات واسعة للأسس التاريخية للتوراة، إنما لو ألقينا نظرة سريعة على (نبوءة حزقيال) لتكشفت لنا أسرار كثيرة مما توسع وتعمق بها العلماء دون إيجاد أي تفسير لها. ولم يمنعهم من ذلك سوى تجاهلهم الكامل والعنيد لكتاب «حزقيال».

ومهما كانت وجهة النظر التي التزمنا بها، ومهما حاولنا، نجد أن كتاب «حزقيال» هو أقدم الأسفار التوراتية، ولا جدل في ذلك. إلا أن بحاثي الكتب المقدسة يصرّون بعناد على تجاهله، بل قد حاولوا مراراً حذفه بكليته من التوراة.

إن هذا السفر يعرّي التوراة تعرية تامة، ولعل هذا هو سبب تجاهل، بل ورفض، «حزقيال» من قبل العلماء والبحاثين. لأن «حزقيال» يضعنا أمام واقع مذهل، بل ومزعج للبعض: إذا كان كتاب «حزقيال» حقيقياً وأصيلاً، فإن جميع الأسفار التوراتية الأخرى ليست سوى «مدراش» يدور حوله ويتوسع فيه، على طريقة «نواح راحيل»، كما يدور حول قصص قديمة وأساطير. وهذه النتيجة تعتبر كفراً من قبل العلماء الملتزمين.

ولهذا السبب، فقد ضاع الكثير من العلماء في محاولة تفسير بعض طلاسم التوراة، مستشهدين في ذلك بطلاسم أخرى وصفها الكتبة الفريسيون في الأسفار الأخرى التي تتكامل وتؤكد بعضها البعض.

خذ مثلاً موقع «جنة عدن» حيث حدثت قصة «التكوين». إنها قصة أسطورية مأخوذة من الأساطير البابلية، اقتبسها الفريسيون وكان عليهم إيجاد موقع مناسب لها، فاختاروا «جنة عدن» (من العبرية، ومعناها «السرور»)، إلا أنهم أعطوا لها وصفاً أقل ما يقال عنه أنه خيالي ورمزي، مما جعل أجيالاً متتالية من العلماء يحارون في تحديد هذا الموقع الخيالي.

والواقع يشير إلى أن «الكتبة» الفريسيين اختاروا هذا الموقع اعتباطاً من وصف «حزقيال» (لجنة الله)، وبالغوا فيه مما أضاع جميع البحاثين إلى يومنا هذا. أما وصف حزقيال «لعدن، جنة الله» فهو وصف ينطبق على جنوبي لبنان، ولم يكن لهذا الموقع أية علاقة مع قصة التكوين عند «حزقيال».

ثم «جبل الله» حيث أعطى «يهوه» الشريعة لموسى. أخذ الكتبة هذا الإسم من «حزقيال» لما وجدوه مناسباً لقصتهم، ومن ثم أعطوا وصفاً خيالياً لهذا الجبل مما لا يتفق مطلقاً مع أبسط وصف لجبل سيناء. و (جبل الله)، الذي ذكره «حزقيال»، يصف أحد المواقع الفينيقية البركانية في حوض المتوسط، التي سماها هؤلاء (جبل الله) لما كانت تبعثه في نفوسهم من رهبة وخوف، «وقد كنتَ (يكلم ملك صور) في جبل الله المقدس وتمشيتَ في وسط حجارة النار» (حزقيال ٢٨ : ١٤ وما يلي). لقد أخذوا الإسم والوصف من «حزقيال»، ثم وضعوا الجبل في الصحراء حيث لا بركان ولا حجارة من نار.

وكذلك تفسير العلماء «للجَلَد»، وهو قبة الفضاء التي تراها العين. تجاهلوا «حزقيال» فضاعوا في محاولة تفسير المقصود بهذه الكلمة التي توج بها «سفر التكوين»: «وقال الله ليكن جَلَدٌ في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه فصنع الله الجلد... وسمّى الله الجلد السماء»... (تكوين ١ : ٦ إلى ٨). وابتعدوا أكثر فأكثر حين رجعوا إلى التقاليد البابلية فأخذوا منها تفسيرات لا يحويها «سفر التكوين»، وكان من الأسهل طبعاً الرجوع إلى «حزقيال»، إذ يعطي وصفاً أبسط للجلد، حيث يصفه رمزياً، وكأنه السماء التي يجلس عليها عرش الإله «يهوه». والكثير من الأسرار كالخروج وما بني من

حول هذه الحكاية من أساطير لم يذكر حزقيال في نبوءته سوى أبناء يعقوب[1].

٢ ـ كتاب الأنبياء:

يتضمن معلومات تاريخية قيّمة عن أوضاع الإسرائيليين في أرض كنعان، حتى المنفى لِبابل، وبعده كتاب «الحكماء» ثم كتاب «صموئيل» الذي يروي معركة «شاوول» و «داود» ثم كتب «الملوك»، ومحتواها وأخبار الملك سليمان ومنافسة مملكتي «إسرائيل ويهوذا» الجنوبية والشمالية، من أرض كنعان. أما صموئيل فكان مثالاً حياً للعمل والنشاط الفردي، في حثه الرجال والنساء على العمل المستمر، كلٌ في حقله فيكسبون رضى الإله يهوه، لكن الشعب استغرق في سباته وشهواته وتفسّخه، مما حدا بالأنبياء أن يزيدوا التوسلات ليهوه، كي يعيد الهداية لشعبه. وقد كثرت الرؤى عندهم، ومغزاها يَؤول: للهداية وطرح المعاصي والإنذار في يوم الميعاد. من هؤلاء كان «حزقيال» ورؤياه، «وامليخا» ذلك النبي البطل الذي قال فيه المؤرخ (رينان Renan) ـ «لو لم يكن بالديانات هذا الرجل، لكان سلك التاريخ الديني، سبيلاً آخر» المؤرخ (أ. جاكوب Ed. Jacob) والعهد القديم ص (٧٣).

يلي الشريعة الموسوية والأنبياء مآثر الكتّاب ومن بينهم: «مزمور داود»: مليء بالأمثال والحكم، بأسلوب شيق تلقَّفته العامة واستظهرت أناشيده.

يهوه إله سيناء:

لا يملك هذا الإله شيئاً من خواص إله الفلاسفة. إنه سيد التاريخ ويعرف بأعماله، وهي: الوحدانية والعدالة والمحبة. وقد غدا الإله الأكبر للإسرائيليين، وهو خالق العالم. قال فيه «حزقيال»: (إنه روح خارج عن كل قوانين الطبيعة وعن تصرف الأقدار). اسمه مشتق من فِعل (هـ. ي. هـ H.J.H) أي الذات. إنه ذلك الذي كان وهو كائن، وسيكون. قال عنه الكتاب المقدس:

---

(١) حزقيال ٢٠: ٥.

إنه يتكلم ويصغي ويرى ويشعر ويضحك ويتألم، وله أعضاء. لا شيء يشابهه. ينزل من السماء ليزور برج بابل. وهو الذي أقفل باب الفُلك خلف «نوح». عرشه متعال عن الخليقة. إنه «أيل» وألوهيم وهو الأول والأخير. بلغت أسماؤه في الكتاب المقدس: (٢٧٩) إسماً. يتجلّى في صُور الخليقة فينزل بين الناس، ويكشف نفسه كما فعل مع «إبراهيم». أو يسمع صوته كما في «سيناء». قيل أن موسى رآه بأم العين. ولا تتحقق رؤيته إلا للمخلصين له والواثقين من ألوهته. هو وحده الخالق: لا أصنام ولا نجوم ولا بشر يُعبَد سواه. والرموز باطلة أمام عرشه. لا يولد، ولا يكبر، ولا يموت. هو إله المحبة والسخط والقداسة والحكمة والتآلف. وغالباً ما يكون محاطاً بأتباعه، يستشيرهم ويفتح الباب المذهَّب ليتجلى على الأرض المقدسة ويصبح الهيكل الرئيسي لإله إبراهيم، ويعود المشردون ويشمل الأمم السلام.

أما الشعوب المعاندة له، فتُمسح وتلتهمها النيران.

قال الإله «يهوه» لإبراهيم: (أنا الشودَّي، El shoddai) أي الإله القادر على كل شيء «امشِ أمامي وكن كاملاً. أريد أن أجعل علاقة بيني وبينك وسأجعلك تعظم كثيراً، سأرزقك ثماراً يانعة، وسأنجب من نسلك أمة وملوكاً» (سفر التكوين XVII، ٢ ـ ٦). يهوه الذي نزل إلى الأرض بعد الطوفان ليشهد ما شيده الإنسان (التكوين ٥، XI) وتحدث سفر التكوين عن تجليات متعددة هنا وهناك ليهوه. كما شوهدت رؤى مختلفة لأنبيائهم، وليست التجليات إلا تثبيتاً لوجود «يهوه» وإرشاداً على الطريق المستقيم. والرؤى هواجس تنتاب النائم أو الحالم أو المتأمل من أرباب التقى والزهد، تكثر بكثرة المعاصي.

إن صفات الإله يهوه تتشابه مع صفات الإنسان، إنه في السماء يجلس على العرش محاطاً بالملائكة الذين يقومون بخِدْمتِه. قال رجال الدين أن صفاته افتراضٌ محض. إنه روح الكون السارية فيه كله، وهي غير منظورة ولا محسوس بها، إنها تمد الكون بالحركة والحياة. متعالية، وحالّة في كل أجزاء الوجود. وإن الحضرة الإلهية الكونية المسماة بـ (السكينا ـ السكن) تتواجد في

الأشخاص والأماكن المقدسة، وفي ساعات الدرس والصلاة. وقد نهى الإله يهوه أحباره عن ذكر اسمه، إلا في الضرورة القصوى، كيلا يدنس أو يتخذ أداة للسحر. يستبدلون اسمه بـ (أدوناي) أو الرب أو الواحد المقدس أو أبانا الذي في السماء. ومُعجزاته تتم على يد كبار أحباره.

آمن أتباع يهوه بأن الإنسان مكون من جسد وروح. الجسد (أي الحواس) هو الدافع إلى الرذيلة. والروح مسوقة للفضيلة، والشريرة منها جاءت من الشيطان ومن الأرواح الخبيثة الكامنة بكل مكان. معتبرين التناسل مسبباً عن الشهوات الأرضية الخاطئة فقالوا: «لو لم يأثم آباؤنا لما جئنا نحن إلى هذه الدنيا».

إن الخطيئة عندهم من فطرة الإنسان، وغير متوارثة. والحسنات والسيئات كفّارة عن ذنوب هذه الحياة بالذات. وغير الآثِم بحقٍ، لا يموت أبداً، لأن الموت دَين على البشرية الآثمة.

بعض المراسم:

لكل من النار والسماء عندهم طبقات سبع، والنار هي (شاول أو جهنم) وكل امرىءٍ يستقر في المستوى الذي توجبه عليه أعماله في دنياه هذه. يمارسون الصلاة يومياً وبعضهم بكل ساعة.

أهم ما عندهم النظافة البدنية. وقد فرض عليهم الصيام في مواسم معينة وكانوا يقاومون التنسُّك وينصحون بالمتع في الحياة. أشهر أعيادهم: الفصح المجيد في (١٤ نيسان) وهو ذكرى فرارهم من مصر، وعيد العنصرة، بعد أسبوع من الفصح. وعيد رأس السنة بهلال الشهر العبري، إحياءً لذكرى نزول التوراة، وأعياد غيرها. قال أحد أحبارهم: لو حرص اليهود على (سبت) واحد لَجاء ابن داود من قبره.

لدى اضطهاد اليهود من مسِيحيِّيْ أوروبا، جعلوا من كل منزل كنيساً،

وأوجزوا الصلاة والشعائر. ومنعت في المنفى الترانيم، هذا مثال لها بعد عودتها:

«لدى ظهور ملكوتك تتشقق الجبال.. عن أناشيد تعظم جلالَكْ.
وتضحك الجزائر متهلّلة بابتسامتها إليك..
أيها الواحد الأحدْ كل المصلين يمجدون لاهوتك..
وحين يرنُّ نغمهم في أقصى البلاد.
ينادون بكَ: إلهاً متوجاً عليهم أجمعينْ».

ولم يعدمْ القربان وتقدمه الأرواح البشرية في مطلع الإسرائيلية، فهاكم إبراهيم يحاول تقديم ابنه للمذبح لكن الإله كان يحاول تجربته ـ بهذا الشكل الإنساني ـ فاستعاد الولد. (التكوين XX, II). بعدها بطل تقديم الذبائح البشرية.

على كل إسرائيلي، حسب نص العهد القديم، أن يقول أثناء تقديم الذبيحة: «كان أبي آرامياً شارداً ونزل مصر. تناسلوا وكثروا. عاملنا المصريون بعنف وإرهاق واحتقار. ابتهلنا إلى يهوه إله آبائنا فاستجاب ورثى لوضعنا المزري. أوحى إلينا بالخروج من مصر. بعد أهوال ومعجزات، وصلنا الأرض التي يدفق منها السمن والعسل».

أما هذا القربان الذي يقدم للإله يهوه فغايته كسب رضى الإله وتحنينه على شعبه، ودحر خصومه. وليس «يهوه» جديداً على الإنسان، هو نفسه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وهو مسير الأقدار، والقاهر الذي سيضع أعداء إسرائيل تحت قدميها.

بيت المقدس:

كان في بلدة القدس محراب متواضع، وحين تتالت الهجرات الكنعانية عن ربوع فلسطين، واستتب الحكم لإسرائيل تدريجياً جعلوا من القدس عاصمتهم، ومن المحراب المتواضع هيكلاً للإله يهوه.

قام بهذهِ المنجزات الملك «داود» وأكملها ابنه «سليمان الحكيم» يومذاك قام الكُتَّاب والحكماء فألفوا كتب الملوك المحتوية ما يأتي:

١ ـ طلب الإله من الملك بناية هيكل له وشخَّصه للملك.

٢ ـ كلف الملك الأخصائيين في البناء، ومن بينهم ملك صور حيرام.

٣ ـ عني الملك في بناء الهيكل، حسب ما شخصه له الإله «يهوه».

٤ ـ بملء عنجهيته، تربع الإله في صدر الهيكل، يستقبل الملك والكهنة والشعب.

الهيكل:

طلب الملك أن يقدم لبناء هذا الهيكل ما تيسر لدى الشعب من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب، وحجارة كريمة للزخرفة من الداخل. فقُدِّم الكثير، وسمي آنذاك: «بيت الأَبد» وكان له شكل خاص يفرقه عن الكنيسة، وفيه (تابوت العهد) المُرصَّع. وبعد سبع سنوات من إنجاز بنائه وتأثيثه، أصبح المقر السِّياديَّ للإله (يهوه).

كان قياس الهيكل: أربعين ذراعاً عمقاً وعشرين عرضاً وثلاثين ارتفاعاً. وفي قدس الأقداس، ضمن الهيكل وضع تابوت يضم تجسد الإله غير المحدود. وفي الهيكل طاولة عليها الخبز المقدس، يبدلونه يومياً. ومكان رحب للكهنوت «وشمعدان» ذو سبع شعب ثم «مذبح العطور». وأما الباب الأثري على مدخل الهيكل، مذبح لإحراق الضحايا، حيث يشاهد تصاعد دخانها عالياً. بعد تدمير هذا الهيكل ظل تصميمه مرتسماً في خاطر النبي «حزقيال» فأعيد بناؤه بفضل «أُور وبابل» وتحت سلطة هيرودت. وإن المؤرخ «يوسف» بعد أن تأمله تأكد من صدق مطابقته لما كان عليه.

في الهيكل نفسه يقدم الشعب العُشر وبواكير التمر والنذور، ويوم السبت تقام في الهيكل الصلوات والاحتفالات. كذلك هو أول يوم من الشهر القمري. وفي منتصف نيسان تقدم الضحايا الحيوانية قرباناً. وتقديمها بهذا اليوم إشارة

إلى العيد الكنعاني القديم للزراعة، وتذكرة بيوم الخروج من مصر. ومثلُه تشرين الأول. وحين كان (أُوزِّيا Ouzzia) يحرق البخور موضع الكاهن، بلاه الإله يهوه بالجذام .16, 20 II Chron, XXVI).

أكد تاريخ العالم أن سليمان قد أنفق على إنشاء معبده الذي ظهر كامتداد المنحدرات الصخرية، الكثير من الذهب والفضة. نقل طراز المعابد المصرية، عن طريق الفينيقيين، ثم أضاف إليه من العمارة والزينة والزخرفة الأشورية والبابلية، فخرج طرازاً فريداً، يجمع بين هذه الألوان جميعاً..

ظل مقراً (ليهوه) مدى أربعة قرون. ولم يكن معبداً بالمعنى المعروف، بل كان يحوي أجزاء كثيرة، منها: أَبْهاءٌ لاستقبال الزوار، وأجنحة لِسُكنى الملك، ومقاصير للمحظوظات من الزوجات.

وكانت أُولى واجبات سليمان، أن ينفذ أمر الرب، حسب تعليماته لداود، فيصنع له بيتاً ثابتاً، بدلاً من الخيمة التي ينتقل فيها. وكان بناء الهيكل أهم حادث في ملحمة اليهود. كان نفسه مركزاً روحياً لهم، كما هو بيت لِـ (يهوه). وكان له شأن الانتقال بدين اليهود، من دين بدائي، تتعدد فيه الآلهة، إلى عقيدة تنادي بالوحدانية، بعد أن كان قد سمح سليمان ببناء مقاصير للآلهة، وسمح بعبادتها إلى جانب (يهوه)، مما أغضب الرب. وما بناه سليمان من قصور كان مخالفاً لإرادة الرب، لأنه لم يكن على جانب عميق من التقوى، شأن أبيه.

كان في الهيكل جناح خاص (بتابوت العهد) والشرائع، هذا التابوت يعد من المحرَّمات، فلا يسمح لأحد بِأن يلمسه.

بدء الخلق:

قال ابن قُتيبة: قرأت في أول سفر من التوراة، أن أول ما خلق الله السماء والأرض. كانت الأرض خربة خاوية وظلمة، وروح الله على وجه الماء، قال

تعالى: ليكن (النور) فكان نوراً. فسُر به وأسماه نهاراً، كما أسمى الظلمة ليلاً. بعدئذ أمر الإله بجمع المياه فكانت البحور، وأمر السمك والطير لتتحرك، فكان ما أراد، ثم قال: إن آدم لا يصلح لأن يكون وحده، فأخذ ضلعاً منه، وكانت (حواء) من لحمه ودمه. من أجل ذلك يترك الشاب أبويه ويتبع امرأته لأنها جزء منه. ثم قال الله: اثمروا واكثروا واملأوا الأرض.. وتسلطوا على أبواب البحور، والطير والأنعام والنبات. وكان صباح اليوم السادس إكمال أعماله. ثم استراح في اليوم السابع: (السبت) من خليقته.

بعهد الملك (منسّا) أقيمت الشعائر الدينية للإلهة «عشتروت» كما قدمت الذبائح للإله «شَمْسْ» إله الشمس، محتفظاً بالموميات المقدسة. هذا جنوبي البلاد، أما في شماليها فقد صُنع عجلٌ من الذهب للإله يهوه، على النمط الذي اتخذه السوريون للإله «حداد» هذا الشذوذ والتقليد أمرٌ طبيعي قبل ترسيخ العقائد جمعاء، لأن الطبائع البشرية والأفكار، ونوعية تقبُّل كل جديد، هي متفاوتة بين امرىء وآخر، فلا يضير ذلك أيَّ معتقد. وهناك باحثٌ لبناني يُعِدُّ كتاباً حول دولة إسرائيل. ينسف فيه منجزاتهم العُمرانيّة على أرض فلسطين ويعيدها إلى مكان آخر جنوبيّ التخوم.

ثالثاً: أنبياء إسرائيل:

النبي هو ناقل الصوت السماوي إلى عباد الله وكان أولهم إيليا، وقد ظهر في مملكة الشمال أيام الملك آحاب الذي أدخلَ ديانة صور إلى إسرائيل نزولاً عند إرادة زوجته. وكان الإله المتقدم بعل ملكارت. ووقف إيليا يدافع بشدة عن عبادة يهوه، قائلاً إنه وحده الإله الحق. ولقي معارضة قوية من الحكام، لم يستطع معها تحقيق الكثير في حياته. ولكن عندما اختفى إيليا على نحو غريب، خلفه تلميذه أليشع في مهمته. وكلف أحد الرجال الأشداء قيادة ثورة دموية لم يعرف التاريخ العبري مثيلاً لها، اغتيل خلالها أفراد العائلة المالكة واحداً واحداً وحُطم كل ما يمت إلى عبادة البعل الصوري بأي صلة. وظل صدى تلك المجزرة يتردد حتى شجبها النبي هوشع في القرن التالي. ولئن لم تقضِ تلك

الصفعة تماماً على الديانة البعلية، فقد تقدمت عبادة يهوه تقدماً لم تفقده بين العبرانيين بعد ذلك الحين.

أعظم أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد هو عاموس الذي كان فاتحة عهد جديد في الإبداع الديني. وقد جاء من الجنوب حيث لم تكن عبادة يهوه منحطة، وكان يبيع رؤوس الماشية في حواضر الشمال التجارية حتى صار على معرفة بأحوالها الاجتماعية والدينية. ووجد أصحاب الأراضي هناك يتحكمون بالمزارعين، وقد انحدر الدين والأخلاق إلى هوة سحيقة واضمحلت الرحمة والعدالة. وقال عاموس إن يهوه انتدبه لمهمة التنبؤ، وتوقع أن يعاقب الله شعبه فيرسل إليه عدواً من الشمال يعيث بالأرض فساداً ويهدم القصور ويحمل المواطنين أسرى. وواجه عاموس معارضة من السلطات.

وكان هناك نبي معاصر اسمه هوشع. هذا جاء من الشمال ووجد أن قومه لم يحفظوا العهد مع يهوه، وأن الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي يعانونها هي نتيجة لعدم أمانتهم وعدم إيمانهم. والأكثر من هذا أنهم يبحثون عن أحباء أجانب: فهناك فئة تخطب ودّ الشام، وأُخرى ود مصر، وثالثة ود أشور. وفي الدين يهجرون الإله الحق ليتبعوا البعل. ووقف يوبخهم لانحرافهم: «اسمعوا أقوال الرب يا بني إسرائيل. إن للرب محاكمة مع سكان الأرض، لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفةَ الله في الأرض. لَعنٌ وكذب وقتل وسرقة وفسق» (هوشع ٤ : ١ ـ ٢). وتنبأ بسقوط مملكة الشمال: «يُجلَب إلى أشور هديةً لملكٍ عدو. . . السامرة ملكها يبيد. . . يطلع الشوك والحسك على مذابحهم» (هوشع ١٠ : ٦ ـ ٨). لكنه، على غرار سواه من الأنبياء، نَسب إلى الله عبارات الغفران والمحبة: «ها أنذا أتملقها وأذهب بها إلى البرّية وأُلاطفها. . . وهي تغنّي هناك كأيام صباها وكيَوم صعودها من أرض مصر. . . وأنزع أسماء البعليم من فمها. . . وأخطبكِ لنفسي إلى الأبد، وأخطبكِ لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم) (هوشع ٢: ١٤ ـ ١٩)٨ والراجح أن هوشع لم يلقَ آذاناً سامعة. ومما زاد في خيبته أنه وجد خدام بيت الله أنفسهم يمقتون الأنبياء ويناصبونهم العداء.

ومن أهم الأنبياء إشَعْياء الذي ظهر في مملكة الجنوب (اليهودية) نحو العام ٧٤٠ قبل الميلاد، وراح يصرخ في شوارع أورشليم أن لديه مهمة نبوية بإيكال من يهوه. وظل أربعين سنة يتنبأ بين الشعب، وأحياناً يستشيره ملوك يهوذا. وشدد على الإيمان المستقيم بالله. وما انفك يحذر حكام أورشليم، قائلاً إن سلامة المدينة رهن بوقف المعاهدات مع الأمم المحيطة والاتكال على الحليف الوحيد الذي يمكن الوثوق به، وهو الله. وأبدى تبرمه بالعبادة الشعبية ونحْر الذبائح في الهيكل حيث يسيل دمها وشحمها. وقال للناس إن ممارساتهم عبء على الله، وإنه لن يستجيب لهم لأن أيديهم ملوثة بالدماء. ورأى أن ما يقرر الأحداث ليس القدر الأعمى، بل الله الذي هو المحرك الحقيقي لتاريخ البشر. والله سوف يعاقب الأشرار أينما كانوا في الأرض. لكن إشَعياء، هو الآخر، وجد الشفقة والمحبة والغفران عند الله. والمحبة عنده لبّ الخطة الإلهية: «إنْ كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ كالثلج... إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض» (إشعياء ١ : ١٨ ـ ١٩). ورسمَ صورة لعالم يسوده السلام ويحكمه أمير السلام الذي هو «المسيح»، أي المخلِّص المنتظَر، وهو سيظهر في بيت داود ويؤسس نظاماً جديداً.

وظهر نبي اسمه ميخا، صعد من الجنوب إلى أورشليم وراح يتنبأ عشية سقوط المملكة الشمالية (٧٢٢ ق. م). وتميزت نبوءاته بصفتين: الأولى معارضته للأنبياء الذين يقولون إن أورشليم غير قابلة للخراب، والثانية تعريف عميق لجوهر الدين الصحيح. فعن الأنبياء المضلّين للشعب يقول: «تغيب الشمس عن الأنبياء ويظلم عليهم النهار» (ميخا ٣: ٦). ويشمل غضبه الرؤساء والكهنة: «رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلّمون بالأجرة وأنبياؤها يَعْرِفون بالفضة... لذلك بسببكم تُفلَح صهيون كحقل وتصير أورشليم خِرَباً» (ميخا ٣: ١١ ـ ١٢). ويحدد ميخا جوهر الدين على نحو بسيط جداً، وهو الحق والرحمة والتواضع: «بمَ أتقدم إلى الرب وأنحني للإله العليّ؟ هل أتقدم بمحرقات، بعجول أبناء سنة؟... قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه الرب

إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك؟» (ميخا ٦: ٦ ـ ٨).

إختفاء التنبّؤات:

بعد ميخا اختفت الأصوات النبوية نحو سبعة عقود. وربما مُنع الأنبياء في تلك الآونة من ممارسة مهمتهم. وعندما زال الخطر الأشوري عن أورشليم وارتقى الملك منسّى العرش، عَرفت الديانة انحرافاً جديداً عن مبادىء يهوه الخُلقية والدينية، كان عامله الأول العودة إلى اليهوهية المطعمة بعناصر كنعانية أضفت بعداً عاطفياً وخيالياً على عبادتهم. أما العامل الآخر على الانحراف فكان التبني الرسمي لطرائق العبادة الأشورية، ومن علائمه وضع نصُب للآلهة الأشورية في الهياكل وعلى سطوحها، علماً أن اليهودية كانت تدفع جزية لمملكة أشور. هكذا واجه دين يهوه انحساراً مزدوجاً: واحداً على أيدي الملوك الذين اضطروا إلى إكرام الأشوريين ثمناً لتجنب الاحتلال، والآخر على أيدي الناس الذين راقتهم طرائق العبادة الأقل صرامةً.

وفجأة عادت الأصوات النبوية إلى الظهور. ومن أنبياء تلك المرحلة ناحوم وحَبَقوق وصَفَنْيا. وكلهم أنذروا قومهم من سخط الرب، لكنهم تكلموا عن عدله وصلاحه ورحمته. ومما جاء في سفر صفنيا: «نزعاً أنزع الكل عن وجه الأرض، يقول الرب. . . وأمدّ يدي على يهوذا وعلى كل سكان أورشليم، وأقطع من هذا المكان بقية البعل. . . مع الكهنة والساجدين على السطوح» (صفنيا ١: ٢ ـ ٥). لكن الله يَعِد الصالحين بالخلاص: «وأُبقي في وسطكِ شعباً بائساً ومسكيناً، فيتوكلون على اسم الرب. بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً ولا يتكلمون بالكذب» (صفنيا ٣: ١٢ ـ ١٣).

ولما أخذت الأمبراطورية الأشورية طريقها إلى التهافت والانهيار، وجد الملك يوشِيّا، حفيد منسّى، ظرفاً مناسباً للتجديد الديني. وفي العام ٦٢١ قبل الميلاد أجاز لرئيس الكهنة إجراء بعض الإصلاحات في الهيكل. وما إن بوشر العمل حتى أعلن رئيس الكهنة أنه عُثر على كتاب ناموس يعود إلى الحقبة

الموسوية، كان مخبوءاً في الهيكل. وعُرف هذا الكتاب لاحقاً باسم «تثنية الاشتراع» أو «التثنية». ويُجمع الباحثون على أنه وُضع في عهد يوشيّا، لكنه نُسب إلى موسى لكي يجد فيه الناس ما يقنعهم ويجعلهم يصححون انحرافاتهم ويقبلون الخطوات الإصلاحية الجارية. ولم يكتفِ الملك بأُورشليم، بل طبق إصلاحاته على كل اليهودية. وكانت المذابح والتماثيل الأشورية تُزال وتحوَّل إلى ركام ورماد. وتميزت «التثنية» بمقدار كبير من الدفاع عن الحق والعدل، وإنْ برز فيها التعصب العرقي اليهودي. وتناولت مسائل خُلقية كثيرة، منها حسن معاملة العبيد وتلبية حاجات الفقراء ومنع الثأر قتلاً. إلا أن ذلك الإصلاح لم يُكتب له النجاح حتى النهاية. وربما كان عامل الإخفاق الرئيسي تركيز الدين في أورشليم. فقد صار للكهنة هناك سيطرة تامة على عبادة يهوه. وإذ لم يبقَ لسكان الأرياف رجال دين، صار عليهم الذهاب إلى أورشليم للعبادة. ولكن سرعان ما عاد العامة إلى ممارسة الطقوس التي حظّرها الناموس والأنبياء.

عندئذٍ ظهر صوت نبوي كان أبرز الأصوات في تلك المرحلة، وربما أهم أنبياء اليهود. ذاك هو إرْمِيا الذي اتخذ صفة النذير. لكن إنذاراته المتكررة ذهبت سدى حتى وصل إلى وقت لعنَ اليوم الذي ولد فيه. إلا أنه لم يتوقف البتة عن المجاهرة بنبوءاته. وعندما كان الملوك يستشيرونه، كان يعطيهم الأخبار المشؤومة. من غير مجاملة. لذلك لم يحبه الملوك أكثر مما أحبه الشعب. وفي أيام إرميا سقطت نينوى وحلت بابل محل أشور. وللحال ظهرت منافسة بين مصر وبابل حول السيادة على أُمم الشرق، وصارت اليهودية مسرحاً للصراع الدولي. وفَرضت عليها بابل جزية سنوية باهظة، فيما عادت مصر تعرض عليها التحالف. ولئن سُر الملك والشعب في أورشليم بالدعوة المصرية، فقد وجد إرميا من الحماقة الابتعاد عن الحليف الكلداني القوي واتّباع حليف ضعيف. وحقد عليه مواطنوه عندما راح ينذرهم بحلول غضب يهوه عليهم إذا هم استمروا في خطب ود مصر. ومرة دخل الهيكل ليلقي موعظة قاسية على الشعب، ناقلاً فيها عن الوحي الإلهي أن يهوه سيجعل ذلك البيت خراباً والمدينة لعنة جميع أمم الأرض. وتضامن الأنبياء الآخرون مع

الكهنة والشعب ضد إرميا، طالبين إنزال عقوبة الموت به لجرأته على التنبؤ باسم الرب منذراً بخراب الهيكل والمدينة. لكن الأشراف وعامة الشعب طلبوا له العفو من الكهنة والأنبياء بعدما وضع حياته بين أيديهم، مؤكداً أن الله أرسله ليتنبأ.

ورمى إرميا جميع أنبياء اليهودية في زمنه بالكذب، وحذر الناس منهم: «لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم، فإنهم يجعلونكم باطلاً. يتكلمون برؤيا قلبهم، لا عن فم الرب» (إرميا ٢٣: ١٦). وعندما ثارت اليهودية على بابل وصارت أورشليم تحت حصار جند نبوخذ نَصَّر، راح إرميا يدعو الناس إلى الاستسلام لأنه أفضل من خراب المدينة. وأُسر إرميا في ساحة القصر لأن قادة الجند رأوا في موقفه تثبيطاً لعزيمة محاربيهم، وكاد أن يقضي غرقاً في الوحل قبل أن ينقله الملك إلى مخبأ آمن بناء على التماس حارس حبشي. ولم يعرف إرميا الحرية إلا بعد سقوط المدينة في أيدي البابليين. ولما هُدمت أورشليم عام ٥٨٦ قبل الميلاد، نظر نبوخذ نصّر إلى إرميا بمثابة صديق، فسمح له بالبقاء في اليهودية مع عدد قليل من سكانها، فيما حُمل الآخرون إلى المنفى في بابل. هكذا بدأ «سبي بابل»، وتحققت نبوءات إرميا وقول حبقوق قبله عن لسان الرب: «ها أنذا مقيمٌ الكلدانيين الأمّة المرّة القاحمة السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها... يأتون كلهم للظلم. منظَر وجوههم إلى قدّام، ويَجمعون سبياً كالرمل» (حبقوق ١: ٦ ـ ٩). إلا أن جماعة من العبرانيين، كانت قد اغتالت الحاكم الذي عينه نبوخذ نصّر على اليهودية، أقدمت على خطف إرميا إلى مصر. وهناك تنبأ وقتاً قصيراً قبل أن يختفي. ويُظن أنه قُتل.

لقد كان إرميا نذيراً. وتكلم بلغة صارخة جداً، تثير الهلع في النفوس. لكنه لم يكن متشائماً حتى النهاية، بل ذهب إلى أن الله سوف يعاقب بابل لاحقاً بعد أن يستخدمها لإنزال عقابه العادل على أمم الأرض. بعد ذلك سيعود المسبيون إلى اليهودية، ولن يبقوا هم ولا سكان إسرائيل في خدمة الأغراب،

بل سيخدمون الرب إلههم وداود ملكهم بعد أن يعيده الله إليهم. هكذا، بعد صَهر شعبه في مصهر العذاب العادل، سوف يقيم الله معه عهداً جديداً.

هنا أضاف إرميا بعداً جديداً إلى التقاليد النبوية: فالعهد الجديد سوف يقوم بين الله والأفراد المخلَّصين. أما الأنبياء السابقون فقد ركزوا على العلاقة بين يهوه والعبرانيين، أي الجماعة ككل. ولكن مع إرميا صار العهد مكتوباً في صدور الناس، والمسؤولية شخصية: «في تلك الأيام لا يقولون بعد: الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه... أجعلُ شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (إرميا ٣١: ٢٩ ـ ٣٠، و ٣٣). لقد وضع إرميا المؤمنين في علاقة مباشرة مع الله، كأفراد مسؤولين تجاهه عن أفعالهم. ومن النتائج التي تتبع هذا المنطق أن الخبرة الدينية يمكن أن تكون خبرة ذاتية، قائمة بين الله والفرد. هذا يعني أن عبادة الله يمكن أن تحصل خارج الهيكل أيضاً، وأن عبادة الهيكل ليست دليلاً على العمق الروحي للشخص.

اليهود في بابل:

حصل سبي بابل على ثلاث مراحل، بين ٥٩٧ و ٥٨٢ قبل الميلاد. والواقع أن الفئة الموالية لمصر في أورشليم هي التي سببت انهيار السيادة العبرانية بتعصبها الوطني الأعمى. فقد عملت على إقناع الملك المسنّ يَهُوياقيم بعدم دفع الجزية لملك بابل، وبالانتفاضة على الحكم البابلي بدعم مصري. وما إن عرف نبوخذ نصّر بذلك حتى سارع إلى إخماد الثورة من جذورها. وفي العام ٥٩٧ اقتحم أورشليم بجيش كبير. وبعد ثلاثة أشهر من الحصار، سَلَّم الملكُ الجديد يهوياكين المدينة تجنباً لخرابها الكامل. غير أن البابليين نهبوا الهيكل وحملوا إلى ديارهم عشرة آلاف شخص كانوا، حسب وصف سفر الملوك الثاني (٢٤: ١٤)، «كل الرؤساء وجميع جبابرة البأس... وجميع الصنّاع والأقيان. لم يبقَ أحد إلا مساكين شعب الأرض». وفي بابل سُجن الملك وأُسكن الناس في مستوطنات. أما الذين بقوا في اليهودية فقد خضعوا

لحكم صِدْقِيّا، عمّ الملك المنفي. وبعد تسع سنوات ثار صدقيّا على نبوخذ نصَّر. لكن أورشليم لم تنجُ هذه المرة. ففي العام ٥٨٦، وبعد حصار دام نحو عشرين شهراً حاول خلالها المصريون أن يهبّوا لنجدة المدينة المحاصَرة ولكن من غير جدوى، أُخذت المدينة. وعاث بها البابليون وحلفاؤهم نهباً وفساداً وخراباً. ولم يبقَ فيها حجر على حجر، بما في ذلك الهيكل وتابوت العهد المقدس الذي لم يظهر له أثر بعد ذلك الحين. وقبل أخذ صدقيّا بالأصفاد إلى بابل، قُتل بنوه أمامه ثم قُلعت عيناه. وحُمل المزيد من سكان أورشليم إلى المنفى، ولم يبقَ فيها سوى الناس غير القادرين على شيء، وبينهم إرميا النبي. وأُفرغت المدن المحيطة من سكانها. والعديد من الذين استطاعوا الهرب فروا جنوباً إلى مصر. هكذا شُتِّتت الأمّة، فأصبح جزء منها في بابل وجزء في مصر، وبقي جزء فيها. ومنذ ذلك الحين حجب المؤرخون اسم «العبرانيين» عمّن نجا من المذبحة، وصاروا يسمونهم «اليهود».

وأعطى نبوخذ نصّر اليهود الذين أسكنهم في جواء بابل مقداراً لائقاً من الحرية. فعاشوا بعضهم مع بعض وحافظوا على تقاليدهم. وكانت الأرض التي أسكنهم فيها أكثر خصباً من فلسطين، فأقاموا هناك في راحة وبحبوحة. لكنهم، في البداية، لم يستطيعوا أن ينسوا الأرض التي جاؤوا منها. ونقع على نموذج من حنينهم في أحد المزامير: «على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكّرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علّقنا أعوادنا. لأنه هناك سألَنا الذين سبونا كلامَ ترنيمة... كيف نرنّم ترنيمة الرب في أرضٍ غريبة؟ إنْ نسيتُكِ يا أورشليم تَنْسَني يميني» (المزمور ١٣٧ : ١ ـ ٥).

ولم يكن اليهود كلهم مزارعين في بابل. لكن بعضهم دخل الدوائر الحكومية أو عمل في الجيش، فيما انصرف آخرون إلى التجارة كما فعل سواهم من اليهود في مصر وسوريا. ونمت شهرتهم التجارية خلال القرون. وما هو إلا وقت قصير حتى برز حس معادٍ لليهود في بابل: «فقال هامان للملك أَحَشْويروش إنه موجودٌ شعبٌ ما متشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد

مملكتك، وسنُنهم مغايرة لجميع الشعوب، وهم لا يعملون سنن الملك. فلا يليق بالملك تركهم. فإذا حسنَ عند الملك، فليَكتب أن يبادوا» (أستير ٣: ٨ ـ ٩). ووقف يهود السبي أمام امتحان عسير: هل يَعتبرون أن إلههم خذلهم وأن إله الأمم أقوى منه وأعظم، أم هل يتبعون رأي الأنبياء القائل بأن يهوه هو مع شعبه أينما حلّ، وأنه شعب الله المختار؟ لقد هجر بعضهم، وهو غالبية العامّة، يهوه، وازدهرت حياتهم في بابل. أما الذين قُيض لهم الاستمرار في دين الآباء فكانوا أولئك الذين آمنوا بأن يهوه معهم في كل مكان، وأنه يوجّه مصيرهم ولا يتركهم البتّة.

ولئكن كانت العبادة الكاملة لا تتم إلا في أورشليم، فقد ابتكر المؤمنون في بابل طريقة بديلة. فصاروا يجتمعون يوم السبت في البيوت ويقرأون مقاطع من الناموس والأنبياء. وبعد القراءة كان أحدهم يقود الصلاة. وصارت حلقات السبت من تقاليدهم الراسخة، وهي من العوامل التي أدت إلى نشوء المجمع لاحقاً. وظهرت العظة، التي انتقلت إلى المسيحية، في تلك الاجتماعات المنزلية في بابل. وهي كانت تفسيراً للقراءات من الكتب المقدسة. وقوي النشاط الأدبي أيضاً. وفي بابل تم تأليف الكثير من المزامير. كما ظهر إثنان من كبار الأنبياء، حِزْقِيال وإشَعْياء الثاني.

جاء حزقيال من عائلة كهنة في أورشليم، وسُبي إلى بابل عام ٥٩٧ قبل الميلاد. وتنبأ طوال اثنتين وعشرين سنة وهو يطمح إلى إعادة تأسيس حياة جديدة لشعبه. ويبدو أنه كان أحد قادة الحلقة الناموسية التي نشأت بين يهود السبي وسُميت «حلقة التثنية»، والتي فسر دعاتها التاريخ العبري في ضوء سفر التثنية، كما كتبوا في ضوئه معظم مقاطع القضاة وصموئيل والملوك. ومن الأفكار الرئيسية التي انطوت عليها نبوءات حزقيال طبيعة العهد الذي سيعيش الناس وفقاً له بعد زوال السبي وعودتهم إلى ديارهم، وشكل الخِدَم الدينية. وكان إرميا قد تنبأ بسقوط الهيكل واستعاض عنه بهيكل في القلوب. أما حزقيال فتنبأ بعودة الهيكل واستحالة العبادة بعيداً عنه. من هنا ما فتىء يخطط

لإعادة بنائه وممارسة العبادة فيه. وكان لتصوره أثر كبير على اليهود لاحقاً.

أما إشَعياء الثاني فهو اسم اصطَلح عليه المؤرخون لنبي مجهول السيرة. لكن تعاليمه الخُلقية والدينية هي ذروة ما وصل إليه الدين اليهودي. وقد ضُمت إلى سفر إشعياء، وربما بدأت هناك منذ الأصحاح الأربعين. والمسألة الأساسية عند ذلك النبي هي من المسائل التي ظل يهود السبي يعالجونها طويلاً: ترى لماذا سَمح يهوه بالشر الذي حل عليهم والعذاب المرير لهم؟ الجواب التقليدي كان أن ذلك حصل عقاباً على خطاياهم. لكنه بدا غير كافٍ الآن. فيهود بابل يعيشون حياة هنيئة، وهم ليسوا أقل خطيئةً من أسلافهم. وفي حين لم يرفض إشعياء الثاني ذلك الجواب، فقد أضاف أن الله اختار شعبه لخلاص العالم كله. فالله يحتاج إلى خادم أو رسول لكي يجعل من خطّته أمراً معروفاً. وهذا الخادم هو إسرائيل. فاليهود هم الشعب المختار لخلاص الجنس البشري كله. وهذا يحصل ليس بالتبشير، بل بكونهم مثلاً للأُمم. وفي رأي إشعياء الثاني أن اليهود لم يكونوا أمناء على تلك الرسالة، فدفعوا ثمن خطاياهم كاملاً عندما أحرقهم الله في مصهر العذاب والألم. وتوقع أن يُعتَق اليهود من منفاهم ويعودوا إلى أورشليم، وأن ينهض النور الأزلي وتزول شوكة الشر وتحج كل الأمم إلى المدينة المقدسة لعبادة الله. وبات انتظار المسيح المخلِّص الموعود أمراً شائعاً بعد ذلك الحين. وكان أثر إشعياء الثاني كبيراً على المسيحية الأولى، إذ فَهم أتباعها كلامه عن الرسول والخادم الذي يتحمل العذاب ليخلّص الشعوب بأسرها على أنه كلام عن يسوع وليس عن أُمّة.

عودة اليهود:

أصبحت عودة اليهود من السبي ممكنة، بعدما استولى قورش، ملك الفرس على بابل عام ٥٣٨ ق. م. وجعلها عاصمة لأمبراطوريته العظيمة التي امتدت من الخليج إلى البحر الأسود ومن نهر الأندوس إلى المدائن الإغريقية على الساحل الأيوني. ورغبةً منه في إقامة كيان عازل بالقرب من جدود مصر، سَمح لليهود بالعودة إلى أورشليم. وللحال نُظّمت فئة منهم لتَولّي شؤون العودة

بقيادة زَرُبّابل، أحد أحفاد الملك يهوياكين، ويشوع، وهو كاهن من العائلة الصدوقية اللاويّة. وعاد الألوف من اليهود، فيما بقيت أعداد كبيرة منهم في بابل. ويحوي سفر عَزْرا وصفاً لتلك العودة. وسرعان ما بادر العائدون إلى إقامة مذبح على أنقاض الهيكل قبل إعادة بنائه وفقاً لخطّة النبي حزقيال. لكن أعمال البناء توقفت نحو خمس عشرة سنة بعدما رفع اليهود الذين لم يعرفوا المنفى أيديهم عن العمل لأن العائدين نظروا إليهم نظرة وضيعة. ومن دوافع تلك النظرة أن يهود السبي كانوا قد جعلوا من الناموس شيئاً شكلياً مقدساً خلال سبعين سنة في المنفى، متهمين الماكثين بالانحراف عن الشريعة وبالزواج من الأقوام الأخرى، فضلاً عن إقامتهم في بيوت المسبيّين والمهاجرين.

واستؤنفت أعمال البناء بعد إلحاح النبيَّين حَجَّي وزَكَرِيّا اللذين توقعا أن تعود اليهودية إلى سابق عهدها. وانقضى قرن كامل من غير أن يتحقق الازدهار المنشود، حتى اعتقد الكثيرون أنه غير ممكن. فما كان من مؤلف سفر مَلاخي إلا أن اتهم معاصريه بتلاشي الإيمان وعدم إكرام الله والقعود عن مساعدة الفقراء والعودة إلى تقدمة الذبائح النجسة، متنبئاً بحلول غضب الله عليهم. ووصلت تلك الأخبار إلى اليهود في بابل، فآلمهم أن يكون قومهم «في شَرّ عظيم وعار» (نَحَمْيا ١ : ٣). وقام واحد منهم، وكان ساقي الملك أرتَحْشَشْتا، قائلاً للملك إن حال جماعته في أورشليم تقض مضجعه. ذلك الشاب كان نَحَمْيا، وقد أرسله الملك إلى أورشليم مزوداً إياه بصلاحيات حاكم وطالباً إليه إعادة تنظيم الجماعة والإشراف على بناء أسوار المدينة المهدمة. وفي تلك الأثناء ذهب الكاهن والكاتب عَزْرا إلى أورشليم ومعه نحو ألف وسبعمئة من يهود بابل الذين راحوا يعملون في التوجيه الروحي والخُلقي.

وجمع عزرا اليهود وقرأ عليهم مقطعاً من الناموس وجعلهم يُقسمون على طاعته. ومنذ ذلك الحين ولدت دولة دينية وُضعت سلطاتها في أيدي رجال الدين. أما القَسَم فكان تجديداً لعهد موسى. كما تعهد اليهود بعدم تزويج بناتهم للأُمم ولا بنات الأُمم لأبنائهم. هكذا بدأ مع عزرا «دين اليهود»، وهو

الدين القائم على كتب الناموس (التوراة) المعصومة عن الخطأ. وصار الكهنة أهم شخصيات ذلك الدين. وبذل عزرا ونحميا جهداً لحمل الرجال على التخلي عن نسائهم الأجنبيات وأولادهم منهنّ. ودخل اليهود مرحلة انطواء على الذات جعلت منهم جماعة منغلقة عرقياً ودينياً. وساد دين طقسي يقوم على التقيد الصارم بالفروض الشكلية الخارجية، مثل تقديس السبت والصلاة في هيكل أورشليم أو في المجامع والاحتفال بالأعياد.

وكان من أثر ذلك الانغلاف أن جَعل اليهود، على مر السنين، متكلين تماماً على قادتهم الدينيين. وصار مرجعهم الأعلى رئيس الكهنة المقيم في الهيكل، وهو حاكم أورشليم الديني والزمني المتحدر من سلالة صدوق التي يعود كهنوتها إلى أيام الملك داود. وكان يعمل تحت إمرته الكهنة، ومهمتهم تأدية الخدَم الدينية، واللاويّون، وهم يخدمون الهيكل ويحافظون على مقتنياته ويتولّون العزف والإنشاد خلال الخدمة، والكتَبة الذين نشأ منهم الربابنة أو المعلمون الواعظون في المجامع. وقد تولى الربابنة شرح الكتب المقدسة للناس، بعدما أصبحت العبرية لغة أدبية قديمة وحلت محلها الآرامية السائدة في فلسطين وسوريا آنذاك. كما أعادوا إلى الحياة الدينية في المدن والقرى خارج أورشليم بعض ازدهارها، عبر عقد اجتماعات العبادة واللقاءات الروحية.

وفي بابل كما في أورشليم، شغل الكهنة والكتبة أنفسهم، خلال القرن الخامس قبل الميلاد، بتدوين الكتابات المقدسة، التي كانت متداولة شفوياً حتى ذلك الحين. ووُزعت نسخ كثيرة من أعمال الأنبياء القريبي العهد، مثل ملاخي وزكريا وحجّي وعوبَدْيا وحزقيال وإشَعياء الثاني، وأُعيدت كتابات الأنبياء الأوائل، كما أُنهيت التوراة، وهي الأسفار الخمسة الأولى. وفي تلك الآونة كان المرتلون في الهيكل يستخدمون أو يؤلفون ما صار يكوّن معظم كتاب المزامير. هكذا أصبح نحو ثلثي الكتب المقدسة جاهزاً. وصار اليهود «أهل كتاب»، هو الكتاب الذي أبدعه العبرانيون من خبرتهم الشخصية. وكان من الطبيعي أن تقوم اجتهادات كثيرة في شرح النصوص المقدسة. ونشأت من تلك

الاجتهادات مدارس أصبحت، خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، في أيدي الفريسيين الذين قاموا من صفوف الكتبة.

وعَرف اليهود مرحلة يونانية في تاريخهم بعدما طَرد الإسكندر الكبير جيش الفرس من آسيا الصغرى وسوريا عام ٣٣٢ قبل الميلاد، واحتل فلسطين ومصر. وقبل أن يستولي على ما تبقى من أمبراطورية الفرس، أسس مدينة الإسكندرية التي حملت اسمه، والتي أرادها مركزاً رئيسياً للحضارة الإغريقية. وأقام مدناً أخرى في المنطقة، استقدَم مهندسين وبنائين لإنجازها على غرار المدن اليونانية. وشجع المستوطنين اليونانيين والمصريين والفرس واليهود على السكن في تلك المدن والمشاركة في الحكم الديمقراطي من خلال مجلس بلدي. وقد أحب الإسكندر اليهود وأراد أن يكون لهم وجود قوي في الإسكندرية. ومع الوقت باتوا يحتلون اثنتين من مناطق المدينة الخمس، وربما بلغ عددهم مليوناً في الإسكندرية وحدها. وأحب اليهود الإسكندر، إذ كانت الهلينية التي دعا إليها متسامحة مع الأعراق والأديان المختلفة. وفي أورشليم دخلت عبارات يونانية كثيرة إلى العبرية المحكية، وتأثر الكهنة بالثقافة الهلينية. إلا أن الكتبة والربابنة هناك انكفأوا على أنفسهم، متمسكين بالتوراة وطريقة الحياة اليهودية. ونشروا معارضتهم للهلينية في صفوف الناس الصامتين. وسمي أولئك اليهود المحافظون باسم «الأتقياء» (hasidim).

وقضى الإسكندر في بابل وهو في مقتبل العمر. وخلال مئة سنة، تعاقبت على أرض فلسطين جيوش السلوقيين السورية والجيوش المصرية. وكان اليهود يفضلون المصريين على السوريين. إلا أن السلوقيين انتصروا في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد. وبلغت الهلينية أشدها تحت الحكم السوري حتى كادت أن تطمس اليهودية. ولجأ الملك السلوقي أنطيوخوس إلى القوة لحمل اليهود على عبادة الآلهة اليونانية، وأقام داخل الهيكل في أورشليم مذبحاً على اسم زفس كانت تُنحر فيه الخنازير، وحظر اليهود من ختن أبنائهم ومن تقديس يوم السبت. وبلغ الغليان الشعبي أقصى حدوده، حتى قاد كاهن قرية مسنّ حملة

مقاومة مع أبنائه الخمسة وعدد كبير من الشعب. ودهش المسؤولون السوريون من أحد أبناء الكاهن، وهو يهوذا المكّابي، بعدما هزم عدداً كبيراً من جندهم. وفي العام ١٦٥ قبل الميلاد، استطاع يهوذا استعادة أورشليم وإعادة العبادة التقليدية إلى الهيكل بعد تحطيم المذابح والتماثيل الغريبة فيه. وبعد وقت قصير من تلك الانتفاضة، أصبحت اليهودية مملكة ذات شأن مع أحفاد يهوذا. لكن تلك السيادة لم تدم أبعد من العام ٦٣ قبل الميلاد، وذلك بسبب الصراع الداخلي بين الأحزاب المحلية.

ويؤخذ مما تقدم:

١ ـ أن أناساً كثيرين أقبلوا على احتراف مهنة النبوة لما لها من مزايا جمة فكثر عدد الأنبياء كثرة لا تناسب قلة عدد السكان في البلاد.

٢ ـ وكان لبعض أولئك الأنبياء من قوة الشوكة ما يحبوهم بسلطان يعلو على سلطان الملوك على النحو الذي بلوناه في القرون الوسطى من المتربعين على كرسي البابوية إذ كانوا يورثون الفتن ويشعلون الحروب ويخلعون الملوك وينصبون غيرهم.

٣ ـ وكان بعض أولئك الأنبياء كلما رغبوا في تلقي الوحي هيأوا أنفسهم لذلك بتحريك رؤوسهم حركة راتبة على الإيقاع الموسيقي كفعل الدراويش في حلقات الأذكار، وصنيع الوسطاء الروحانيين في بعض الأحيان.

٤ ـ وقد ظهر الأنبياء أيضاً في الدويلات المتاخمة لإسرائيل ويهوذا، إذ كانت تسودها أحوال وملابسات كالتي مهدت لظهور تلك الطائفة في تينك المملكتين، ولم يكن ثم من فرق سوى أن اليهود المنتزحين عن الفيافي والقفار كانوا يدعون إلى عبادة الإله الجبلي المحارب يهوه على حين أن سكان تلك الدويلات وجلهم من المزارعين الودعاء كانوا يدعون إلى عبادة البعل، وهو إله متحضر مسالم وقد ذاع صيت نبي بني موآب الوثنيين أعدى أعداء اليهود، ذلك المدعو بلعام بن بعور المعروف باسم لقمان الحكيم (بلع = لقم) وقد اشتهر

بالحوار الطريف الذي دار بينه وبين حماره.

٥ ـ وثم قصة عجيبة تبين لنا كيف كان الوحي يتنزل على الناس في ذلك الزمان.

فقد ظل بنو إسرائيل بعد موسى ما ينيف على أربعة قرون يحكمهم من يلقبون بالقضاة، وضاقوا آخر الأمر بهذا الحكم وازداد برمهم به في أعقاب عهد الرائي (أي النبي) صموئيل. «وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل... ولم يسلك إبناه في طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوجا القضاء». (١ صموئيل ٨: ١ ـ ٢).

واستشرى الفساد فاستغلظ التذمر وتنادى القوم بأن يملكوا عليهم ملكاً فأنكر صموئيل ذلك عليهم قائلاً إنه لا ملك إلا يهوه. «قلتم لي بل يملك علينا ملك. والرب إلهكم ملككم». (١ صموئيل ١٢ : ١٢).

ويترتب على هذه السفسطة أن يكون صموئيل هو الذي يفصح عن مشيئة الرب وما الرب إلا صموئيل وفي سنة ١٠٢٥ ق. م هتف الشعب بشاول ملكاً عليه، فلم يغفر صموئيل لشاول أنه غصب منه صولجان الحكم، وزاده سخطاً على شاول أن هذا الملك عد نفسه مديناً بسلطانه للشعب وأنه لم يمض إلى آخر الشوط في تلبية ما للكهان من رغائب وإنفاذ ما لهم من مطالب ولهذا عدوه مارقاً من الدين وأبلغوه أن الرب غيّر رأيه فيه وأصبح شائناً له لا يريد به يسراً. «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً. ندمت على أني قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم لكلامي». (١ صموئيل ١٥ : ١ ـ ١١).

واختار صموئيل داود ليحل محل مسيح الله شاول بعد التخلص منه، ومسحه بالدهن ليوليه ملكاً على إسرائيل. «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً». (١ صموئيل ١٦ : ١٣).

وجعل صموئيل يسخر داود في الكيد لشاول، وقلب المرشح[1] للملك والنبوة ظهر المجن لمليكه العتيد[2]، وأحس شاول بما يبيته له داود من مكايد فأرسل الجند لاعتقاله، ولكن صموئيل أظله بحمايته. لقد نشب الخلاف بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية، وآثر الجند جانب النبي على جانب الملك فشملهم شيخ الأنبياء بعطفه وأدخلهم في زمرة المتنبئين. «فأرسل شاول رسلاً لأخذ داود. ولما رأوا جماعة الأنبياء يتنبأون وصموئيل واقفاً رئيساً عليهم كان روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم أيضاً. وأخبروا شاول فأرسل رسلاً آخرين فتنبأوا هم أيضاً. ثم عاد شاول فأرسل ثالثة فتنبأوا هم أيضاً». (١ صموئيل ١٩ : ٢٠ ـ ٢٦).

كان قدامى الإسرائيليين يتلظون بنار الحسد من البلدان المتاخمة ذات الحضارة المتقدمة لوفرة ما ترتع فيه من خصب وما يفاض عليها من رخاء، وكان الأنبياء اليهود ـ بوجه عام ـ ينقطون ضغناً وسخيمة، فهم يتوجهون إلى إلههم بمثل هذا الدعاء على بابل. «طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة». (مزمور ١٣٧ : ٩).

إنهم ينشدون الآن هذا في كنائسهم على أنغام الأرغن.

وقد نشط أولئك الأنبياء المتعصبون ينثرون التكهنات التي يتوقعون فيها أن تحل النكبات بالبلدان المصاقبة لهم، وبديهي أن تلك التكهنات لم تكن أكثر من تعبيرات شعرية عن آمال بني إسرائيل القومية في استعباد الأمم المجاورة ونهب بلادهم وإخرابها. «لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيدها. وخراباً تخرب الأمم». (أشعيا ٦٠ : ١٢).

لقد تكهن النبي حزقيال بخراب مدينة صور، وبما أن اليهود كانوا أهون من أن ينجزوا ذلك فقد تكهن ذلك النبي بأن خرابها سيتم على يد ملك أجنبي

(١) رشح الصبي: رباه، ومنه قولهم «هو يرشح لولاية العهد» أي يربى ويؤهل لها.
(٢) العتيد: الحاضر المهيأ.

قوي الشوكة هو ملك بابل، وقد أسهب في تكهنه هذا حتى استغرقت تفصيلاته ثلاثة إصحاحات بتمامها، فمن ذلك قوله: «لأنه هكذا قال السيد هأنذا أجلب على صور نبوخذ نصّر ملك بابل من الشمال ملك الملوك بخيل وبمركبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير. فيقتل بناتك في الحقل بالسيف. . . بحوافر خيله يدوس كل شوارعك. يقتل شعبك بالسيف فتسقط إلى الأرض أنصاب عزك. وينهبون ثروتك ويغنمون تجارتك ويهدون أسوارك ويهدمون بيوتك البهيجة ويضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه». (حزقيال ٢٦: ٧ ـ ١٢).

ولكن نبوخذ نصّر لم يهدم مدينة صور بل هدمها الإسكندر بعد زمن نبوخذ نصّر بـ ٢٤٠ سنة ثم أعيد بناؤها ولم تزل منذ ذلك الحين عامرة بالألوف من أهلها.

وكان النبي أشعيا يتمنى أن «تصير بابل بهاء الممالـك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة. لا تعمر إلى الأبد ولا تسكن إلى دور فدور. . . ويملأ البوم بيوتهم». (أشعيا ١٣: ١٩ ـ ٢١).

ولكن أمنيته لم تتحقق وما زالت تلك المدينة باقية حتى الآن يعرفها الناس باسم «الحلة».

وكذلك لم تتحقق أمنيته بصدد دمشق وقد أفصح عنها في قوله: «وحي من جهة دمشق. هو ذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم». (إشعيا ١٧: ١).

كما لم تتحقق أمنية معاصره وزميله أرميا حيث يقول: «ارتخت دمشق والتفتت للهرب. أمسكتها الرعدة وأخذها الضيق والأوجاع كماخض. . . لذلك تسقط شبانها في شوارعها وتهلك كل رجال الحرب في ذلك اليوم يقول رب الجنود. وأشعل ناراً في سور دمشق فتآكل قصور بنهدد». (إرميا ٤٩: ٢٤ ـ ٢٧).

وقد مر على دمشق بعد ذلك زهاء ستة وعشرين قرناً دون أن تلتهمها النيران وتحولها كومات من الأنقاض وقد كانت غوطة[1] دمشق وما برحت واحدة من منازه الدنيا المعدودة فهي جنة فيحاء يتفيأ ظلالها قرابة سبعمئة ألف من النسم.

وكان أولئك الأنبياء أشد ما يكونون حقداً على مصر، فهم لا يفتأون يدعون عليها بالخراب والثبور[2] ويتوقعون لها ـ أو بالأحرى يتمنون لها ـ أن تذل وتصبح هدفاً لشماتة الأعداء. «وأشتت المصريين بين الأمم وأذريهم في الأراضي وأشدد ذراع ملك بابل وأجعل سيفي في يده. وأكسر ذراعي فرعون فيئن قدامه أنين الجراح». (حزقيال ٣٠: ٢٣ ـ ٢٤).

«ويأتي سيف على مصر... من مجدل إلى أسوان يسقطون فيها بالسيف... إني أبيد ثروة مصر بيد نبوخذ نصّر ملك بابل... وأضرم ناراً في مصر... وأشتت المصريين بين الأمم وأذريهم في الأراضي». (حزقيال ٣٠: ٤ ـ ٣٣).

وقد خاب فأل حزقيال في ذلك كله، فلم يتشتت المصريون بل كان الشتات مصير اليهود وكذلك خاب فأل أشعيا حيث قال: «وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وتنشف المياه من البحر ويجف النهر وييبس. وتنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر... في ذلك اليوم تكون كالنساء فترتعد وترجف من هزة يدرب الجنود التي يهزها عليها وتكون أرض يهوذا رعباً لمصر». (أشعيا ١٩: ١ ـ ١٧).

لقد أفقد الحقد على مصر أولئك الأنبياء اتزانهم حتى طوعت لأشعيا نفسه

---

(١) الغوطة: مجتمع النبات والماء. وغوطة دمشق موضع بالشام كثير الماء والشجر وهي إحدى الجنان الأربع.

(٢) ثبر: هلك، ومنه أعوذ بك من دعوة الثبور. ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبوراً﴾. [الانشقاق ١٠ ـ ١١].
أي يدعو الله أن ينزل عليه الهلاك.

أن ينضو عنه ثيابه ويمشي عارياً في الأسواق كاشفاً عن سوأته يدعو إلهه أن يسلط أشور ذات البأس والجبروت على أهل مصر فتلحق بهم هزيمة ماحقة وتسوقهم إلى بلادهم يرسفون في أغلال الأسر وهم عراة حفاة على النحو الذي يعرضه أشعيا على يهوه متخذاً من نفسه وسيلة إيضاح. «في ذلك الوقت تكلم الرب عن يد أشعيا بن آموص قائلاً. اذهب وحل المسح عن حقويك واخلع حذاءك عن رجليك ففعل هكذا ومشى معرى وحافياً [(١)] فقال الرب كما مشى عبدي أشعياء معرى وحافياً ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش [(٢)] هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة مكشوفي الأستاه خزياً لمصر» [(٣)]. (أشعيا ٢٠ : ٢ ـ ٤).

أجل، لقد كان أولئك الأنبياء كثيراً ما يعوزهم الاتزان فيأتون من السخافات أشكالاً وألواناً. انظر إلى حزقيال وهو يبدي استياءه من الأحوال التي تسود البلاد معلناً في أسلوب فج [(٤)] أنه سيخبز خبزه على الغائط الذي يخرج من الناس. «وتأكل كعكاً من الشعير. على الجزء الذي من الإنسان تخبزه أمام عيونهم». (حزقيال ٤ : ١٢).

وانظر إلى هوشع يبدي مسوغات زواجه إحدى المومسات. «قال الرب لهوشع إذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى. لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب». (هوشع ١ : ٢).

ولا عجب في أن يتزوج نبي من بني إسرائيل بمومس بعد أن افترع النبي

---

(١) وقد سبقه إلى ذلك الملك داود وإذ تعرى ورقص أمام الرعية فزجرته فانتقم منها. (٢ صموئيل ٦ : ٢١).

(٢) الكوشيون هم سكان شرق أفريقيا أي الصوماليون والأحباش وسكان شمال السودان.

(٣) من الواضح أن أشعيا كان يعني بتكهناته هذه أن تلك الأحداث ستقع في زمنه هو أو بعده بقليل لا في أيامنا هذه. فمن الخطل أن يلتمس بعضهم في تلك التكهنات المشؤومة وفي أسرار الهرم الأكبر المزعومة دليلاً على شر متوقع في هذا العصر.

(٤) الفج من كل شيء: ما لم ينضج.

الإسرائيلي لوط ابنتيه. «فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. . . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما». (تكوين ١٩ : ٣٣ _ ٣٦).

وبعد أن تخلى أبو أنبيائهم إبراهيم عن امرأته سارة لفرعون وأصاب من جراء ذلك ثروة وافرة. «وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال».

ثم تخلى عنها مرة أخرى لآخر من ملوك الممالك المجاورة [١]. «وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة». (تكوين ٢٠ : ٢).

وبعد أن سار ابنه إسحٰق أبو إسرائيل على خطاه. «وسأله أهل المكان عن امرأته. فقال هي أختي. لأنه خاف أن يقول امرأتي لعل أهل المكان يقتلوني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر». (تكوين ٢٦ : ٧).

---

(١) وقد تبين بعد مراجعات حسابية لم يفطن إليها كتّاب التوراة أن سارة كانت في ذلك الوقت تناهز التسعين من عمرها، فتأمل.

أهمية يهوه في الدين العبري

مر العبريون بمختلف المراحل العقائدية التي مر بها غيرهم من العشائر البدائية، فانتقلوا من المذهب الطبيعي (ناتورزم) إلى المذهب الحيوي (أنيمزم) وعبدوا قوى الطبيعة كالشمس والقمر والكواكب والأشجار والأحجار وعرفوا الآلهة المتعددين ذوي الاختصاصات المحدودة ولبثوا يعبدونها دهراً قبل أن يتجهوا صوب الإله الواحد.

وكان من أسماء آلهتهم القدامى «إيل» أم ومن ثم فإن يعقوب (إسرائيل) «أقام هناك مذبحاً ودعاه أيل إله إسرائيل». (تكوين ٣٣: ٢٠).

وقد عبدوا «أناث» ملكة السماوات وهي آلهة سامية قديمة. «بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا في أرض يهوذا وفي شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نرَ شيئاً». (أرميا ٤٤: ١٧).

وعبدوا كذلك «أشيما» إله النار والأوبئة عند البابليين.

وقد كان «يهوه» أيضاً إلهاً للنار وذلك ما جعله يتراءى لموسى في شجيرة مشتعلة. «وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق». (خروج ٣: ٢).

كما أنه كان إلهاً للأوبئة. «قدامه ذهب الوبأ وعند رجليه خرجت الحمى». (حبقوق ٣: ٥).

ويعتقد بعض الباحثين أن يهوه هو مالك Moleck الذي كانوا يحرقون أطفالهم تضحية له والذي بنى له الملك سليمان «مرتفعة» يعبدونه فيها. «حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون». (١ ملوك ١١ ـ ٧).

ومولك معناها ملك، وقد كان، «ملك» من ألقاب يهوه المعروفة. ويبدو أن كلاً من يهوه ومولك قد عبد في صورة العجل.

كان يهوه أول أمره إلهاً من آلهة الطبيعة. كان إلهاً للجبال ثم أصبح إلهاً قبلياً مقاتلاً لأن رجال القبيلة التي عبدته كانوا مقاتلين مظفرين ذوي شوكة وبأس، وظل هذا شأنه حتى السبي البابلي، ثم شملته حركة الترقيات فأصبح عميداً للآلهة في فلسطين على مثال مردخ Merodach في بابل وزيوس Zeus في اليونان، ولهذا نرى سفري التثنية ويشوع يصوران يهوه في صورة الطاغية الذي يهيمن على سائر الآلهة. إله الآلهة الرب، إله الآلهة الرب، هو يعلم». (يشوع ٢٢ : ٢٢).

ولسنا نعرف متى ظهر اسم يهوه أول مرة والأرجح أن ذلك كان بعد أن استوطن اليهود كنعان. وكان النطق بهذا الإسم محظوراً إلا في مقامات خاصة. «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرىء من ينطق باسمه باطلاً. . .». (خروج ٢٠ : ٧).

وكانوا يكتبون اسم يهوه بالأحرف الأربعة ي. هـ. و. هـ. J.H.V.H. دون أن يدعم بأحرف العلة أي دون أن يضبط بعلامات الشكل لخلو اللغة العبرية منها إذ ذاك وهكذا ورد اسمه في «الماصورا»[١] ومن ثم كان من الممكن أن يقرأ الإسم «يهوه» أو «ياهو» وقد ظهر الإسم الأخير مضافاً أو مضافاً إليه في بعض أسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس مثل «ايلياهو» ومعناه

---

(١) وهو كتاب قراءات التوراة ويتضمن متن التوراة وعلى هامشه تعليقات مسهبة لضبط الألفاظ المكتوبة.

ربي هو ياهو «ياهوملك» ومعناه ياهو ملك.

ولما ابتكرت علامات ضبط الحروف العبرية في القرن السابع الميلادي كان رجال المقارىء في لسيناجوج (العبد) يتورعون عن النطق باسم الله، إذ كان ذلك محرماً على اليهود كما هو محرم على بعض الشعوب البدائية الأخرى، ولهذا جعلوا يستخدمون بدلاً من «لفظ الجلالة» كلمة «أدوناي» أو «أدونا» أي ربي، وقد أثرت هذه الوساوس والشكوك في أصحاب الترجمة السبعينية[1] فكانوا يتحامون ذكر اسم الله إلا فيما ندر وأدرجوا بدلاً منه كلمة هوكوريوس» أي الرب. وركب اليهود آخر الأمر لكلمة يهوه أحرف العلة التي بكلمة أدونا Edona فأصبح الإسم يكتب على وزانها Je Ho Va H وينطق Jahweh يهوه.

ومعنى هذا الإسم سر مجهول وقد يكون معناه «أنا الذي (هو أنا)» أو «الخالد». وفي كتاب الفرس المقدس يقول أهورا مزدا لزرادشت أنا الذي هو أنا». وفي «كتاب الموتى» يرمز قدماء المصريين إلى الحياة بكلمة «عنخ» ومعناها «ذاك الذي يعيش».

وقد انتابت دين اليهود تغيرات تترى لم تقتصر على أن استبدلت باسم إبرام مؤسس هذا الدين اسم إبراهيم وباسم الجماعة القومي «إسرائيليون» اسم يهود بل شملت كذلك اسم الله، فكان:

الوهيم في قصة نوح.
الشداي في قصة إبرام.
يهوه في قصة يعقوب.

وكان هذا الإله في بادىء الأمر يلقب نفسه بـ«إله إبراهيم وإسحٰق

---

(١) اشترك نحو سبعين عالماً قبل الميلاد بقرن ونصف قرن في ترجمة «العهد القديم» في الإسكندرية من العبرية إلى اليونانية ليستفيد بهذه الترجمة اليهود الموطنون بمصر ومن إليهم...

ويعقوب». «وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل. يهوه إله إبراهيم وإله إسحٰق وإله يعقوب أرسلني إليكم». (خروج ٣: ١٥).

ثم أصبح يلقب نفسه بـ «إله العبرانيين». «تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا». (خروج ٣: ١٨).

ثم بإله إسرائيل. «وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية». (خروج ٥: ١).

ولم يدع قط أنه إله البشر أجمعين، بل هو على النقيض من ذلك أقر بأن ثمة آلهة آخرين وأبدى غيرته منهم، فقد كانت السماء في ذلك الوقت تغص بالآلهة، منهم عشتروت إلٰهة الصيدويين وكموش إله المؤآبيين وملكم إله العمونيين وهلم جراً. ولم يكن إله العبرانيين إلا واحداً من أولئك الآلهة القبليين الذين كانوا يعبدون في عهد البداوة، وقد جعل أولى وصاياه العشر «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي...». (خروج ٢٠: ٣).

وكرر هذا المعنى غير مرة. «فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكل أمامة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عبر النهر وفي مصر واعبدوا الرب...». (يشوع ٢٤: ١٤).

«من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك...». (خروج ٢٢: ٢٠).

ونرى من حديث يفتاح الجلعادي إلى ملك بني عمون في أمر كموش إله المؤابيين أن يفتاح كان يعد كموش إلهاً حقاً مثل يهوه. «والآن الرب إله الإسرائيليين قد طرد الأموريين من أمام شعبه إسرائيل أفأنت تمتلكه. أليس ما يملكك إياه كموش تمتلك وجميع الذين طردهم الرب إلهنا من أمامنا فإياهم نمتلك...». (قضاة ١١: ٢٣ ـ ٢٤).

كان عباد يهوه يعتقدون أنه الإله الواحد عندهم ولكنهم لم يكونوا يعتقدون أنه الإله الوحيد في العالم كله، وكانوا يتحدثون عنه بقولهم «ربنا» أي رب بني إسرائيل وحدهم، وكانوا يفاخرون به الشعوب والقبائل المتاخمة التى

تعبد آلهة يراها اليهود دون يهوه شأناً. «لا مثل لك بين الآلهة يا رب». (مزمور ٨٦: ٨).

«لأني عرفت أن الرب عظيم وربنا فوق جميع الآلهة...». (مزمور ١٣٥ : ٥).

وسقط أخزيا من الكوة التي في عليته التي في السامرة فمرض وأرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من المرض. فقال ملاك الرب لأيليا التشبي. قم اصعد للقاء ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد في إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون». (٢ ملوك ١ : ٢ ـ ٢).

«أيها الرب إله إسرائيل. ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من تحت». (١ ملوك ٨: ٢٣).

مميزات يهوه:

كان لبعض الفرق اليهودية آلهة محليون بقي طرف من آثار عبادتهم حتى زمن أرميا عندما غزا البابليون يهوذا «لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا». (أرميا ١١: ١٣).

أجل كانت عبادة بني إسرائيل للآلهة المحليين قد اضمحلت بوجه عام عندما توثقت عرى الوحدة السياسية في أيام داود وسليمان وتركزت العبادة في الهيكل الذي بناه سليمان (٩٧٠ ـ ٩٣٦ ق. م) في أورشليم، لولا أن تلك الوحدة ما نشبت أن انفرط عقدها إذ انقسمت مملكة اليهود عقب موت سليمان إلى مملكتين صغيرتين:

١ ـ إسرائيل في الشمال وحاضرتها السامرة، وقد دمرها الأشوريون سنة ٧٢٢ ق. م بقيادة سرجون الثاني ووضعوا نهاية لتلك المملكة.

٢ ـ يهوذا في الجنوب وحاضرتها أورشليم[١] وقد أخربها البابليون بقيادة ملكهم بختنصر[٢] سنة ٥٨٦ ق. م وسبوا عدداً غفيراً من أهلها ساقوهم إلى بابل حيث عاشوا عبيداً مسخرين إلى أن غزا الملك الفارسي كيروش (قورش) الكبير بابل سنة ٥٣٨ ق. م وأطلق من بها من اليهود وقد أشربوا حضارة أعرق من حضارة العبريين وأرقى، وخبروا ما كان للبابليين من مناسك واحتفالات تعبدية وقصص دينية فلما قفلوا إلى إسرائيل إذا هم يجدون من بقوا فيها من الطغام قد لابسوا من حولهم من الشعوب وتطبعوا بطباعهم وعبدوا آلهتهم، فلم يجد الكهنة بداً من التنديد بأولئك الآلهة الأجناب. وكان من أثر الذلة التي ضربت على بني إسرائيل في الأسر زهاء نصف قرن أن عمدوا إلى التشبه بإلههم القومي والأزورار عن منافسيه. ولكن ذلك لم يكن هو التوحيد بالمعنى العلمي للكلمة.

وقد فند و. روبرتسن سميث القول بأن اليهود أسهموا في إدخال التوحيد على العقائد الدينية وأوضح أن ما يسمونه الاتجاه نحو الوحدانية إن هو إلا الاتحاد بين الدين والحكم الملكي.

ونحن حين نتحدث عن وحدانية الله نتحدث ضمناً عن البعث في يوم الدينونة ومجازاة المسيء بالعقوبة والمحسن بالمثوبة، فذلك من متممات معنى الألوهية ووحدانيتها، وبغيره يكون الإيمان بالوحدانية ناقصاً غير تام، بيد أن اليهود لم يكونوا يؤمنون بالبعث والجزاء بعده ولم يكن يدور في أخلادهم شيء عن النعيم والجحيم في الدار الأخرى ولم يعرفوا شيئاً من أمر الملائكة المجنحين إلا بعد أن شاهدوا صورها في الآثار البابلية مدة سبيهم في بابل، ولهذا عد النقاد ذكر الملائكة في الآية. «وسمعت صوت إنسان بين أولاي فنادى وقال يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا. . .». (دانيال ٨: ١٦).

---

(١) أي مدينة السلام.

(٢) وترسم المطبوعة العربية من الكتاب المقدس اسمه هكذا «نبوخذ نصّر» والرسم الصحيح هو نبوكودور وزور Nabu-Kudur-Uzur.

دليلاً قاطعاً على أن سفر دانيال لم تخطه يراعة النبي دانيال عند سقوط بابل في يدي قورش سنة ٥٣٨ ق. م بل كتبه آخرون بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة حول سنة ١٦٤ ق. م.

أجل، كان اليهود يعتقدون أن من أثم منهم لقي عقابه في العاجلة، فرتبوا على ذلك أنه إذا أصاب امرءاً منهم أذى في نفسه أو في عياله أو ماله كان ذلك دليلاً على أنه سلف له اقتراف إثم كبير يطلقون مخيلاتهم في تصوره ويلصقونه به.

ولما برهنت المشاهد المتكررة على فقدان الارتباط بين ما يأتيه الإنسان من خير أو شر وما يلقاه في حياته من هناءة أو شقاوة[1] لم يكن هناك مناص من القول بأن العقاب والثواب يحدثان في حياة أخرى بعد الموت. وقد وردت أول إشارة في العهد القديم إلى يوم كيوم البعث في سفر أشعيا، وقد عاش أشعيا في نحو القرن الثالث ق. م.

إن القول بأن فكرة الوحدانية طرقت أذهان العبريين في سيناء خطأ لا يقل في جسامته عن القول بأن لغات البشر كان منشؤها عند برج بابل. لقد كانت أمخاخ العبريين الذي نحلهم أحفادهم ابتكار الوحدانية لا تسمو كثيراً على مخ الإنسان الشبيه بالقرد، فلم يكن في طوقهم أن يتصوروا صورة ثقافية كهذه. وكل ما حدث هو أن موجة من التعصب القومي غمرت اليهود في زمن متأخر أثر عودتهم من السبي البابلي، وأن رجال الكهنوت آنسوا في هذا الاتجاه كسباً أدبياً ومغنماً مادياً لهم فعاضدوه وناصروه[2].

---

(١) وقد عرضوا لهذا الموضوع على نحو ما في سفر أيوب...

(٢) وكان أشهر الذين حملوا على تعدد الآلهة وعبادة الأصنام متنبىء برز بين اليهود المسبيين في بابل ومضى يبشرهم باقتراب زمن تحررهم وحلول الكوارث بآسريهم، وهو كاتب الإصحاحات ٤٠ إلى ٥٥ من سفر أشعيا، وليس يعرف اسمه ولكن القوم تواضعوا على تسميته أشعيا الثاني. «بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه.. الذين يفرغون الذهب من الكيس والفضة بالميزان يزنون يستأجرون صائغاً ليصنعها إلهاً يخرون =

ومن ثم أمسك يهوه عن الشرك بنفسه وانثنى ينادي بأنه الإله الأوحد لا إله غيره. «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي...». (أشعيا ٤٥: ٥).

وأقبل يزعم أنه هو الذي فطر السماوات والأرض وبرأ الخليقة طراً وأنه هو الذي يحفظ على الكون كيانه ويصرف أموره ويزجي السحب لتهمي أفاويقها[1] على شعبه المختار فتخرج الأرض لهم ثماراً يقتاتونها وتنبت لماشيتهم كلاءً تعتلفه.

وهكذا كملت صورة الإله الواحد يهوه، الذي لم يخلق اليهود بل كان اليهود هم الذين خلقوه فجاء على صورتهم وفي مستواهم العقلي[2] وناهيك. «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا...». (تكوين ١: ٢٦).

والمقصود بالشبه هنا هو الشبه في شكل الجسم. وفي الحق أنه لمن العسير أن يتصور المرء إلهاً ذا شخصية[*] على هيئة حصان أو عصفور أو ما إلى ذلك فمن المألوف ذهناً أن يقترن الشكل بالمقدرة العقلية. وقد وصف بعضهم الله بأنه «روح» فلم تنقل هذه الكلمة إلينا معنًى واضحاً. إن محاولة تجريد الله من الشكل تنتهي بنا إلى مذهب وحدة الوجود القائل بأن الله حال بكل شيء.

ويوصف يهوه بأنه مشاكل للإنسان[3] في شكله وعواطفه وأسلوب معاشه

= ويسجدون يرفعونه على الكتف. يحملونه ويضعونه في مكانه ليقف. من موضعه لا يبرح. يزعق أحد إليه فلا يجيب. من شدته لا يخلصه». (أشعيا ٤٦: ٥ ـ ٧).

(١) الفيانة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الجلبتين ـ أفاويق. والأفاويق ما اجتمع من السحاب، فهو يمطر ساعة بعد ساعة.

(٢) ولا غرو في ذلك فإنه لم يخلق قط إله يسمو فوق مستوى عابديه، بل إن الإله كان أحرى أن يمثل أدنى فئاتهم.

(*) وهو الذي تنادي به الأديان وتعزو إليه أنه يتحكم في الكون وأن مصير أفراد الناس رهن بمشيئته فهو يحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بما صنعوا، وذلك بخلاف الإله غير ذي الشخصية Impersonal God وهو الذي ترى طائفة من المفكرين أنه خلق العالم وأودعه قوانين ثابتة يسير بمقتضاها ثم انقطعت بعد ذلك كل صلة مباشرة له بشؤون الخليقة ومصير الإنسان، ومن ثم فلا عقاب ولا ثواب.

(٣) Anthropomorphie وهذه الكلمة تتركب من لفظين يونانيين Anthropos ومعناها إنسان =

فهو يسكن في بيت. «حينئذ تكلم سليمان. قال الرب إنه في الضباب. إني قد بنيت لك بيت سكنى مكاناً لسكناك إلى الأبد». (۱ ملوك ۸: ۱۲ ـ ۱۳).

«ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه...». (متى ۲۳: ۲۱).

وهو يفرض على عابديه فرائض من حيوانات... «صحيحة لا عيب فيها». (عدد ۱۹: ۲۰).

ويطلب إليهم إتحافه بالبواكير من ثمار الموسم ويسلط السباع الضارية والحيات اللوادغ والأوبئة الفتاكة على من يعصيه ويخالف عن أمره.

وله مثل ما لنا من جوارح. «ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بأصبع الله...». (خروج ۳۱: ۱۸).

= و Morphe ومعناها شكل وكلمة شاكلة تعني مائلة، تقول في فلان مشاكله من أبيه أي شبه منه.

ويختلف الآلهة المشابهون للإنسان عن أولئك المشابهين للشمس وما إليها من الأجرام الطبيعية، مثل مردك وأمون وأتون.

ولقد أدّى بالناس اعتقادهم في مشاكلة الله لهم ومداخلته إياهم في شؤونهم إلى شل أذهانهم وعرقلة تقدمهم وإلى قعودهم عن تقصي أسباب المرض لأنه كان في حسبانهم عقاباً لهم من الله على ما اقترفوا من آثام، ومن هنا ثارت ثورة رجال الدين عندما لجأ الجراحون أخيراً إلى استخدام مواد التخدير (البنج) وأعلنوا أن الله فرض الألم على بني آدم عقاباً لهم على خطاياهم، وأن تلطيف آلام الولادة يخالف نصاً صريحاً في التوراة هو: «بالوجع تلدين أولاداً». (تكوين ۳: ١٦).

وأنكروا على المتمدنين المهذبين أن يستعينوا في أكلهم بالشوكة والسكينة، محتجين بأن الله خلق لنا الأصابع لنأكل بها. وعندما اخترع بنيامين فرنكلين قضيب الصاعقة قالوا أنه اخترع «قضيب الكفر والإلحاد» ليسلب الله مقدرته على إيقاع العقاب بمن يثيرون غضبه. وعندما اخترع توماس أ. أديسون المصباح الكهربائي زعموا أن هذا المصباح يبطل ما اقتضته مشيئة الله من جعل العالم مظلماً في الليل. ووصفوا الطائرة التي اخترعها الأخوان «رايت» بأنها مخترع إلحادي تجديفي سوف يتخذ لاقتحام ملكوت الله وبأنها إهانة طائرة إلى وجه الله وهلم جرا.

وله حواس كحواسنا، ومن ذلك أنه شم ريح القتر مما شواه له نوح من اللحم بعدما رست به سفينته على البر عند انحسار الطوفان. «فتنسم الرب رائحة الرضا». (تكوين ٨: ٢١).

وتنتابه انفعالات كانفعالاتنا: فهو مستشيط غضباً ثم يبوح[1] غضبه فيمسك عن الاسترسال فيه. «فحمى غضب الرب على موسى...». (خروج ٤: ١٤).

«وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى. الآن رد يدك». (صموئيل ٢٤: ١٦).

وهو يغار من الآلهة الآخرين. «فإنك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو»[2]. (خروج ٣٤: ١٤).

ويغار من مخلوقاته، فقد طرد آدم من جنة عدن لأنه هدى النجدين [3] وميز بين السبيلين سبيل الخير وسبيل الشر عندما أكل من ثمار شجرة معرفة الخير والشر، وكانت المعرفة بهما حتى ذلك العهد مما انفرد به الآلهة دون البشر. «وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر». (تكوين ٣: ٢٢).

وقد أغرق الخلق بالطوفان، لم يستثن منهم غير نوح وذريته، ثم أثار الفرقة بين تلك الذرية لكيلا يتسنى لهم بناء مدينة في أرض شنعار، وهي المدينة التي كفوا عن ابتنائها وأسميت بابل. «وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن

---

(١) باخ الحر والحمى والغضب: سكن وفتر.

(٢) الترجمة الصحيحة هي: لأن الرب الذي اسمه الغيور هو إله غيور.

(٣) النجد: المكان المرتفع ويراد به هنا الطريق. قيل في تفسير الآية ﴿وهديناه النجدين﴾ إن النجدين هما الطريقان، أي طريق الخير وطريق الشر.

يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض. فكفوا عن بنيان المدينة. (تكوين ١١ : ٦ ـ ٨).

لقد جعل الإسرائيليون إلههم صورة منهم، وقد رسم الكهنة هذه الصورة بمداد من الدم فإذا هو إله راعب يلتذ الأنين والتنهدات يظل الإنسان ما عاش يرتجف بين يديه من الهلع غير السمع والطاعة فليس له. ولقد عزوا إلى هذا الإله أقوالاً من بنات أفكارهم ونحلوه أعمالاً من تلفيق مخيلاتهم، ووصفوه: بأنه وحش مفترس. فإني أنا مفترس وأمضي آخذ ولا منقذ». (هوشع ٥: ١٤).

«أصدمهم كدبة مثكل وأشق شغاف قلبهم وآكلهم هناك كلبوة يمزقهم وحش البرية». (هوشع ١٣ : ٨).

وبأنه غشاش مخادع. «فقلت آه يا سيد الرب حقاً إنك خداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس». (أرميا ٤ : ١٠).

«قد أقنعتني يا رب فاقتنعت وألححت علي فغلبت»[1] . (أرميا ٢٠ : ٧).

وبأنه ولوع بالخمر. «فقالت الأشجار للكرمة تعالي واملكي علينا فقالت لها الكرمة أأترك مسطاري الذي يفرح الله والناس وأذهب لكي أملك على الأشجار». (قضاة ٩: ١٢ ـ ١٣).

وبأنه أكول منهوم، زار خليله إبراهيم ذات يوم وتناول الطعام عنده هو وإثنان من ملائكته فأكرم إبراهيم وفادتهم وأحسن قراهم. «ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم. وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا». (تكوين ١٨ : ٨).

---

(١) الترجمة العربية تفتقر إلى الأمانة وصوابها هو: قد خدعتني عن نفسي فخدعت لأنك أقدر مني.

وأولم له نوح وليمة شواء عقب انحسار الطوفان، كما سلف، فعفا عن البشر وآلى إلى نفسه ألا يغرقهم بالطوفان مرة أخرى. «وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان». (تكوين ٨: ٢٠ ـ ٢١).

ورموه بالعجز «وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد». (قضاة ١: ١٩).

وهي ترجمة تفتقر إلى الأمانة وصوابها: ولكنه (الرب) لم يقوَ على دحر سكان الوادي... إن صورة هذا الإله الغضوب الذي يشير إلينا بأصبعه متهدداً وهو يصرخ في وجوهنا: لا تفعلوا كذا وإياكم وكذا وويل لمن يفعل كذا، هي أكبر عثرة في سبيل الإنسانية الساعية إلى تحرير نفسها من الخوف والجهل وإلى تطهير ذهنها من أساطير الهمج البدائيين.

الأثر الإغريقي والفارسي في الدين اليهودي:

بيان الأثر الإغريقي واضحاً في الكتابات اليهودية وبنوع خاص في أسفار أيّوب والأمثال والجامعة التي ضُمت إلى الكتاب المقدس، وعدد من الأسفار التي لم تجد طريقها إليه، مثل حكمة سليمان. وفي المقاطع الأخيرة من سفر الأمثال أثر يوناني قوي. ويبدو أن كاتب سفر الجامعة حاول المصالحة بين الأفكار اليهودية واليونانية، وربما دفعته تلك المحاولة إلى أن يرى كل فكر وكل جهد إنساني «باطل الأباطيل». إلا أن الأثر الهلّيني على اليهودية بلغ ذروته في الإسكندرية حيث حاول فيلون، وهو مفكر يهودي معاصر للمسيح (توفي عام ٥٤ للميلاد)، التوفيق بين الفكر الإغريقي والدين اليهودي، فتوصل إلى مفهوم «الكلمة» التي فاضت من الله ومنها تكوّن العالم. ويظهر أثر هذا النمط من التفكير في إنجيل يوحنا وكتابات آباء الكنيسة الأوائل. وكانت مجموعة من سبعين عالماً قد باشرت ترجمة الكتب اليهودية المقدسة إلى اليونانية. وبُدئت

الترجمة في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد، لكنها لم تتم إلا في أيام المسيح. وعُرفت بالسبعينيّة نسبةً إلى عدد الفريق الأصلي من المترجمين.

لكن الأثر الفارسي على الدين اليهودي كان أقوى من الأثر الإغريقي. وقد عَرف اليهود الديانة الزردشتية في بابل، وراقتهم فيها الأفكار التي تتناول الشيطان والملائكة والمخلِّص المنقذ واليوم الأخير والثواب والعقاب. وبدت تلك العناصر ضرورية لسد الثغرات في العقيدة اليهودية. ويحوي سفر زكريا، الذي كُتب بعد السبي، أول وصف للشيطان في الكتاب المقدس، إذ نجده يتجادل مع ملاك مرسَل من الله. كما يظهر الشيطان هناك في صفة المجرِّب، وهو معادل للحيّة في جنة عدن. وتغدو مملكة الشر منظمة، بأثر من الزردشتية أيضاً، مصنفين وفق نظام معين. وفي حين كان يهود ما قبل السبي يعتقدون أن الموتى ينحدرون إلى عالم سفلي هو «وادي ظل الموت»، صاروا بعد السبي يؤمنون، على غرار الزردشتيين، بقيامة الجسد واسترداده قواه الذهنية من تفكير وذاكرة وخيال. وبأثر زردشتي أيضاً صاروا يعتقدون أن «المسيح» المنقذ المنتظَر سوف يأتي على سحاب السماء في نهاية العالم. ويكشف سفر دانيال، وهو آخر ما كُتب من الأسفار اليهودية، عن أثر زردشتي جلي، حيث يرد وصف المخلِّص الموعود على أنه ابنُ الإنسانِ والديّانُ الذي يثيب ويعاقب في الجنة والجحيم.

الفرق والأحزاب اليهودية:

انشق العبريون بعد السبي أحزاباً اختلفت في مواقفها الدينيّة. من أهمها الصدّوقيون والفريسيون والهيرودسيون والغيورون والأسينيّون.

الفرِّيسيُّون:

كلمة الفرِّيسيُّون معناها المنعزلون والمنشقون، فهم بذلك يناظرون إلى حدٍّ ما فريق المعتزلة عند المسلمين، وقد أُطلق عليهم أعداؤُهم هذه التسمية،

ولذلك فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم «الأحبار» أو «الإخوة في الله» أو «الربانيين» Godly oues[1].

وهم يعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة خُلقت منذ الأزل، وكانت مدوَّنة على ألواح مُقدسة ثم أُوحِيَ بها إلى موسى، وعلى هذا فتدوينها بعده هو في الحقيقة إعادة تدوين، ويعتقد الفريسيون في البعث، وقيامة الأموات، والملائكة، والعالم الآخر، وأكثرهم يعيشون في مظهر الزهد، والتصوف، لا يتزوجون، ويحافظون على وجودهم بطريق التبني، ولا يقدِّمون القرابين في المعابد[2].

ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة، التي يُعْتَمد عليها، وإنما هناك بجانب التوراة روايات شفوية ومجموعة من القواعد والوصايا والشروح والتفاسير، التي تعتبر توراة شفوية، وقد تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وربما دونوها أحياناً خوفاً عليها من الضياع، وتلك الروايات الشفوية هي التي دُوِّنت فيما يسمى التلمود[3]، ولضمان تقديس اليهود للتلمود، أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عُليا، وأنهم معصومون وأن أقوالهم صادرة عن الله، وأن مخافتهم هي مخافة الله، ومن قولهم في ذلك: «ويلتزم المؤمن بأن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحيِّ، فإذا قال الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس، فصدِّق قوْله ولا تُجادله...»[4] وتبعاً لذلك ليس هناك اجتهاد عند الفريسيين، وما إلحاحه للاجتهاد إذا كان الحاخام مقدساً معصوماً؟ وعنده لكل سؤال جواب[5].

وللفريسيين رأي في القضاء والقدر؛ فهم يرون أن الأفعال يمكن أن تتأثر

(١) Guignebert: The Jewish World in the Time of Jesus p. 154.

(٢) Laurance Browne: From Bapylon to Bethlehem pp. 84-85.

(٣) Margolis and Marx: A History of the Jewish people p. 159.

(٤) من نصوص التلمود.

(٥) الباهو بشياصي: شعار الخضر ص ١.

بالقضاء والقدر ولكنها غير واقعة بهما[١].

ويرى بعض الباحثين أن الفريسيين لا يكوِّنون فرقة دينية، وإنما يمكن أن نُطلق عليهم حزباً سياسياً له اتجاهاته الدينية، وهم يعتقدون أن دولة اليهود لا بد أن تستعيد مكانتها، ولذلك كانوا يؤمنون بالمسيح الذي يجيء ليعيد «ملكوت الله»[٢].

وكان نشاط الفريسيين فكرياً لا ثورياً، فهم لم يلجأوا قط للحركات العنيفة، ولكنهم اتجهوا بكل جهدهم إلى تفسير التوراة والتعليق عليها[٣].

وكان الفرِّيسيون يريدون من بني إسرائيل أن يتمسكوا بالعقيدة القديمة التي كانت لأجدادهم قبل سقوط دولتيهم بفلسطين، وكانوا يعارضون الأنبياء الذين ظهروا في فترة الأسر وبعده، ويتمسكون بشريعة الأنبياء الأوَّلين: كما كانوا يتشدَّدون في التنفيذ، ويتمسكون بالتقاليد.

وكان الفريسيون ينعمون بكثير من السلطة في بلاط أمراء المكابيين، وكان لهم نفوذ واسع في المجتمع اليهودي. وقد أدى اتساعُ هذا النفوذ إلى تخوُّف السلطات الحاكمة منهم، وإلى نظرها لتصرفاتهم في شيء غير قليل من الشك والشبهة، وكان ذلك بدء انشقاق بين السلطات الحاكمة وبينهم.

وفي عهد هركانوس (١٠٥ ق. م) اشتد الخلاف بينه وبينهم، فانسحب الفريسيون من تأييد حكومته، ووضعوا أنفسهم موضع المعارضة، فتخلى عنهم هركانوس وانضم إلى منافسيهم الصدوقيين الذين ظلوا على الولاء للحكومة[٤]، ومنذ حصلت هذه القطيعة اتجه الفريسيون إلى العودة لفكرة المسيح الذي ينتظره اليهود كما ذكرنا آنفاً، وقد كان تحول السلطان عنهم نذيراً بتدهور أحوالهم،

---

(١) Laurauce Browne: From Babylon to Methlehem p. 85.

(٢) Guignebert: The Jewish World in the Time of Jesus p. 167.

(٣) Ibid p. 189.

(٤) Ibid p. 168.

هذا بالإضافة إلى أنهم انحرفوا عن سنن أسلافهم، واستهوتهم الحياة الدنيا ببريقها، وأقبلوا على الشهوات سراً، فكانوا في عملهم يراءون الناس استدراجاً ليوقعوهم في مخالبهم، ويبتزون أموالهم، فكان ظهورهم بمظهر الزهد فخاً نصبوه لصيد الدرهم والدينار[1].

وقد صورهم كاتبو الأناجيل في صورة معارضة للمسيح عيسى عليه السلام، ووضعوهم في موضع معادٍ له[2].

وتأثرت مكانتهم رويداً رويداً بهذه الأسباب فتخلَّى عنهم أكثر أتباعهم، وأصبح الانتساب إليهم عاراً، على أنه وُجِدَ من بين الباحثين اليهود في العصر الحديث من يدافع عنهم ليعيد لهم مكانتهم التي نعموا بها فترة من التاريخ، ومن هؤلاء «هوكسلي» الذي يقول: من غرائب سخريات التاريخ إن لم تكن أغربها، أن كلمة فرِّيسي أصبحت تدل على العار.

ويقول «هارفولد»: كانت الفريسية سيئة الحظ في التاريخ، إذ قلما وَجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسِّية على حقيقتها، بل قلما حاولت أن تنتهز هذه الفرصة إذا سنحت، فهل بلغ الدين المسيحي مبلغاً من الضعف، يُلْجئه إلى الدفاع عن نفسه بتسويد صفحة أفضل منافسيه؟.

ويقول القس «بوكس»: لقد أسس الفريسيون نظام الفردية في الدين، ووضعوا طقوساً روحية بحتة، وتعمقوا في الاعتقاد في الآخرة، ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف، وجعلوا الكتاب المقدس ملكاً مشاعاً للجميع، وفي اجتماعات الكنيس الأسبوعية كانوا يلقون على الشعب عظات بالغات، عن حقائق الدين وآماله، استناداً على نصوص التوراة.. وكافح الفريسيون كفاحاً مستبسلاً في سبيل وضع الحياة تدريجياً تحت سلطة العقائد الدينية، فتأثرت قلوب الشعب بأوامر الدين ونواهيه بفضل ما بذله الفريسيون من العناية في سبيل تقويم العادات، وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقاً دقيقاً، ولكن

---

(١) سليمان مظهر ـ قصة العقائد ص ٢٦٩.

(٢) Guignebert: The Jewish World in the Time of Jesus p. 165.

الظواهر الخارجية كانت دائماً خاضعة للعقائد الكامنة[١].

الصدوقيون:

يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان، أو إلى كاهن آخر بهذا الإسم وجد في القرن الثالث قبل الميلاد[٢] وينكر Guignebert هذه النسبة لأن حرف الدال مضعَّف في تسمية الفرقة وليس مضعفاً في كلمة صادوق، ثم أن أتباع هذه الفرقة لم يدَّعوا أبداً الارتباط بهذا الكاهن أو ذاك ويرى Guignebert أن هذه التسمية من صنع أعدائهم وأنها من نوع التسمية المضادة لأن الصدوقيين عرفوا بالإنكار فسماهم أعداؤهم الصدوقيين»[٣].

وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السيء يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب[٤].

وينكر الصدوقيون كذلك التعاليم الشفوية «التلمود»، وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة مطلقة، وينكرون الخلود الفردي، كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين، ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار، ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله، وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقَّبونه.

ولا يميل الصدوقيون للاشتراك في الحركات الثورية والآمال التي تتطلب عُنفاً وجهداً، ويميلون لاحترام القوانين الموجودة على أي حال، ما دامت الديانة اليهودية محترمة بوجه ما، فكانوا يكتفون من السلطات الحاكمة بالاعتراف بيهوه، وبامتيازاتهم الخاصة، ويرون أن من الحكمة قبول الأمر الواقع.

---

(١) من الفكر اليهودي ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) Laurance Browne: From Babylon to Bethlehem p. 85.

(٣) The Jewish World in the Time of Jesus p. 162.

(٤) Laurance p. 85.

وينحدر الصدّوقيون من طبقة الأرستقراط ببيت المقدس الذين كانوا يمثلون الغنى والدين والسلطة والمكانة في المجتمع اليهودي، ولذلك يعدُّهم الكتّاب اليهود حزب المحافظين في الشعب اليهودي، ويرى Guignebert أنهم لا يكوِّنون طائفة دينية بمقدار ما يكونون حزباً سياسياً[١]، ويسميهم حزبَ المحافظين لعدم اعترافهم بالتراث الشفوي «التلمود» ولأنهم يرون أن الزيادة في الاعتقاد أو العبادة أو التراث بدعة مرفوضة[٢].

ويقال أن عيسى عليه السلام كان على صلة طيبة بهم، لأنه هاجم الفرِّيسيين وقَبِلَ سلطان قيصر الروم، على نحو ما فعل الصدوقيون، غير أن إنكارهم للبعث والدار الآخرة... كانت سبباً في الخلاف بينهم وبين المسيح، وقد حاول عيسى ردَّهم إلى الاعتقاد السليم، ولكنهم لم يستجيبوا له وقاوموا دعوته أكثر مما قاومها غيرهم[٣].

القرّاءون:

كان القرّاءون يمثلون القلَّة بين اليهود، فلما تدهور شأن الفرِّيسيين، نما فريق القرّائين ووَرِث أتباعَ الفريسيين ونفوذَهم.

والقرَّاءون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً، وليست عندهم روايات شفوية كالتي قيل إن الحاخامات توارثوها الواحد بعد الآخر، وبالتالي لا يعترف القراءون بالتلمود.

ويقول القراءون بالاجتهاد، فإذا تبين الخلف خطأ السلف كالخطأ الذي لاحظوه في المحرمات في الزواج، فإن للخلف تصحيح هذا الخطأ، ومن هذه الأخطاء التي لاحظها المتأخرون وصححوها، خطأ تحليل بنت امرأة الأب مع

---

(١) The Jewish World in the Time of Jesus pp. 162-163.

(٢) Margolis and Marx: A History of the Jewish people p. 159.

(٣) Laurance. Passim.

وضوح تحريمها بنص الآية الخامسة من آيات المحارم[١].

الكتبة:

تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت مهنتهم كتابةَ الشريعة لمن يطلبها، فهم أشبه شيء بالنُّساخ، وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة، عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسخوها، فاتخذوا الوعظ وظيفة أخرى لهم بجوار كتابة الشريعة، وكان الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين اصطنعهما الكتبة لتَصيُّد أموال الناس، وبخاصة عندما عمَّ الفساد وانحرف الفريسيون[٢].

وكانوا يسمَّوْن أحياناً بالحكماء، وأحياناً السادة «Rabbis» كما كان الواحد منهم يُنادى بلقب «أب» عند المخاطبة، وقد برز الكتبة كحملة للواء الشريعة عندما جذب النفوذ السياسي غيرهم من رجال الدين إلى مجاله، فأصبح رجال الدين حلفاء للحكام الأجانب من فرس وإغريق ورومان وأخلوا المجال الديني للكتبة، فاحتلوه.

وجاءت خطوة ثانية رفعت من شأن الكتبة وأغْلت من قدْرهم، هي أن كل واحد منهم عُنِيَ بإنشاء مدرسة أصبح هو راعياً لها ومعلماً بها، وكان له مريدون يسمعون تعليماته ويذيعونها، ومن الناحية النظرية لم يكن يجوز لهذا المعلم أن يتقاضى أجراً من مُريديه، وإن كانت الناحية النظرية كثيراً ما أهملت، وحصل الكتبة على ثراء كبير من مريديهم ومن وسائل أخرى[٣].

المتعصبون:

فرقة أخرى من الفرق اليهودية خصص لها (Guignebert) حديثاً، نورد فيما يلي ترجمة أبرز فقراته:

---

(١) الياهو بشياصي: شعار الخضر ص ١ ـ ٢ (مقدمة المترجم).

(٢) Margolis and Marx: A History of the Jewish people p. 258.

(٣) Guignebert: The Jewish World in the Time of Jesus pp. 67-68.

كان في فلسطين بين الفرق الأخرى فريق وثيق الصلة بالفرِّيسيين، يتفق معهم في أكثر عقائدهم، كالقول بالمسيح المنتظر، وكالحماسة الوطنية والميل للعبادة، ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح، بل بالعدوانية ضد المواطنين الذين اتُّهموا باللادينية، أو بقبول الخضوع لغير اليهود، وكان من سياسة هذا الفريق ألا ينتظر أتباعُه العونَ من إلههم، بل كانوا يعملون بأنفسهم ليساعدوا الإله على تحقيق ما يريده لشعبه، وكانوا بذلك يكوِّنون الجناح اليساري في فريق الفرّيسيين، بيد أنهم كانوا في غاية الحماسة تجاه شغفهم بالحرية، ولم يعترفوا بأي سلطان عليهم سوى سلطان الله، وكان الموت عندهم أسهل من طاعة غير اليهود، ومن ثم أعلنوا احتقارهم لجماعة الفريسيين الذين قبلوا الأمر الواقع وخضعوا للرومان، وكانت الحركات الثورية التي قام بها المتعصبون في مطلع القرن الميلادي الأول سبباً في الحدة بين اليهود وبين الرومان، مما دفع الرومان إلى أن يضربوا الثائرين ضربات قاصمة، وأن يذبحوا قادة الثورة، ولكن إخماد هذه الثورات لم يضع نهاية لحركات المتعصبين، فهبوا من جديد يدبِّرون ثورات أخرى ويجمعون لها الجموع، ولما أحسَّ الرومان بذلك قضوا على السلطة المحلية التي كانوا قد منحوها لليهود، وحكموا مناطق اليهود بطريق مباشر، وكان ذلك باعثاً لحماسة هذا الفريق ودافعاً إلى خلق جو من الاضطراب والقلق في المناطق اليهودية، وفي هذا الجو بدأ المتعصبون حركات اغتيال وفوضى ضد الرومان وضد اليهود الذين كانوا يتعاونون مع الحكم الروماني، وبلغ من حماستهم أنهم كانوا يرتكبون جرائمهم علناً في الطرقات، ويغتالون دون تردد كل من يرون أن القضاء عليه سيحقق لهم هدفهم[١]، وبهذا أُطْلِق عليهم «السفاكون» Assassins كما لجئوا إلى النهب واللصوصية والفتك، وأوقعوا بالبوليس الروماني ألواناً من العنت، ومن أجل هذا يَعُدُّ الباحثون هذا الفريق ضمن الفرق السياسية، أو فرق العصابات، مع أنهم بدءوا حركتهم في إطار ديني، ولهدف ديني، ولكن جرائمهم الكبرى نقلتهم من ميدان إلى ميدان[٢].

---

(١) من أحفادهم قتلة برنادوت وكنيدي.

(٢) The Jewish World in the Time of Jesus pp. 169-170.

الأسينيّون:

وظهر حزب آخر عزل نفسه تماماً عن السياسة وعاش دعاتُه، وهم الأسينيّون، في كل مكان في فلسطين. وتخبرنا مكتشفات البحر الميت عنهم منذ القرن الثاني قبل الميلاد. وقد وجدوا في الانعزال عن المجتمع وفساده أفضل استعداد لمجيء المسيح. وتجمعوا في حلقات رهبانية تعمل نهاراً في الزراعة والحياكة والأعمال اليدوية، وتمارس الصوم والصلاة والأكل معاً وتقديس يوم السبت والتطهر حسب الناموس. وكان المنضمّ إلى صفوفهم يعترف بخطاياه قبل أن يعمَّد في الماء علامة على التطهر. وقد سَمّوا أنفسهم «الطريق»، كما فعل المسيحيون الأوائل لاحقاً، و «أبناء النور» لإيمانهم أنهم تحت حكم ملك النور.

ولم تعرف أرض فلسطين الراحة طوال العقود الستة التي أعقبت انتفاضة يهوذا الجليلي. وإدراكاً من الرومان أن السلام يتحقق على نحو أفضل إذا هم تركوا الدين اليهودي وشأنه، لم يطلبوا من اليهود إقامة تمثال لقيصر في الهيكل وجعله موضوع عبادة، بل اكتفوا بما فعله اليهود أنفسهم، وهو رفع الطلبات اليومية للأمبراطور. إلا أن اليهود ظلوا على سلاحهم. وما لبثت عصاباتهم المسلحة أن نشرت الفوضى في كل مكان. واغتيل رئيس كهنة متحرر في أورشليم. ونشأ صراع بين اليهود وكل الفئات الأخرى، كان مظهراً من حرب اليهود للاستقلال. وحصلت الثورة عام ٦٦ للميلاد، نحو ختام عهد نيرون. ووضع الرومان قواتهم في إمرة تيطس الذي وقف على أبواب أورشليم مناشداً اليهود للاستسلام. وإذ لم يفعلوا، اجتاح الجند الروماني أورشليم التي حصدتها النار حصداً مع هيكلها. وبعد العام ٧٠ للميلاد تشتت سكان أورشليم في كل مكان. ففر قسم منهم إلى بابل وقسم إلى الصحراء العربية، بعيداً عن سلطان الرومان، وانضم آخرون إلى أنسبائهم وأصدقائهم وأبناء دينهم في حوض البحر المتوسط كله. وذهب بعضهم إلى الأرياف الفلسطينية، فيما لبث عدد من الغيورين على التلال المحيطة بأورشليم انتظاراً للفرصة المناسبة. وبدأ هؤلاء

انتفاضة مسلحة عندما أمر الأمبراطور هادريانوس بإقامة هيكل على اسم جوبيتر فوق أنقاض الهيكل القديم. وبعد صراع دامَ ثلاث سنوات ونصف سنة فَرغت خلالها اليهودية من معظم يهودها، بنى الرومان مدينة أورشليم وفق تصورهم، وجعلوها مستوطنة رومانية لا يحق لأي يهودي الإقامة فيها، وأعطوها اسم «آليا كابيتولينا»، وسُمح لليهود بزيارتها يوماً واحداً في السنة، هو يوم ذكرى هدم الهيكل، إذ كانوا يتكئون على بقايا حجار الأساس وينوحون، حتى صار ذلك المكان يُعرف باسم حائط المبكى.

لما أفاق اليهود من خيباتهم، لم يجدوا سوى التضامن الثقافي والديني تحت قيادة مربّيهم ومعلميهم الروحيين، وهم الربابنة، طريقاً للدفاع عن أنفسهم. وكان أحد هؤلاء، واسمه يوحَنان بن زَكّا، اخترق صفوف تيطس عام ٦٩ للميلاد وفر إلى بلدة يَبْنَئيل الساحلية حيث عمل أستاذاً في أحد بيوت العلم، وهي المدارس التابعة للمجامع. وسعى إلى إنقاذ الدين اليهودي عن طريق جمع نواميسه وتعاليمه. وتحلق حوله باحثون وتلاميذ كرسوا أنفسهم لدراسة النصوص المقدسة وتفسيرها. وأنشأ لجنة لتحديد التقويم السنوي، صارت أعلى سلطة دينية لدى اليهود. وأُطلق على رئيسها لقب «بطريرك»، واعترف به الرومان كرئيس أعلى لليهود في الأمبراطورية. وكان أهم إنجاز للمدرسة، خلال السنوات الستين من عمرها، جمع الشروح المفصلة التي وضعها معلمو الناموس على التوراة، وتسمى المِدْراش (Midrash)، مع تدوين الناموس غير المكتوب، وهو الحَلَقة. وتولدت كمية كبيرة جداً من القواعد والأحكام، بات من الضروري ترتيبها، فصنفها الرابي عَقيبة في ستة أبواب رئيسية. وأقفلت المدرسة أبوابها وسط الاضطرابات التي نشأت في عهد هادريانوس (١١٧ ـ ١٣٨). وهَرّب الناجون من باحثيها كتبهم إلى الجليل حيث ظهر معلمون كبار، في طليعتهم الرابي مئير والرابي يهوذا الذي صار بطريركاً. وإليهما يعود الفضل في إتمام كتاب المِشْنا (Mishnah) أو «التكرار الكبير»، الذي يجمع نحو أربعة آلاف قاعدة ناموسية لمئة وخمسين معلماً على مدى ستة قرون، مصنفة تحت الأقسام التي وضعها عَقيبة، وهي: الأعياد والاحتفالات

الموسمية والصلوات، القوانين الزراعية وحقوق الفقراء، الزواج والطلاق، القانون المدني والجنائي، التقدمات والذبائح الطقسية، قواعد الطهارة. ولما اكتمل المشنا على يد الرابي يهوذا عام ٢٢٠ للميلاد، صار له سلطة التوراة عينها. وبعد قرن فقدت مدارس الجليل ازدهارها، وكان المشنا أعظم إنجازاتها. وهو أساس الشروح اللاحقة التي تولّد منها التلمود.

إلا أن العلم اليهودي في بابل كان أفضل منه في فلسطين، إذ استمرّت مدارس بابل بلا انقطاع منذ السبي. ويقدر أن عدد اليهود هناك ارتفع بعد خراب، أورشليم عام ٧٠ للميلاد حتى بلغ المليون. وازدادت أهميتهم خلال الحكم الفارسي حين اعترفت السلطات بزعيم ليَهود السبي. وكانت عبارات المشنا، الذي اقتصر على التراث الشفوي المتعلق بالناموس، مختصرة أحياناً كثيرة حتى باتت تحتاج إلى شروح. كما كان لليهود تراث شفوي غير ناموسي سموه الهَغّادا (Haggadah)، وهو متعلق بأحاديث الربابنة التاريخية والخُلقية والدينية، وجلها من عظات المجامع التي هدفت إلى بناء شخصية المؤمن العادي عبر الأمثال والعبَر والقصص حول تاريخ اليهود وسيَر حكمائهم وعظمائهم ووصف أحوال الثواب والعقاب في هذا العالم والعالم الآخر. وجمع علماء بابل كل ما أُبقي خارج المشنا من الحلقة والهَغّادا، حتى تكونت مجموعة كبيرة أخرى هي الغِمارا (Gemara). ومِن دمج المشنا مع الغِمارا جاء التلمود الذي تم إنجازه في نهاية القرن الميلادي الخامس. وهو مؤلف من ستة أقسام ويقع في ٦٣ جزءاً، ويحوي كل شاردة وواردة في العقيدة والطقوس اليهودية. وقد كان أقوى عزاء لليهود خلال المحن التي عرفوها في القرون الوسطى. وطالما أتلفت السلطات نسَخه بإحراقها في الأسواق العامة أو رميها في الماء لاعتبارها إياه مجموعة خرافات شيطانية. لكن اليهود حافظوا عليه من جيل إلى جيل، تابعين قواعده التي عدّوها تجسيداً للحكمة الإلهية.

وفي مطلع القرون الوسطى وجد اليهود أنفسهم تحت تأثير المسلمين الذين عاملوهم بالعطف في فلسطين وسوريا والعراق، علماً أن اليهود نظروا إلى

المسلمين كمنقذين من السطوة المسيحية والزردشتية وعملوا مخبرين في صفوفهم. كما كان هناك تقارب بيئي وثقافي وعرقي وديني بين الإثنين. هكذا عَرفت المدارس اليهودية في العراق فترة ازدهار جديدة، وصار «رأسُ الجالوت» (الجالية)، وهو اللقب الذي عُرف به رئيس اليهود خارج أورشليم، شخصية مرموقة ونافذة في بلاط الخليفة في بغداد. ونشأت طبقة من التجار اليهود أفادت كثيراً من الفتوح الإسلامية لتوسيع تجارتها على امتداد حوض البحر المتوسط.

وفي القرنين العاشر والحادي عشر هاجر العديد من علماء اليهود البابليين إلى إسبانيا ومعهم مخطوطاتهم. وكان أبناء دينهم عرفوا الازدهار هناك منذ القرن الثامن، وقام من صفوفهم كتّاب وفلاسفة وعلماء كبار. وعَوّل العلم اليهودي في الغرب على إنجازات العرب الباهرة في الرياضيات والفلك والفلسفة. وكان جماعة مدرسة بابل على مقدار لائق من التقدم الفكري والانفتاح. وقد عرفوا تطوراً هاماً قبل أن يهاجروا من العراق، من مظاهره التحدي الذي وجهه عنان بن داود في القرن الميلادي الثامن لسلطة التلمود عندما قال إنه يشكل انحرافاً عن الحقائق التي أوحاها الله لإسرائيل. وسُحب ترشيحه لرئاسة يهود السبي عام ٧٦٧ بعدما أعلن أن المرجع الأعلى للحياة اليهودية هو الكتاب المقدس وليس التلمود. وسُمي أتباعه «أولاد النَّص» أو «القَرّائين». لكن مذهبهم ضعف إذ انشق إلى مذاهب كثيرة لأنهم أجازوا تفسير النصوص المقدسة حسب الاجتهادات الفردية. وكانت أهمية حركتهم أنها هزت اليهود من الشكلية التي أوقعهم فيها التلمود، وأعادتهم إلى الأصول الدينية في الكتاب المقدس.

وأفاد من تلك الحركة عالم كبير هو سَعْدِيّا بن يوسف (٨٩٢ ـ ٩٤٢) الذي كان رئيس مدرسة السورة في بغداد. وإدراكاً منه أن العبرية أصبحت لغة ميتة وصار الكتاب المقدس غير مفهوم حتى للربابنة أنفسهم، باشر سعديّا ترجمة التوراة إلى العربية لكي يؤكد للتلموديين أن قواعد التلمود قائمة على

النصوص المقدسة. وأُعجب كثيراً بالترجمات التي حققها العرب عن الفلسفة اليونانية. وذهب إلى أن الوحي والعقل يكمل أحدهما الآخر، وأنه لا غنى عن أي منهما. كما أخذ على عاتقه ترتيب الفكر اليهودي. لذلك كله صار يُعتبر أبا الفلسفة اليهودية في القرون الوسطى.

وحُملت مؤلفات سعديًا إلى إسبانيا، وساعدت آراؤه المتحررة في تأسيس جو فكري منفتح بين اليهود هناك. وسرعان ما غدت إسبانيا المركز الرئيسي للثقافة اليهودية، خصوصاً في أكاديمية قرطبة البهودية التي أُسست في القرن العاشر وشَجعت العلماء على الدراسة والإبداع. وظهر كتّاب مرموقون في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. إلا أن أهم المفكرين اليهود في القرون الوسطى كان موسى بن ميمون (١١٣٥ ـ ١٢٠٤) الذي ولد في قرطبة وهاجر في حداثته إلى القاهرة حيث ألّف عملين مهمين، أولهما اختصار المشنا والآخر تبسيط التلمود إلى حد إعادة كتابته. وصار العمل الأول يشكل دستور إيمان في ثلاثة عشر بنداً: «أؤمن إيماناً تاماً بأن الله موجود، وأنه واحد ووحدته غير منقسمة، وأنه غير جسداني، وأنه أزلي، وأن الصلاة تُرفع إليه وحده، وأن كلام الأنبياء كله صحيح، وأن موسى هو زعيم الأنبياء، وأن الناموس الذي أُعطي لموسى وصل إلينا من دون تبديل، وأن ذلك الناموس لن يتبدل ولن يحل محله أي ناموس آخر، وأن الله يعرف كل أفعال البشر وأفكارهم، وأنه يكافىء المطيع ويعاقب المنحرف، وأن المسيح سوف يأتي، وسوف تكون هناك قيامة للأموات».

لكن أعظم كتب ابن ميمون هو «دلالة الحائرين» الذي وضعه أصلاً بالعربية. والكتاب امتحان عقلي للإيمان اليهودي، ومحاولة أرسطية للتوفيق بين الدين والفلسفة، على غرار محاولة ابن رشد في الإسلام وتوما الأكويني في المسيحية. وفي رأي ابن ميمون أن العقل يحمل الإنسان بعيداً جداً على دروب المعرفة، لكنه لا يكتمل إلا بالوحي. والوحي لا يناقض العقل، بل يمكن الدفاع عنه كله دفاعاً عقلياً. من هنا كان علينا تفسير النصوص المقدسة في ضوء

العقل. وعندئذٍ نجد أن الكثير منها ينتمي إلى طرائق التعبير الرمزية التي يجدر أخذها على محمل خُلقي. وكان فيلون الإسكندري قال إن هناك عقلاً واحداً في فكر أفلاطون وفي كلام الأنبياء.

إلا أن العديد من العلماء اليهود في إسبانيا عارضوا أفكار ابن ميمون لما وجدوه فيها من تركيز على العقل وإضعاف للأبعاد القلبية في الدين. وأهم هؤلاء نحمنيدس في القرن الثالث عشر وحَسداي كريسكاس في القرن الرابع عشر، اللذان وجدا أن الإنسان لا يستطيع معرفة الله عن طريق عقله المعرَّض للخطأ، بل يحتاج إلى الإيمان العميق بالله والتسليم التام له. وهذا يشبه موقف الغزالي في الإسلام.

الانتشار اليهودي:

كان اليهود في تلك الأثناء قد انتشروا في عدد من البلدان الأوروبية حيث عاشوا في أماكن منغلقة مارسوا فيها صناعاتهم التقليدية وعبادتهم. وهذا الانغلاق جعل بقية الناس ينظرون إليهم نظرة ريبة تذهب إلى أنهم يتآمرون في الخفاء ضد المصلحة العامة. وأدى ظهور الصليبيين في أواخر القرن الحادي عشر إلى خلق روح معادية لمن دعوهم «الكفّار». وبدأت مذبحة ذهب ضحيتها ألوف مؤلفة من اليهود في ألمانيا وسواها. وأعقب تلك المجزرة طردٌ لليهود من ألمانيا. ثم صدرت قوانين تحظر وجودهم في إنكلترا وفرنسا وإسبانيا. ولم يجدوا مكاناً للفرار سوى الشرق. أما الذين بقوا في إيطاليا ومدن النمسا وألمانيا التي لم تطردهم فقد أُرغموا على العيش في أحياء منعزلة سُميت الغيتو (ghettos). وفي معظم تلك المدن عُزل اليهود وراء جدران مرتفعة ومُنعوا من الخروج ليلاً.

وجاء العصر الحديث واليهود ليسوا أقل عزلةً. وبعدما أعاد إليهم مارتن لوثر، مؤسس حركة الإصلاح البروتستانتية، بعض الاعتبار عندما دعا إلى درس الكتابات المقدسة في لغاتها الأصلية ونشرَ كتيباً بعنوان «المسيح وُلد يهودياً»

(١٥٢٣)، تولد لديه غضب عليهم لأنهم لم يتحولوا إلى المسيحية، ونشرَ كتيباً آخر عام ١٥٤٢ بعنوان «حول اليهود وأضاليلهم»، يدعو إلى طردهم نهائياً إذا لم يتحولوا إلى الدين المسيحي. وشجع ذلك الموقفُ اضطهادَ اليهود في أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وشدّد عزلتهم.

وفي أوروبا الشرقية حافظ اليهود على تقاليدهم. وعرفوا مجزرة ضخمة في القرن السابع عشر في بولونيا على أيدي القوزاق الروس، ذهب ضحيتها أعداد هائلة منهم. وفي ليتوانيا وروسيا ركزوا على دراسة التلمود والنصوص العبرية الأصلية، وأنشأوا أكاديمية على غرار مدارس بابل، نالت شهرة واسعة. وفي أوكرانيا وجنوب بولونيا اتصفت اليهودية بعناصر صوفية قوية مناهضة للتلموديين.

وكان للعقلانية الأوروبية في القرن الثامن عشر أن أضعفت الإيمان التقليدي وعززت التشكيك وقوّت التسامح بين العقائد والأديان. وبلغ التسامح ذروته في فرنسا وألمانيا خلال القرن الثامن عشر. في ذلك الجو استطاع موسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) أن يبرز وسط الحركة الثقافية في برلين. وكان يكتب الألمانية الصافية مثل أكبر الأدباء الألمان، إلى حد أن الكاتب غوتهولد ليسينغ (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) جعله بطلاً لروايته «ناثان الحكيم». ونشر مندلسون حواراً فلسفياً حول خلود النفس عُرف في أوروبا كلها. وتَرجم الكتاب المقدس إلى الألمانية الأدبية، ونشره مع تعليقاته حوله، ولكن بالحرف العبري لكي يستطيع اليهود قراءته. كما دعا إلى تحرير شعبه من عزلته وإدخاله العالم الحديث.

وعَرف اليهود الحريات المدنية بعد التغييرات التي أحدثتها الثورات السياسية في أميركا وأُوروبا، والتي نادت بالحرية والعدالة والمساواة. وبعد فترة انحسار تحوَّل خلالها العديد من يهود الغرب إلى المسيحية وتعرض الكثيرون للاضطهاد، نهضوا في منتصف القرن التاسع عشر وقد نالوا الحرية والمساواة الناجزتين. ومع إعادة العالم الحديث النظر في الصياغات العقائدية الموروثة واتجاهه بخطى حثيثة نحو مزيد من الليبرالية وفصل الدين عن الدولة،

نشأ داخل الدين اليهودي حركة إصلاحية دعت إلى التحديد الديني، وأعلنت عام ١٨٤٣ عن مجموعة مبادىء، أهمها إمكان التطور غير المحدود في الديانة الموسوية، ورفض التلمود من الناحيتين العقائدية والعملية، ونبذ فكرة انتظار مسيح يعيد اليهود إلى أرض فلسطين، وعدم الاعتراف بوطن غير ذاك الذي ينتمون إليه بالولادة والهوية. لكن المحافظين حاربوا تلك الحركة بعد ١٨٤٨، فنقلت نشاطها إلى الولايات المتحدة. وأحرز اليهود نجاحاً مهنياً واقتصادياً باهراً منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وفي تلك الآونة تعززت لديهم فكرة تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين. ووجدت تلك الفكرة تتويجاً لها في كتاب ثيودور هيرتزل «الدولة اليهودية» الصادر عام ١٨٩٦. وأوحى ذلك الكتاب بنشوء الحركة الصهيونية التي اكتسبت أبعاداً عالمية بسرعة فائقة. ثم ظهر وعد بَلفور خلال الحرب العالمية الأولى، ذاهباً إلى أن الحكومة البريطانية تؤيد فكرة إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وأنها ستسهِّل تحقيق ذلك المشروع. هكذا قامت أعداد كبيرة من اليهود بالهجرة إلى فلسطين طوال العقدين التاليين. ثم جاء اضطهاد اليهود على أيدي النازيين ليسرّع في إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين. وأصدرت الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ قراراً بتقسيم فلسطين، التي كانت تحت الانتداب البريطاني آنذاك، وإقامة دولة يهودية في أحد قسميها.

الفكر اليهودي ومصادره

كان التخطيط الأول لهذا الباب أن يكون به مبحث عن «العهد القديم» ولكننا رأينا أن «العهد القديم» ليس الكتاب المقدس الوحيد لدى اليهود، وأن هناك مصادر أخرى يلتزم اليهود بتقديسها ولا تقل أهمية عن «العهد القديم». ومن أجل هذا تغير عنوان هذا الباب فأصبح «مصادر الفكر اليهودي» حيث سيشمل البحثُ الكلام على أهم المصادر التي يُضفي اليهودُ عليها القداسة ويستمدون منها التوجيه، وهذه المصادر هي:

١ ـ العهد القديم.

٢ ـ بروتوكولات حكماء صهيون.

٣ ـ التلمود.

١ ـ العهد القديم

تعريف بالعهد القديم:

العهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم كما سيتضح فيما بعد، وقد تُطلَق «التوراة» على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى، لأنه أبرز زعماء بني إسرائيل، وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي، وكلمة توراة معناها الشريعة أو التعاليم الدينية.

والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين، ولكن أسفاره غير متفق عليها، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبارٌ آخرون، فإذا جئنا إلى المسيحيين وجدنا النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أسفار عن النسخة البروتستانتية.

وتقسَّم أسفار العهد القديم التي يعترف بها البروتستانت ثلاثة أقسام:

القسم الأول «التوراة» ويشمل أسفاراً خمسة هي: التكوين ـ الخروج ـ اللاويون (الأحبار) ـ العدد ـ التثنية، وتلك هي التي يُطلق عليها أسفار موسى أو يطلق عليها التوراة كما ذكرنا.

القسم الثاني «أسفار الأنبياء» وهي نوعان:

١ ـ أسفار الأنبياء المتقدمين: وتشمل الأسفار الآتية: يشوع (يوشع بن

نون) ـ قضاة ـ صموئيل الأول ـ صموئيل الثاني ـ الملوك الأول ـ الملوك الثاني.

٢ ـ أسفار الأنبياء المتأخرين: وتشمل الأسفار الآتية: إِشَعْيَا ـ إِرْمِيَا ـ حزَقيال ـ هُوشَع ـ يوئيل ـ عاموس ـ عُوَبْديا ـ يونان (يونس) ـ ميخا ـ ناحوم ـ حَبَقُّوق ـ صَفَنْيا ـ حَجَّى ـ زكريا ـ مَلاخِي.

القسم الثالث «الكتابات» وهذا القسم يتشعب إلى أنواع ثلاثة:

١ ـ الكتب العظيمة وتشمل الأسفار الآتية: المزامير (الزبور) الأمثال (أمثال سليمان) ـ أيوب.

٢ ـ المجلات الخمس: ـ تشمل الأسفار الآتية: نشيد الأناشيد ـ راعوث ـ المراثي (مراثي إرميا) ـ الجامعة ـ أَسْتير.

٣ ـ الكتب: وتشمل الأسفار الآتية: دانيال ـ عَزْرا ـ نحميا ـ أخبار الأيام الأول ـ أخبار الأيام الثاني.

ومجموعة هذه الأسفار تسع وثلاثون سفراً وهي الأسفار التي تعتمدها الكنيسة البروتستانتية، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أسفار أخرى هي: طوبيا ـ يهوديت ـ الحكمة ـ يسوع بن سيراخ ـ باروخ ـ المكّابيين الأول ـ المكابيين الثاني، كما تجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها يجيئان بدلاً من سفرَيْ صموئيل الأول والثاني، وبعض رجال اللاهوت من اليهود لا يوافقون على ضم سفري الجامعة ونشيد الأناشيد لأسفار العهد القديم، وطائفةُ السامريين[1] لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة، ولا يرون غيرها كتاباً مقدساً، ويضيف بعض السامريين سفري يوشع والقضاة لأسفار موسى ويرون في هذه الأسفار السبعة كتابهم المقدس.

وللمسيحيين الكاثوليك تقسيم آخر لأسفار العهد القديم، فهم يرون أن الأسفار الستة والأربعين تندرج تحت خمسة أقسام هي:

(١) السامريون طائفة من المتهودين أي الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل.

١ ـ أسفار موسى الخمسة التي تتضمن شريعته.

٢ ـ أسفار تاريخية وعددها ١٦ وهي: يشوع ـ القضاة ـ راعوث ـ الملوك الأول والثاني والثالث والرابع ـ أخبار الأيام الأول ـ أخبار الأيام الثاني ـ عزرا ـ نحميا ـ طوبيا ـ أستير ـ يهوديت ـ المكابيون الأول والثاني.

٣ ـ أسفار شعرية ـ وعددها ستة وهي: أيوب ـ المزامير ـ أسفار سليمان الثلاثة: الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد ـ مراثي إرْميا.

٤ ـ أسفار نبوية وعددها ١٧ وهي: إشعيا ـ إرميا ـ باروخ ـ حزَقيال ـ دانيال ـ هوشع ـ يوئيل ـ عاموس ـ عُوَبْديا ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقُّوق ـ صَفَنيا ـ حجَّى ـ زكريا ـ ملاخِي.

٥ ـ أسفار تعليمية وعددها إثنان هما: سفر الحكمة ويسوع بن سيراخ[١].

وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببني إسرائيل، وهما سفر أيوب وسفر يونان، فأيوب من بني عيسو وليس من أبناء إسرائيل كما يظهر من نصوصه، ويونان تفيد عبارته أنه نبي مرسل إلى نينوى لا إلى بني إسرائيل، ومحتويات السفريْن قريبة من المحتويات التي أشار لها القرآن الكريم.

ومن الأسفار ما هو طويل كثير الإصحاحات كسفر المزامير الذي يصل إلى مائة وخمسين مزموراً، وإشَعْيا الذي يحوي ستة وستين إصحاحاً، وإرميا وهو يتكون من اثنين وخمسين إصحاحاً، والتكوين وبه خمسون إصحاحاً، ومنها ما هو قصير كسفر عُوبَدْيا وبه إصحاح واحد، وحجى ربه إصحاحان، وصَفَنْيا وحَبَقُّوق وناحوم وكل منها يتكون من ثلاثة إصحاحات.

والعهد القديم على العموم سِجلٌ فيه شعر ونثر، وحِكم وأمثال، وقصص وأساطير، وفلسفة وتشريع، وغزل ورثاء مع بلاغة أسلوب وفصاحة عبارات في كثير من الحالات.

---

(١) زكي شنودة: تاريخ الأقباط ص ٩١ ـ ٩٢.

تعريف بالأسفار:

بعد هذه الجولة السريعة حول الكتاب المقدس كجملة، يجدر بنا أن نعرِّف بأسفاره مفصَّلة، وسنسير على ذلك متتبِّعين نظام النسخة البروتستانتية فإذا انتهينا من التعريف بأسفارها، رحنا نعرِّف بالأسفار الزائدة التي أوردتها النسخة الكاثوليكية:

أسفار التوراة:

أول ما يعنينا في بحثنا أسفار موسى الخمسة، **والسفر الأول الخلْق** (Genesis) **أو التكوين** كما يسمَّى في اللغة العربية وسمِّي بهذا الإسم لاشتماله على قصة خلق العالم، وخلق الإنسان الأول: ويشمل السفر ـ بالإضافة إلى هذا ـ قصة الخطيئة التي ارتكبها أبو البشر، ونزوله إلى الأرض عقاباً له، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم، فقصة الطوفان ونشأة الشعوب بعده، وقصة إبراهيم وتجواله ونسله إلى إسحق ويعقوب وأولاد يعقوب وبخاصة يوسف، وما جرى له إلى أن أصبح ذا شأن كبير بمصر واستدعى إليه أباه وإخوته، وبموت يوسف ينتهي هذا السفر.

والسفر الثاني هو سفر الخروج ويسمى باليونانية واللاتينية Fxodus أي خروج، وسُمِّي بذلك لتناوله خروج بني إسرائيل من مصر ويحوي هذا السفر قصة بني إسرائيل بعد يوسف، وما عانوه من الفراعنة، وظهور موسى وخروجه بهم من مصر، ويستمر هذا السفر في قص تاريخ بني إسرائيل حتى يصل بهم إلى شرق الأردن، وفي هذا السفر **الوصايا العشر** التي أعطاها الله لموسى، وبه كذلك كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية الخاصة بيهوه إله بني إسرائيل، ومنها وصف خيمة الاجتماع، وتابوت العهد، وما حدث من بني إسرائيل في غيبة موسى.

والسفر الثالث اللاويون أو الأحبار، ويسمى في اللاتينية (Leviticus) أي لاويون نسبة إلى أسرة لاوى أو ليفي، ويحتوي هذا السفر كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام، مثل كفارات الذنوب، والأطعمة المحرَّمة، والأنكحة

المحرَّمة، ومثل الطقوس والأعياد والنذر والطهارة، كما يحتوي كثيراً من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التي يستحق من اتبعها الثواب ومن خالفها العذاب.

والسفر الرابع سفر العَدَد (Numeri) وسُمي بذلك لأنه حافل بالعد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل، وبه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم وإحصاء للذكور منهم، وبجوار هذا العدِّ، يحتوي هذا السفر على سيرة بني إسرائيل في برِّيَّة سيناء وما بعدها، فهو بذلك استمرار لما ورد في سفر الخروج، وفيه كثير من التنظيمات والتعاليم الطقوسية والكهنوتية والاجتماعية، والمدنية، وبه كذلك حديث عن حروب بني إسرائيل ضد المديْنيين، وفي الإصحاح الثاني عشر من هذا السفر ثورة وسُخط يبدوان من هارون ومريم أخوي موسى ضده، لأن موسى تزوج امرأة كوشية، ويقول هارون ومريم فيما رواه هذا الإصحاح، هل كلَّم الرب موسى وحده؟ ألَمْ يكلمنا نحن أيضاً[١]؟ ويغضب الرب على هارون ومريم وتصاب مريم بالبرص، ويعلق الأستاذ محمد عزه دروزة على هذا التذمر بقوله: وهكذا لم يَنْجُ أخو موسى وأخته من خُلُق التذمر والحسد والأنانية[٢]. ويحكي الإصحاح السادس عشر قصة ثورة قادها شخص من اللاويين اسمه قورح ضد موسى وهارون، وفي هذه الثورة صاح قورح قائلاً: كفاكما، إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب[٣]، وانضم إلى قورح ثوار آخرون وصاحوا بموسى قائلين: أقليل أنك أصْعدتَنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا أيضاً ترؤساً[٤]؟

والسفر الخامس سفر التثنية أو تثنية الشريعة ومعناه الإعادة والتكرار

---

(١) الإصحاح الثاني عشر: الفقرة الثانية.

(٢) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. جـ ١ ص ٩٩.

(٣) الإصحاح السادس عشر الفقرة الثالثة.

(٤) نفس الإصحاح الفقرة ١٣.

لتثبيت التشريعات والتعليم، ويسمَّى في اللاتينية (Deuteronomium) أي الإعادة وفي هذا السفر عُرِضت الوصايا العشر عرضاً جديداً، كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام، وعن نظام القضاء والمُلْك عند بني إسرائيل، وتَحدَّث هذا السفر عن الكهنة والنبوة، كما تحدَّث عن انتخاب يشوع بن نون خلفاً لموسى، وينتهي السفر بخبر وفاة موسى ودفنه في جبال مؤاب.

* * *

وبعد الحديث عن أسفار موسى الخمسة نتناول بإيجاز الأسفار الأخرى من العهد القديم:

يشوع:

ينسب هذا السفر إلى يشوع بن نون، وكان يشتغل في أول حياته خادماً لموسى وكان اسمه آنذاك هوشع فدعاه موسى يشوع، وكان موسى قد عرف فيه الإخلاص والكفاءة فاستخلفه، وينص هذا السفر على أن يشوع اصطنع مختلف الحيل لينتصر في حربه ضد سكان البلاد الأصليين وليدخل فلسطين، ومن حيله التي ذكرها هذا السفر التجسس، وقد شُغلت الإصحاحات الأولى من هذا السفر بأخبار التجسس والغزو، أما الإصحاحات الأخيرة منه فتتحدث عن تنظيم البلاد المفتوحة وتوزيعها على الأسباط واستيطانها، وفي الإصحاح الرابع والعشرين وهو الإصحاح الأخير من هذا السفر حديث عن موت يشوع ودفنه في جبل أفرايم، وحديث كذلك عن عظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر حيث أعيد دفنها كما يقول الإصحاح في شكيم «نابلس».

القضاة:

كان رؤساء بني إسرائيل في الفترة التي تبدأ من يشوع إلى صموئيل يسمون القضاة، ومن هنا اتخذ هذا السفر اسمه منسوباً إليهم، ويتحدث هذا السفر عن بعض القضاة العظام مثل عثنائيل وأهوز وباراق ودبوره وجدعون ويفتاح وشمشون صاحب القصة الشهيرة مع دليلة[1]، كما تحدث هذا السفر عن

(١) أقرأ قصته في الإصحاح الرابع عشر والسادس عشر.

قضاة صغار لم يكن لهم تأثير يذكر في حياة بني إسرائيل، ويتحدث هذا السفر كذلك عن شغب بني إسرائيل على يهوه وعبادتهم آلهة أخرى من الحجارة والأشجار، ويبين كيف انتقم الله منهم فسلّط عليهم أعداءهم وأنزل كثيراً من النوائب بهم، وآل أمر القضاة إلى صموئيل، فلما شاخ جعل بنيه قضاة، ولكنهم أخذوا الرشوة وظلموا في القضاء، فطلب شيوخ بني إسرائيل من صموئيل أن يعين لهم ملكاً، ففعل، فبدأ عهد الملك في بني إسرائيل.

راعوث:

لعله كان من الطبيعي أن تَرِد الأسفار التي تحدثت عن الملوك بعد سفر القضاة، ولكن لما كان داود أشهر هؤلاء الملوك، فقد أورد كاتبو العهد القديم سفر راعوث كتمهيد لأسفار الملوك، لأن سفر راعوث يبين لنا نسب داود، واسم السفر مقتبس من اسم امرأة مؤابية، وخلاصة ما في هذا السفر أن مجاعة نزلت ببيت لحم فهاجر منها إسرائيلي اسمه «أليمالك» ومعه زوجته «نُعْمى» وابناه «مَحاون وكِليون» ونزلوا بأرض مؤاب، وهناك تزوج الإبنان امرأتين مؤابيتين اسم إحداهما «عُرفة» واسم الأخرى «راعوث» ثم مات الرجال الثلاثة وأرادت نعمى العودة إلى بيت لحم فأصرَّت راعوث أن تصحبها، وفي بيت لحم تزوجت راعوث من رجل يهودي اسمه بوعز، وأعقبت منه عُوبِيد جدَّ داود.

وفي السِّفْر بالإضافة إلى هذه القصة وصف للحياة القروية، حيث اتصلت راعوث ببوعز في مزارعه بالريف. وهذا السفر من الأسفار التي لقيت عناية كبيرة من الغربيين واهتم به كثير من الأساتذة والقصصيين والكتّاب والشعراء.

أسفار الملوك الأربعة:

تشمل هذه الأسفار ما أسمته الكنيسة البروتستانتية صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني، وتتحدث هذه الأسفار عن سيرة شاول أول ملوك بني إسرائيل، وأشبوشب ابنه، وداود، وأبشالوم بن داود ثائراً في حياة أبيه، ثم ـ بعد أبيه ـ في حياة سليمان بن داود، كما تتحدث عن ملوك الدور الثاني بعد

انقسام دولة بني إسرائيل، وفي هذه الأسفار حديث فياض عن الخلاف بين شاول وداود، ثم عن هرب داود، ثم هزيمة شاول، وانتقال الأمر إلى داود الذي احتل عاصمة شاول وهي حبرون «الخليل»، ثم استيلاء داود على أورشليم التي أصبحت تسمى مدينة داود، وفيها كذلك حديث اتصال داود بزوجة أوريا، وعن الخلافات التي دبت ضد داود في أواخر أيامه، ثم عن سليمان وتغلبه على الأحداث في مطلع عهده، وبنائه الهيكل، وصلته بملكة سبأ، وقصص حريمه اللاتي استملن قلبه إلى آلهتهن، ثم حديث عن نهاية سليمان، وما تلا ذلك من انقسام دولة اليهود إلى مملكتين، وحروب واسعة النطاق بينهما، أو بين كل من دولتي اليهود من جهة وبين الممالك المجاورة في الشمال أو الجنوب من جهة أخرى.

أخبار الأيام الأول والثاني:

يلاحظ من يطالع العهد القديم أن سفر أخبار الأيام الثاني ينتهي بالعبارة الآتية: «وفي السنة الأولى لقورش ملك فارس، لأجل تكميل كلام الرب بفم إرميا، نبه الرب روح قورش ملك فارس، فأطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضاً، قائلاً: هكذا قال قورش ملك فارس، إن الرب إله السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا، مَنْ منكم من جميع شعبه ليكن إلهه معه ويصعد» وهذه العبارة نفسها هي التي يبدأ بها ـ بتغيير طفيف أحياناً ـ سفر عزرا الذي يتلو سفر أخبار الأيام الثاني، وقد دعت هذه المسألة بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن سفري أخبار الأيام الأول والثاني كانا في الأصل يكوّنان مع سفر عزرا كتاباً واحداً في التاريخ.

وسفرا الأخبار يحويان محتويات لا تختلف كثيراً عن المحتويات التي وردت في أسفار موسى، وفي أسفار الملوك، ففي سفر الأخبار الأول حديث عن آدم وأولاده، وعن الملوك الذين ملكو أرض إدوم قبل إسرائيل، ويبدأ الإصحاح الثاني عداً لبني إسرائيل من الأجداد إلى الأحفاد بتفاصيل واسعة حتى عهد داود وسليمان، وابتداءً من الإصحاح العاشر يتكلم السفر عن ملوك بني

إسرائيل بعد الانقسام حتى السبي، وعلى العموم فإن هذين السفرين اقتبسا أكثر ما بهما من مادة، من الأسفار التي أوردنا الحديث عنها من قبل.

عزرا ونحميا:

يُنسب سفر عزرا إلى عزرا الكاهن، ويبدو أنه عُزَيْر الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويقص هذا السفر قصة عودة بعض المسبيين من بابل إلى أورشليم، ثم يجيء ـ في بعض النسخ ـ سفر يحمل الإسمين معاً «عزرا ـ نحميا» ويلي ذلك سفر نحميا، ولو تتبعنا الأحداث التاريخية لكان سفر نحميا جديراً بالتقدم على سفر عزرا، لأن نحميا سبق عزرا في الحضور إلى أورشليم، ولكن يبدو أن شخصاً واحداً هو الذي ألف سفر أخبار الأيام بقسميه وكذلك الأسفار المنسوبة لعزرا ونحميا، وكان ذلك حوالى سنة ٣٠٠ ق. م أي بعد عزرا ونحميا بأكثر من قرنين، وذلك على الرغم من أن في سفر نحميا عبارات كثيرة يتحدث فيها الكاتب عن نفسه متقمصاً شخصية نحميا، وقد قدَّم سفر عزرا الأهمية هذا الكاهن في التاريخ اليهودي، ولأنه بعد أن حضر سبق نحميا في المكانة، وكان له قصب السبق في إعادة بناء الهيكل.

وقد تمكّن بذكائه وحسن سياسته من أن يؤثر على ملك الفرس فأذن له بالعودة إلى أورشليم، لإعادة أسوارها وبناء أبوابها وتشييد قلاعها، وقد تمكن نحميا من إعادة بناء السور، ثم جاء عزرا ومعه ألف وثمانمائة شخص إلى أورشليم، وكان من بينهم رجال المعبد لإعادة شريعة يهوه، وأصبح عزرا نائباً عن الملك، يُعين الموظفين ويوقع عليهم العقوبات، وهكذا قام عزرا بحركة إصلاح ديني في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت حركة معززة بالسلطة الحكومية التي كان يُمثلها عزرا في نفس الوقت، ويحوي السفر قانوناً، يفرض على الشعب الطاعة العمياء لعزرا، لأنه يؤيد شريعة موسى، كما يسرد السفر أعمال الإصلاح الدينية والاجتماعية التي تنسب إليه، ويُعد سفرا أخبار الأيام وسِفْرا عزرا ونحميا سلسلة متكاملة مستقلة تشمل تاريخ العالم من آدم إلى عزرا، حتى ليمكن بها الاستغناء عن باقي الأسفار التاريخية مع شيء من

الاختصار، وسِفرا عزرا ونحميا هما أقدم الأسفار التي تتحدث عن اليهود بعد النفي.

أستير:

سُمِّي هذا السفر باسم امرأة يهودية جميلة اسمها أسْتير، رآها ملك الفرس واتخذها له زوجة، وقد استطاعت أن تقرِّب بين الملك زوجها وبين ابن عم لها اسمه مردخاي، وكان للملك وزير اسمه هامان كان الفرس يسجدون له ويعظمونه، ولكن مردخاي ـ اعتماداً على ابنة عمه الملكة ـ رفض أن يسجد مع الساجدين، وأخذ هامان لذلك يُدبِّر مؤامرة للقضاء على اليهود، فاستصدر من الملك قراراً بالتنكيل بهم لأنهم خونة، وعيَّن يوم الثالث عشر من آزار للقضاء عليهم وأعدَّ مشنقة خاصة لمردخاي، ولكن استير وابن عمها استطاعا أن يرسما خطة يُظهران بها للملك خيانة ضده يُدبِّرها له هامان وزيره، فأصدر الملك أمره بقتل هامان وأتباعه، وقُتل هامان على المشنقة التي كان قد أعدها لمردخاي، وبلغ عدد من قتلهم اليهود في اليوم الثالث عشر من آزار خمسة وسبعين ألفاً من الفرس، وصار اليوم التالي «الرابع عشر من آزار» عيداً من أعياد اليهود حتى اليوم، وليست أستير قصة تاريخية، وإنما هي أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بني إسرائيل، وخدمة أغراضهم.

أيوب:

قلنا فيما سبق إن قصة أيوب الواردة في العهد القديم فيها عناصر قصة أيوب التي أوردها القرآن الكريم، ولكن العهد القديم يصوِّر أيوب حائراً بين الرضا والثورة، فهو أحياناً يرضى بما نزل به، وأحياناً يثور ويتساءل: لماذا نزل بي كل هذا؟ فأيوب مؤمن بالله راض بما قسم له، ولكن كان هناك ـ على حد تعبير السفر ـ رهان بين الله وبين الشيطان. ويحاول الشيطان أن يثير التساؤل والسخط في نفس أيوب، وينتصر الشيطان أحياناً بعض الانتصار فيصرخ أيوب «اليوم أيضاً شكواي تمردا! ضَرْبتي أثقل من تنهدي، مَنْ يعطيني أن أجده،

فأجيء إلى كرسيه أُحْسِن الدعوى أمامه وأملأ فمي حججاً، فأعرف الأقوال التي بها يُجِيبُني، وأفهم ما يقوله لي، أبكثرةِ قوةٍ يخاصمني، كلا[١]...

كم لي من الآثام والخطايا؟ أعلمني ذنبي وخطيئتي، لماذا تحجب وجهك وتحسبني عدواً لك؟ أتُرعِب ورقة مندفعة؟ وتطارد قشاً يابساً؟ لأنك كتبت على أموراً مُرَّة، وورَّثتني آثام صباي[٢].

ويعتبر الدارسون الغربيون سفر أيوب من أمتع الأسفار من الناحية الفلسفية والأدبية، ويقول عنه كارليل: هو كتاب نبيل، وهو كتاب الناس أجمعين، وهو أول وأقدم شرح لتلك المشكلة التي لا آخر لها، مشكلة مصير الإنسان وتصرف الله معه على ظهر هذه الأرض[٣]. ويعلق ول ديورانت على ما قاله كارليل بقوله: إن هذه المشكلة قامت بسبب اهتمام العبرانيين بأمور هذه الدنيا، ذلك أنه لما كانت الجنة لا وجود لها في الديانة اليهودية القديمة، فقد كان من الواجب المحتم أن تنال الفضيلةُ ثوابها في هذا العالم، وإلا لم يكن لها ثواب على الإطلاق، ولكنهم كثيراً ما كان يبدو لهم أن الأشرار ينجحون ويفوزون، وأن أشد الآلام قد نزلت بخيار الناس، فَلِمَ إذاً ـ كما يقول كاتب المزامير ـ هؤلاء هم الأشرار يكثرون ثروة[٤] ولِمَ يُخفي الله نفسه ولا يعاقب الأشرار ويثيب الأخيار[٥].

المزامير:

سمي السفر بذلك الإسم لأنه يحوي مجموعة من الأغاني تُنشدَ بمصاحبة المزامير، فهذا السفر يُناظر ما يُعرَف في العربية بالتهليل والتواشيح والتسابيح، وبعض المزامير طقوس دينية، وبعضها يتصل بالأعياد الإسرائيلية، وأكثر

---

(١) الإصحاح ٢٣: ١ ـ ٦.

(٢) الإصحاح ١٣ ـ ٢٦.

(٣) Carlyle, Heroes and Hero-Worship p. 280.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٦١.

(٥) ول ديورانت: قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٦٠.

المزامير ترجع لداود، فله وحده ثلاثة وسبعون مزموراً، وبالسفر مزامير أخرى لسليمان ولآساف الذي كان رئيس المغنين في عهد داود، وتُنسب بعض المزامير لموسى، وفيما يلي مزمور منسوب إلى داود، ووضعه في الكتاب المقدس هكذا:

المزمور الخامس

لإمام المغنِّين على ذوات النفخ، مزمور لداود

لكلماتي أصغ يا رب: تأمل صراخي استمع لصوتي ودعائي يا ملكي وإلهي لأني إليك أصلي يا رب، بالغداة تسمع صوتي، بالغداة أوجه صلاتي نحوك وأنتظر.

لأنَّك لست إلهاً يُسَرُّ بالشر، ولا يساكنك الشرير، لا يقف المفتخرون قدام عينيك، أبغضتَ كلَّ فاعلي الإثم، رجلُ الدماء والغش يكرهه الرب، أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك، أسجد في هيكل قدسك بخوفك.

يا رب اهدني إلى برِّك بسبب أعدائي. سهل قدامي طريقك. لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هُوَّة. خلقُهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها. أدِنْهُم يا الله. ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم، طوِّح بهم لأنهم تمرَّدوا عليك.

ويفرح جميع المتَّكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظلِّلهم. ويبتهج بك مُحبو اسمك لأنك أنت تبارك الصدِّيق يا رب. كأنه بتُرْسٍ تحيطه بالرضا.

أسفار سليمان (الأمثال ـ الجامعة ـ نشيد الأناشيد):

تُنسَب هذه الأسفار إلى سليمان، وليست في الحقيقة إليه، فسفرُ الأمثال يحوي مجموعة من الأمثال لا تربط بينها رابطة، وليس في أسلوبها وحدة أو تناسق، فالسفر ـ فيما نعتقد ـ ليس من فعل شخص واحد، ولا نتاج عصر واحد، وإنما هو من الآداب الشعبية التي تتناقلها الأجيال وتُدْخل عليها كثيراً من الزيادة والنقصان.

وكما تعدَّد الأشخاص الذين ألفوا هذه الأمثال، فإن موضوعاتها متعددة أيضاً، فمنها أمثال دينية، ومنها دنيوية، ومنها أمثال للتحذير والإنذار، ومنها ألغاز وهجاء.

وبعض الأمثال تَرد باسم سليمان كنصائح يوجهها لولده، وبعضها تنسب لسليمان أيضاً ولكنها عامة ليست موجهة إلى أحد، وبعضها تنسب إلى حكماء، حُددت أسماؤهم أو لم تُحدد؛ وممن حدّدت أسماؤهم «أجور بن ياقة» وبعض هؤلاء يوجّهون الأمثال نصائح لأولادهم وبعضهم يطلقونها إطلاقاً، وبعض الأمثال تتصل بالملك «الموئيل»، وهي عبارة عن نصائح أمه له لما صار ملكاً، ويختم السفر بمدحٍ للزوجة الصالحة، فهو يصفها بأنها «تفوق اللآلىء؛ بها يثق قلب زوجها، فلا يحتاج إلى غنيمة، تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها، تفتح فمها بالحكمة، وفي لسانها سُنَّةُ المعروف، تراقب طرق أهل بيتها، ولا تأكل خبز الكسل. . الحُسْنُ غِشٌّ والجمال باطل، أما المرأة المتقية الرب فهي تُمدَح[1].

أما سفر الجامعة فهو أيضاً نوع من الشعر الذي يطلق عليه شعر الحكمة، وهو قريب الشبه بالإصحاحات الأولى من سفر الأمثال، حيث يتحدث حكيم له خبرة ومعرفة يسميه السفر «الجامعة»[2]، وقد يتشاءم أحياناً ويتشكك فيما حوله فيتكلم بعبارات الشك والإلحاد والزندقة، مثل «قد يكون بارٌّ يَبِيدُ في بِرِّه، وقد يكون شرير يطول في شره، لماذا تخرِّبُ نفسك؟ لماذا تموت في غير وقتك؟ حسن أن تتمسَّك بهذا وألا تُرخي يدك عن ذاك، مُتقى الله يخرج منهما كليهما»[3].

أما سفر نشيد الأناشيد فهو عبارة عن موضوع غرامي أو هو غزل بين يهوه وبين إسرائيل يرتّله اليهود حتى اليوم في عيد الفصح، وقد قُبِل في الكتاب

(١) انظر الإصحاح ٣١.
(٢) الإصحاح ٢٢: ٩.
(٣) الإصحاح السابع ١٥ ـ ١٨.

المقدس لأن فيه اسم سليمان، والحقيقة أنه ليس له، فهو أغان شعبية من وضع الشعب ويردّدها الشعب في عصور متعددة، في مناسبات الزواج والزفاف.

أسفار الأنبياء:

وهي في النسخة الكاثوليكية ستة عشر سفراً، وتكاد تكون محتويات هذه الأسفار متشابهة، فهي أحياناً مهاجمة لسلوك بني إسرائيل ولمعبوداتهم التي مالوا إليها دون يهوه، وهي أحياناً تهديد لهم بالشر نظير سوء سلوكهم، وبعضها يتنبّأ بسقوط دولتهم، وبعضها يحثُّ على الخضوع للسلطات الخارجية، وبعضها يتكلم عن المسيح المنتظر، وهكذا، وتَرِدُ الفكرة مع أكثر من نبي أحياناً، وليست نسبة هذه الأسفار للأنبياء دقيقة، وليس وضع الأنبياء في هذه الأسفار متسلسلاً تاريخياً، فعاموس الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد يجيء بعد إرميا الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد. وسفر عوبديا يصور رؤيا تلقَّى هذا فيها خطاباً من الرب يندِّد بإبادة كل رجل في نسل عيسو لأن أبناء عيسو جاروا على أبناء يعقوب، وسفر حَبَقُّوق عبارة عن وحي تلقاه هذا النبي ومناجاة لربه، وفيما يلي فقرات من الإصحاح الأول تشير إلى ما ذكرنا: «الوحي رآه حبقوق النبي حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلِّص[1]...» وفي سفر حجِّي، ما يدل على أن «الرب كلَّف حجِّي ليكلم حاكم يهوذا وكاهنها الأكبر مندِّداً ببقاء بيته خرباً، وبقولهم إنه لم يحن وقت بنائه بينما هم يسكنون في بيوت مغشاة»[2]. وقد سبق لنا الحديث عن أكثر هؤلاء الأنبياء وكان ظهورهم في فترة الانقسام، فالسبي، فما بعد السبي.

المراثي:

يَرِدُ سفر المراثي بعد سفر إرميا ومنسوباً له، وفيه يبكي إرميا حالة يهوذا

---

(١) الإصحاح الأول: ١ ـ ٢.

(٢) الفقرات الأولى من الإصحاح الأول.

وأورشليم، وما نزل ببني إسرائيل من انحرافات، والمصير السيىء الذي آلت له دولتهم، ومما جاء في هذا السفر:

«ابتلع السيد ـ ولم يشفق ـ كلَّ مساكن يعقوب، نقض بسخطه حصون بنت يهوذا، نجَّس المملكة ورؤساءها، وأشعل في يعقوب ناراً ملتهبة تأكل مَنْ حولها، مدَّ قوسه كعدو، نصب يمينه كمُبغض، وقتل كل مشتهيات العين في خباء بنت صهيون، سكب ـ كنار ـ غيظه، صار السيد كعدو ابتلع إسرائيل..»[1].

الأسفار الزائدة بالنسخة الكاثوليكية

اعترفت الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦ م بأسفار لم تكن معترفاً بها قبل ذلك التاريخ، أهمها الأسفار السبعة التي أشرنا لها من قبل والتي سنورد عنها بعض التفاصيل فيما بعد، ويجدر بنا أن نوضح أن هذه الأسفار وُضعت بعد الزمن الذي اتُّفق على أنه عصر العهد القديم، فليس رفضها من بعض الكنائس لأنها أقل من سواها، بل لأنها وضعت بعد «عصر العهد القديم» وبعضها كبير الأهمية لأنه يحمل دراسة تاريخية كسفري المكابيين، وبعضها أساطير يهودية كيهوديت التي لا تقل عن أسطورة أستير، وفيما يلي تعريف بهذه الأسفار:

طوبيا:

أسطورة طوبيا كما وردت في العهد القديم تتلخص في أن رجلاً اسمه طوبيا كان أسيراً في نينوى وفقد بصره هناك، وكان له ابن اسمه طوبيا أيضاً، وفي مدين كانت هناك امرأة جميلة اسمها سارا، كان يعشقها عفريت يقتل كل من يتقدم للزواج منها، حتى قتل سبعة من خطابها، ثم أرسل الرب رسولاً إلى طوبيا الأب أن يزوج ابنه من سارا، وأعلمه أنه سيقضي على العفريت، ورحل

---

(١) الإصحاح الثاني ٢ ـ ٥.

طوبيا الإبن إلى نينوى وتم الزواج، وفي السفر وصف لحفلة الزفاف وبه كذلك خطب وصلوات ونبوءات.

يهوديت:

تشبه أسطورة يهوديت أسطورة أستير التي تحدثنا عنها من قبل، وتتلخص في أن نبوخذ نصر ملك آشور هاجم اليهود واستولى على المنابع التي تمدُّ مدنهم بالماء، وبدا أنه سيقضي عليهم، وأوشكوا على الاستسلام، لولا أن أرملة يهودية جميلة واسعة الحيلة اسمها يهوديت اتصلت بقائد نبوخذ نصر، وفتنته بجمالها فأُغرم بها واستسلم لها، وفي إحدى الليالي انتهزت يهوديت فرصة فقده وعيه بسبب كثرة ما شرب من خمر فقطعت رأسه ونجَّت قومها منه.

وليس هذا السفر تاريخياً، وإنما هو أسطورة تصور آمال بني إسرائيل، واتجاه حيلهم.

الحكمة:

ينسب هذا السفر إلى سليمان، وهو في الحقيقة ليس له، ويتجه مؤلف السفر إلى ملوك الأرض والجبابرة بها بألا يغتروا بمكانتهم، وأن يراعوا العدالة مع من يحكمون، فالحكمة لا تأوي إلى جسد المذنب، كما يتحدث السفر عن أثر الحكمة في الأحداث التاريخية منذ آدم حتى موسى.

يسوع بن سيراخ:

تنسب ليسوع أمثال كتلك التي تنسب لسليمان، ويسوع هذا رجل يهودي من أورشليم كثير التجول والترحال، له أسلوب رائع يصوغ به أفكاره عن الحكمة والرشد، ويقرر يسوع أن مصدر الحكمة هو الله، وأن الله يمنحها لبعض أحبائه. وفي السفر تعاليم أخلاقية وصور من السلوك، وهو ينصح من يريد الكلام أن يستعد له، ويرى من الحكمة ألا يستشير الإنسان حسوداً، وألا يعطي الجسد ما يضره.

باروخ:

باروخ تلميذ إرميا، وقد اختفى معه في الصحراء هرباً من رجال الدين اليهود الذين كانوا يعبدون بعل ويقدمون له الذبائح، وسفر باروخ أشتات من الأفكار، وليست به وحدة متناسقة.

المكابيون الأول والثاني:

يحوي هذان السفران تاريخ المكابيين الذين سبق أن ذكرناه في الباب الأول، والسفران يشيدان ببطولة الأسرة المكابية، وفي الكتابين حديث عن الإسكندر الأكبر وتراثه العقلي الذي عارضه اليهود، وكانت هذه المعارضة من أسباب الخلاف بينهم وبين السلطة الحاكمة[1].

دراسات عن العهد القديم

أوردنا فيما سبق تعريفاً بالأسفار، ملاحظين واقع الأسفار التي بين أيدينا، ولكن هذا الواقع يختلف مع الحق، فأكثر الأسفار ألفها غير من نُسِبَت إليهم أو قل نُسِبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين، وتواريخُ تأليفها بعيدة عن الدقة، وبها كثير من المتناقضات، وكتبت لأهداف محددة لا لتصف الواقع؛ وغير ذلك من المآخذ، ومن ثم لزم أن نورد بعض الدراسات حول هذه الأسفار لنضعها في مكانها الصحيح:

الإسلام والعهد القديم:

يعترف الإسلام بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم، قال تعالى:

ـ الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدًى للناس[2].

---

(١) دكتور فؤاد حسنين: «التوراة» في أمكنة متعددة.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ٢ ـ ٣.

ـ ومن قبله كتاب موسى[1].

وفيما عدا ما أنزله الله على موسى فإن الإسلام لا يعترف به، فسفر يشوع وسفر القضاة والملوك. . . ليست من الكتب المقدسة في نظر الإسلام، والأنبياء السبعة عشر الذين أوردنا ذكرهم وتكلمنا عن أسفارهم هم أنبياء في نظر اليهود ولم يتعرض القرآن الكريم لهم ولا لكتبهم بأي ذكر، وقد سبق أن أوردنا في الباب السابق هجوم بعض هؤلاء الأنبياء على بعض، ورمية بعضهم بعضاً بالشعوذة والهوس والتظاهر، لابتزاز الأموال بغير حق.

ونعود إلى التوراة التي أنزلها الله على موسى فنتساءل: أين هي؟

ويجيبنا القرآن الكريم على هذا التساؤل بأن اليهود أهملوا بعضها فضاع، وحرَّفوا بعضاً على نحو ما أرادوا، قال تعالى:

ـ **﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾**[2].

ـ **﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل﴾**[3].

ـ **﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾**[4].

وفي الذكر الحكيم ما يوضح أن القرآن الكريم حوى الأصول الصحيحة التي جاءت بها الأديان السابقة. قال تعالى:

ـ **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾**[5].

---

(١) سورة هود، الآية ١٧.
(٢) سورة المائدة، الآية ١٣.
(٣) سورة المائدة، الآية ٦٨.
(٤) سورة الجمعة، الآية ٥.
(٥) سورة الشورى، الآية ١٣.

ـ ﴿وأنزلنا إليك الكتاب الحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾[1].

ـ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾[2].

ويقول المفسرون في تفسير الآية الأولى من هذه الآيات: إن الله شرع للمسلمين ديناً يحوي ما جاء به الأنبياء من نوح إلى عيسى[3].

ويقولون في تفسير الآية الثانية إن القرآن هو الصورة الأخيرة لكتاب الله الواحد، المتحد الأصل والوجهة، المساير لحاجات البشر، حتى إذا كشف للناس عن الحقائق الكبرى التي تقوم عليها أسس الحياة، انقطع الوحي ليتصرف العقل البشري في حدود تلك الحقائق الكبرى، بلا خوف من الزلل ما دام يرعى تلك الحدود، ومن ثم فكل الحكم يجب أن يرجع إلى هذا الكتاب الأخير الذي يتضمن الباقي من شريعة الله كلها في كل كتاب، ويضعها في الصورة الأخيرة الباقية إلى يوم القيامة[4].

ويقولون في تفسير الآية الثالثة: إن الله أرسل محمداً بالإسلام دين التوحيد والحق الخالد، ليعلو على الأديان والمعتقدات، بأن يحوي أحسن ما فيها، وأن يضيف إلى ذلك ما فيه خير الإنسان في الدنيا والآخرة[5].

اختفاء التوراة ثم اختلاق توراة:

ويقرر التاريخ أن موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة ووضعها مع

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨.
(٢) سورة الفتح، الآية ٢٨.
(٣) البيضاوي ص ٤٨٥.
(٤) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٦٦ ـ ٦٧.
(٥) انظر النسفي والقرطبي والكشاف.

اللوحين في التابوت[1]، ومرت الأيام، وظهر في بني إسرائيل كثير من الفجرة والكفرة حتى جاء عهد سليمان وفُتح التابوت بعد أن وُضع في الهيكل، فلم توجد به نسخة التوراة، وإنما وجد اللوحان الحجريان فقط، وقد جاء في الكتاب المقدس عن ذلك «. . . لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الربُّ بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر»[2].

وحدثت بعد سليمان أحداث دينية عجيبة ذكرناها فيما سبق، وصلت إلى الردة وعبادة الأوثان، وعبادة آلهة الأقوام المجاورين، وتعرَّض بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير عدة مرات، وبنى مذبح للأصنام في فناء بيت المقدس، ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها، وبعد سقوط مملكة إسرائيل، بقيت مملكة يهوذا تعاني صوراً من الاضطراب والفوضى، وكان اتجاهها غالباً إلى الزندقة والكفر، وقبيل سقوطها آل السلطان إلى الملك يوشيا (حوالى ٦٢٩ ـ ٥٩٨ ق. م) ومال هذا إلى العودة للإيمان واتباع التوراة رجاء أن يكون في هذا إنقاذ مملكته من الفوضى والدمار، وكان يعاصره كاهن اسمه حلقيا انتهز فرصة هذا الميل في الملك فادَّعى ـ بعد سبعة عشر عاماً من حكم يوشيا ـ أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس، وأعطاها شافان الكاتب[3].

ولا يقبل الباحثون ادّعاء حلقيا، إذ لا يعقل أن توجد نسخة التوراة في بيت المقدس ولا يراها أحد قبل يوشيا ولا خلال السبعة عشر عاماً الأولى من حكمه، ويرى الباحثون أن حلقيا انتهز فرصة ميل يوشيا إلى العودة لدين الله والعمل بالتوراة فكتب خلال هذه الأعوام السبعة عشر ما أسماه أسفار التوراة، وليس ذلك في الحقيقة إلا من مخترعاته ومما سمعه من أفواه الناس. بقي أن

(١) خروج ٢٥ : ٢١.
(٢) الملوك الأول ٨ : ٩.
(٣) اقرأ «إظهار الحق» للعلاّمة رحمة الله الهندي ص ٣٢٣ ـ ٣٣٥.

نذكر أن الباحث العلّامة ول ديورانت يقرر أنه لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر[1].

كتّاب العهد القديم:

تنسب أسفار العهد القديم إلى هذه الأسماء التي ذكرناها مع كل سفر، ولكن الحقيقة أن هذه التسمية غير صحيحة، وأن هؤلاء الذين نُسبت لهم الأسفار أو أكثرهم لم يكتبوها، أو لم يكتبوا حرفاً منها، وقد سبق أن أشرنا إلى هذا عند حديثنا عن بعض الأسفار، وأبَنّا أن بعض من نُسبت إليهم الأسفار ليس لهم وجود في التاريخ، وإنما وضعت قصصهم وضعاً لهدف معين، وبعض الأسفار ليست في الحقيقة إلا أساطير وأغنيات شعبية لصقها الكتّاب ببعض الأنبياء أو المتنبئين من اليهود.

وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية، لأنها كانت تختلف عما باشروا من طباع وخُلق، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة.

ما الدليل على أن هذه الأسفار نُسبت إلى غير مؤلفيها؟

في الإجابة على هذا السؤال نورد بعض نماذج تؤيد هذه الحقيقة دون شك، فعن الأسفار التي تنسب إلى موسى الآن، نقرر أنه لا يوجد من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى هو الذي جاء بها، أو أنزلت عليه، بل على العكس من ذلك يوجد ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى، وفيما يلي اقتباسات من هذه الأسفار توضح خطأ هذه النسبة:

ـ جاء في سفر التثنية ما يلي: «فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب، ولم يعرِف إنسان قبره إلى اليوم»[2] وليس من المعقول أن يكتب موسى ذلك عن نفسه.

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٢٧١.

(٢) سفر التثنية ٣٤: ٥.

ـ وجاء في السفر نفسه: «ولم يقم بَعْدُ نبي في بني إسرائيل مثل موسى»[1] ومن الواضح أن مثل هذه العبارة لا تقال إلا بعد موت موسى بزمن ليس بالقصير.

ـ وجاء في سفر التكوين ما يلي: «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما هَلَكَ مَلِكٌ لبني إسرائيل[2].

وهذه الفقرة تدل على أنها كتبت في عهد ملوك بني إسرائيل أو بعده، وعهد ملوك بني إسرائيل متأخر عن موسى بعشرات السنين أو مئات السنين.

ومن هذا ندرك أن أسفار التوراة ليست من أسفار موسى، وإنما نُسبت له لكثرة ورود اسمه بها.

ويقول الباحث J. Smith عن سفر الخروج: إن هذا السفر الذي نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس، لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه، وربما كانت هذه الأحداث محفوظة جيلاً عن جيل، إذْ كان بعضها، كما لا يزال الحال حتى الآن ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة في عيد الفصح[3]. فإذا تركنا أسفار موسى إلى سواها من الأسفار وجدنا نفس النتيجة، فإن هذه الأسفار نُسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين، ويبدو أن المؤلفين كانوا متأخرين جداً عمن نسبتهم لهم هذه الأسفار، وقد قرر الكتّاب الغربيون هذه الحقيقة ويرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه إرميا، وبين يوشع وإرميا أكثر من ثمانية قرون تقريباً، ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل، ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فنيحاس[4].

وسفر القضاة ينسبه بعض الكتّاب الغربيين إلى حزقيال، وينسبه آخرون

---

(١) تثنية ٣٤: ١٥.

(٢) تكوين ٣٦: ٣١.

(٣) God and Man in Early Israel pp. 34-35.

(٤) انظر هذه الآراء في إظهار الحق العلاّمة رحمة الله الهندي ص ٦٦.

إلى عزرا، وينسبه فريق ثالث إلى فنيحاس، وبين عزرا وفنيحاس أكثر من تسعة قرون[1]، وسفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب في ذلك الزمن البعيد الذي عاش فيه دانيال، أي عندما سقطت بابل في يد الملك الفارسي قورش سنة ٥٣٨ ق. م، بل لا بد أن يكون هذا السفر قد كتب بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة للأسباب التالية:

١ ـ يتضمن هذا السفر كلمات مقدونية، مع أن اليهود في زمن الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد، ولا صكَّت أسماعَهم اللغةُ اليونانية.

٢ ـ فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الكلدانيين.

٣ ـ اقتبس طرفاً من أقوال إرميا وحزقيال وزكريا مع أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا إبان الأسر البابلي[2]، والأسفار المنسوبة إلى سليمان ليست إليه كما سبق أن ذكرنا عند التعريف بالأسفار، ومثل هذا يقال عن كل الأسفار أو أكثرها، وقد تعرض لهذا الموضوع العلاّمة ول ديورانت وكتب عنه موجزاً يمكن أن نقتبسه، قال هذا الباحث:

كيف كُتبت هذه الأسفار؟ ومتى كُتبت؟ وأين كُتبت؟

ذلك سؤال كُتِبَ في الإجابة عنه آلاف المجلدات، ولكن يجب أن نَفْرَغ منه هنا في فقرة واحدة، فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين، وقد كتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل، ثم تمَّ التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالى عام ٣٠٠ ق. م[3].

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٦٨.

(٢) انظر محنة التوراة على أيدي اليهود لعصام الدين حفني ناصف ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

الأسر البابلي وأثره على العهد القديم وعلى اليهود:

يقرر Wells أن أسفار العهد القديم جُمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد[1]، ويربط رأيه ذاك بأهمية الأسر البابلي على اليهود، فيقرر أن اليهود لم يكونوا قبل الأسْر شعباً متحضراً ولا متحداً، وربما لم يكن فيهم إلا قلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة، ولم يظهر في تاريخهم قط أن أسفاراً كانت تُقرأ قبل الأسْر، ولكن الأسر البابلي مَدَّنهم ووحدهم وأبرز حاجة الشعب العبراني إلى جمع تاريخه، ورَسْم تقاليده وتنميتها فبدءوا يدوِّنون الأسفار من مصادر مختلفة لهدف واحد هو خدمة مستقبلهم، فلما عادوا من الأسر، كانوا شعباً يختلف اختلافاً عظيماً عن الشعب الذي خرج، مما يصدُق عليه ما يقوله المؤرخون من أن التوراة هي التي صنعت اليهود وليس اليهود هم الذين صنعوا التوراة[2].

ويذكر Wells في كتابه Outline of History ما يزيد هذا الموضوع إيضاحاً، وهاك عبارته: والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس، هي أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجاً، وعادوا منها ممدنين، خرجوا جمهوراً مختلطاً منقسماً على نفسه، لا يربطه وعيٌ ذاتي وطني، وعادوا بروح قومية شديدة، وجنوح إلى الاعتزال، ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف، وليس هناك ما يدل على تعودهم تلاوة أي كتاب، وعادوا إلى وطنهم ومعهم شطرٌ كبير من مادة «العهد القديم» وواضح أن اليهود بعد أن تخلصوا من ملوكهم القتلة المتنازعين، وبَعُدوا عن السياسة، وعاشوا في ذلك الجوّ الباعث على النشاط الذهني في العالم البابلي، فإن العقل اليهودي ما لبث في أثناء مدة الأسر أن خطا إلى الإمام خطوة عظيمة[3].

ذلك موجز القول عن ظروف تدوين الأسفار، أما كتَّابها فكثيرون، ويبرز

---

(١) A Short History of The World p. 89.

(٢) Ibid pp.90, 94, 96.

(٣) Outline of History p. 290.

من بين الكتّاب إسم الكاهن عزرا، مرتبطاً بتدوين التوراة، ويذكر Hosmer أن عزرا هو الذي ـ في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ـ قاد جماعة من اليهود إلى فلسطين حيث استعاد بها الحياة اليهودية، وهو الذي أبرز أجزاء كثيرة مما سمي فيما بعد بالعهد القديم، وقد أكمل الكهنة الذين جاءوا بعد عزرا ما بدأه هذا الكاهن، وفي عهد المكابيين كانت أجزاء العهد القديم قد وجدت تقريباً، ولكنها لم تكن وضعت في نظامها المعروف الآن، كما أنها لم تكن في مستوى واحد من حيث الإجلال والتقدير[1].

ويروي العلاّمة رحمة الله الهندي أقوال بعض المؤرخين الغربيين التي تقرر أن توراة موسى ضاعت، فأوجدها عزرا مرة أخرى بإلهام[2]. ويبدو أنه بسبب دعوى الإلهام هذه، وبسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل، سَمَّى اليهود عزرا «ابن الله».

على أنه ليس مستبعداً أن تصح نسبة بعض الأسفار المتأخرة إلى من نسبت إليهم، فبعد العودة من الأسر وبعد عهد عزرا بدأ التدوين، واتجهت العناية إلى كتابة الأسفار، فلما جاء عهد تحقيق الأسفار زُجّ بكثير من هذه الكتابات في العهد القديم، ولا تزال هناك أسفار يرفضها البروتستانت المسيحيون حتى العهد الحاضر، وهناك أسفار أخرى يرفضها البروتستانت والكاثوليك ويعترف بها اليهود أو يعترفون ببعضها كما سبق القول.

مصادر العهد القديم

إذا ثبت لنا أن الوحي ليس المصدر الحقيقي لأسفار العهد القديم التي بين أيدينا، فما المصادر الحقيقية لهذه الأسفار؟

---

(١) The Jews p. 75-76.

(٢) أنظر هذه الأقوال في إظهار الحق ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

الوهم والخيال:

يبدو من الدراسة الفاحصة أن هذه الأسفار من صنع أجيال متعددة، وأن فترة التدوين بدأت من عهد عزرا واستمرت بعده، وأن الكهنة كانوا يعتمدون على ما سمعوه وما تلقاه الخلف عن السلف من أخبار وأساطير وأقوال، وكثيراً ما كان الكهنة يكتبون ما يجيش بصدورهم أو ما يأملونه على أنه حقيقة واقعة، أو تاريخ سابق، وليس ذلك في الحقيقة إلا تصديقاً للخيال، وإلا من الوهم الذي يتخذ في نفس الواهم صورة الحقائق المقررة، ومن ذلك ما جاء في سفر صموئيل من أن داود ذهب ليسترد سلطته عند نهر الفرات[١].

ومن الواضح أن داود لم يصل بسلطانه إلى الفرات ولم يقرب منه، وأين نهر الفرات من فلسطين؟ وليس ذلك إلا وليد الخيال[٢].

قرارات المحافل اليهودية على مرّ التاريخ:

ومن المصادر المهمة للأسفار قرارات المحافل اليهودية، فعلى مرِّ التاريخ كان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم لتصير جزءاً من الأسفار المقدسة[٣]، وعندما اتَّخذت الأسفار المقدسة وضعها النهائي قبيل الميلاد، لم يتوقف زعماء اليهود عن محاولاتهم تجاه تقديس قراراتهم، فدفعوا بها إلى التلمود، ثم بعد ذلك إلى بروتوكولات حكماء صهيون، وليس هذا وذاك بأقل عندهم من العهد القديم قداسة وجلالاً.

أساطير الجزيرة العربية:

ويقرر ول ديورانت أن أساطير الجزيرة العربية، كانت معيناً غزيراً لأسفار العهد القديم، فمن هذه الأساطير أُخذت قصص الخلق والطوفان التي يرجع

---

(١) الإصحاح الثامن الفقرة الثالثة.

(٢) محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم جـ ٢ ص ١٨٨.

(٣) عبد الرحمٰن سامي: الصهيونية والماسونية ص ٦١.

عهدها في البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد، والراجح أن اليهود أخذوها من مصادر سامية وسومرية قديمة، كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى، ويقول ول ديورانت كذلك إن القصص الشعبية العالمية كانت مصدراً من المصادر التي اقتبس منها كتَّابُ أسفار العهد القديم، فقد كان في مصر والهند والتبت وبابل وبلاد الفرس واليونان والمكسيك وغيرها من البلاد، قصصٌ شعبية عن الجنة وما فيها من نعيم، وما فيها كذلك من الأشجار المحرمة والأفاعي، وقد سلبت هذه الأشياء الخلود من الناس ونزلت بهم إلى الأرض، وأكبر الظن أن الحية والتينة كانتا رمزين للشهوات الجنسية، تلك الشهوات التي تقضي على الطهر والسعادة وتسبّب الشرور، وقد برزت هذه الفكرة في سفر الجامعة، ويوضح ول ديورانت أن المرأة اتُّخذت في معظم القصص العالمية أداة للشيطان، ويبرز أسمبوسي في الأساطير الصينية، ويقرر القَصَصيُّ الصيني «شيجنك» أن كل الأشياء كانت في بادىء الأمر خاضعة للإنسان، ولكن المرأة ألقت بنا في ذلك الاستعباد، فشقاؤنا لم يأتنا من السماء بل جاءت به المرأة التي أضاعت الجنس البشري، ويضيف ول ديورانت أن قصة الطوفان أيضاً كانت واسعة الانتشار في الأدب الشعبي، فلا يكاد يوجد في الأمم القديمة أمة لم تعرفها، وقلما وجد جبل في آسيا لم يَرْسُ عليه راكب السفينة الذي قدر له أن ينجو من الطوفان[1].

الفكر المصري:

ويُعدُّ الفكر المصري أيضاً مصدراً رئيسياً لأسفار العهد القديم، وقد وضَّح أدولف إرمان Adolf Erman هذا الموضوع في بحثه القيم الذي تقدم به سنة ١٩٢٤ إلى المجمع العلمي البروسي، وعنوانه «مصدر مصري لأمثال سليمان» وتكلم في هذا البحث عن مؤلَّفٌ لحكيم مصري اكتُشفَ حديثاً على أوراق البردى، وقد وضع هذا الحكيم نصائحه في ثلاثين باباً وساقها في صورة نصائح والد لولده، وهو نفس الطريق الذي سلكه حكماء الشرق منذ القدم،

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٦٨: ٣٦٩.

وقد تكررت هذه الحكم بشكل واضح في سفر الأمثال[1]، ويلاحِظ كثير من الكتّاب أن المعاني التي ذكرها أخناتون في قصيدته عن الشمس تكررت كذلك في أسفار العهد القديم[2].

الفكر البابلي:

ومن مصادر العهد القديم الرئيسية الفكر البابلي، وقد عثر القائمون بالحفائر الحديثة على نصوص بابلية، تروي كلاً من قصتي الخليقة والطوفان، وهي نصوص ترجع إلى زمن يسبق عودة اليهود إلى فلسطين، ومن ثم فإن نقّاد الكتاب المقدس يُحاجُّون بأن اليهود استولوا في أثناء أسْرهم على تلك الفصول، وهي قوام للإصحاحات العشر الأولى من سفر التكوين، ومن المصادر البابلية التي عُثِر عليها نصوص تُعَدُّ مرجعاً هاماً لقصة شمشون ودليلة وسواها من قصص العهد القديم[3] كما أن ترانيم التوبة البابلية قد اقتُبست في بعض هذه الأسفار[4].

بابل وفارس:

ويقول الأستاذ العقاد عن المأثورات الفارسية في الفكر اليهودي ما يلي:

قصة الخليقة في العقائد الإسرائيلية الأولى تشابه قصة الخليقة في ألواح بابل، وعقيدة «المخلِّص» المنتظر موجودة في الديانة الفارسية وموجودة في الديانة الإسرائيلية. . . وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرّد على قسمة الموت، وطمح إلى خلود كخلود الأرباب، فبحث عن وسيلة يتغلّب بها على الفناء[5].

---

(١) انظر «التوراة» للدكتور فؤاد حسنين ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) محنة التوراة ص ٧٥.

(٣) Wells: The Outline of History pp. 275. 291.

(٤) محنة التوراة ص ٥٧.

(٥) عباس محمود العقاد: الله ص ١١٧.

تشريع حمورابي:

على أن أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هو تشريع «حمورابي» الذي يرجع تاريخه إلى نحو ١٩٤٠ ق. م وقد اكتشف في سنة ١٩٠٢ م محفوراً على عمود من الصخر الأسود، وتشريع حمورابي، أقدم تشريع سامي معروف حتى الآن، وهو يدل على عقلية بلغت شأواً عظيماً من الرقي والنضج، ثم إن هناك شبهاً شديداً بينه وبين القوانين اليهودية، وهذا الشبه ليس سطحياً ولا عرضياً، بل يتناول اللحمة والسدى واللب والجوشر، وحتى اللفظ والتراكيب، ولذا ذهب كثير من العلماء وفي مقدمتهم Jeremias إلى أن القوانين الإسرائيلية في معظمها مأخوذة مباشرة من تشريع «حمورابي»[١]، ومن أبرز ما اتضح في تشريع حمورابي وتحدَّر إلى الفكر الإسرائيلي «قانون المشابهة» الذي يُوجِد علاقة بين الجريمة والعقوبة ويُلزم أن تكون العقوبة مضارعة للجريمة وأن تكون مثلها بقدر الإمكان، فالعضو الذي يُحْدِث الضرر يَلْقى العقاب، فكانت اليد التي تخطىء أو تسرق تعاقب بالضرب أو القطع، فإن زلَّت يد الجراح فسببت وفاة المريض أو فقأت عينه، قطعت يد الطبيب، وإذا جرى لسانه بالغيبة أو النميمة فَبَتْره هو العقاب، وإذا هجم رجل على آخر فأضر ببعض أعضائه، كان العقاب في مثل الموضع المصاب وكذلك كانت الحال في البضائع والأموال، فالسلعة بالسلعة، والسفينة بالسفينة، والثور بالثور، والضأن بالضأن، وما إلى ذلك...

هذه نماذج من تشريع حمورابي، ونجدها في العهد القديم بنفسها، أو مع اختلاف يسير، مما يدل على أن تشريع حمورابي كان مصدراً مهماً من مصادر العهد القديم[٢].

---

(١) The Oid Testament in the Light of the Ancient East. Passim.

(٢) هناك نصوص من «تشريع حمورابي» تقارن بما ورد في سفر الخروج ٢١: ٢٣ ـ ٣٦ وما ورد في سفر التثنية ١٩: ٢١ وسفر اللاويين ٢٤: ١٧ ـ ٢٢.

وانظر «النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السابقة» للدكتور محمد محمود جمعة ص ١٨٦ وما بعدها.

تحريف العهد القديم:

من الدراسات السابقة اتضح لنا أن الفساد سرعان ما تطرق لبني إسرائيل بعد موسى، واتضح لنا كذلك أن أسفار العهد القديم كتبت متأخرة، أي في عهد الفساد والاضطراب، وأن كتّابها ليسوا هم الذين أسندت لهم هذه الأسفار، وليس الوحي مصدراً لهذه الأسفار، والنتيجة الواضحة لكل هذه المقدمات أن اليهود كتبوا التوراة انعكاساً لأخلاقهم وآمالهم، وبنوْها هدفاً يحققون به مقاصدهم، ومن هنا ازدحمت الأخطاء في العهد القديم وتوالت، وقد عُني كثير من الباحثين بإبراز أخطاء العهد القديم، وإيضاح ما به من خلط وتضاب.

والنظرة السريعة للعهد القديم توحي أن الهدف الأسمى الذي أراده بنو إسرائيل من الكتاب المقدس، كان تبرئة بني إسرائيل من العيوب، وتلويث سواهم من الشعوب، فأحد إبني آدم كان ضالاً وكان الآخر مهتدياً، فادَّعَوْا أن مِن المهتدي ينحدر بنو إسرائيل، وأبناء نوح الذين نجوا من الغرق كانوا ثلاثة ولكن بني إسرائيل يُكثرون الهجوم على حام بن نوح ويسخطون عليه لا لشيء إلا لأنه أبو الجنس الذي انحدر إلى مصر وما يليها من الجنوب، وكراهيةُ بني إسرائيل لمصر قديمة وعريقة، ويصبُّ سفر التكوين السخط على كنعان بن حام بن نوح[1] لأن الكنعانيين حاربوا العبرانيين فلما دوّن هؤلاء العهد القديم، خصوا الكنعانيين بسخط الله، كأن الله يسخط على من سخطوا عليه ويرضى على من رضوا عنه.

وهكذا كُتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله منها بريء، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم.

وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتّاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم، كثرت الأخطاء فيه، ويمكننا أن نعطي منها بعض نماذج:

ـ لم يكن للعدد مدلول دقيق في أسفار العهد القديم، فقد ورد في سفر

---

(١) تكوين ٩: ٢٥ ـ ٢٦.

الخروج أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت ٤٣٠ سنة، وهي في الحقيقة ٢١٥ سنة وقد اعترف مفسرو العهد القديم بوقوع الخطأ في هذا الرقم، وعدد الرجال الذين بلغوا سن العشرين قبيل خروج موسى من مصر كما ورد في سفر العدد لا يمكن عقلاً أن يكون صحيحاً، فقد كان عدد بني إسرائيل عند دخولهم مصر سبعين، ومحال أن يصيروا في مدى قرنين آلاف كثيرة أو ملايين. وهكذا.

ـ ورد في أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع، وهاك نص العبارة: «مُفْتَقَدٌ إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع»[1]، وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه، فقد جاء به «النفس التي تخطىء هي تموت، الإبن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الإبن، بِرُّ البارِّ عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون»[2] وهذا تناقض واضح.

ـ تختلف الأحكام اختلافاً واضحاً وصريحاً من سفر إلى آخر، ويبدو ذلك بمقارنة الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد، بالإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال.

ـ في سفر أخبار الأيام الثاني وردت الفقرة التالية «. . . لأن الرب ذلَّل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل»[3]، ولفظ إسرائيل غلط يقيناً لأن آحاز كان ملكاً ليهوذا لا لإسرائيل، ومثل هذا الخطأ وقع في الإصحاح الأخير (الإصحاح ٣٦) من هذا السفر فقد ورد به نبوخذ نصر عزل يهوياكين ومَّلك بدله صدْقيًا أخاه[4]، والحقيقة أن صِدْقيًا كان عم يهوياكين لا أخاه، ولذلك صحح مترجمو العهد القديم هاتين الكلمتين لتتفق الفكرتان مع الحق والتاريخ.

ـ تنص الفقرات السابقة على أن نبوخذ نصر أسر يهوياكين إلى بابل،

(١) خروج ٣٤: ٢ وتثنية ٥: ٩ وعدد ١٤: ١٨.
(٢) حزقيال ١٨: ٢.
(٣) الإصحاح ا لثامن والعشرين الفقرة ١٩.
(٤) الفقرات ٩ ـ ١١.

ولكن الحقيقة التاريخية أنه قتله في أورشليم وأمر بان تلقى جثته خارج السور، ومَنَعَ دَفْنَها كما ذكر المؤلف اليهودي «يوسيفس»[1].

- وقع في الفقرة الثامنة والعشرين من الزبور الخامس بعد المائة في النسخة العبرانية العبارة التالية «لم يعصوا كلامه» وفي النسخة اليونانية جاءت هذه العبارة هكذا «وقد عصوا كلامه» وأحدهما خطأ يقيناً وقد اعترف بذلك مفسرو العهد القديم من الغربيين.

هذه نماذج قليلة مما في العهد القديم من خطأ واضطراب لم نقصد بها الحصر وإنما قصدنا مجرد التمثيل.

أهمية التوراة عند بني إسرائيل!!

يسمي اليهود أنفسهم شعب التوراة، ولهذا يقرر باحثوهم أن أي شخص يفشل في دراسته للتوراة أو في التدرُّب على آدابها، يجب أن يدفع عن هذا الفشل احتقاراً وازدراءً ينصبُّ عليه من كل بني إسرائيل، وعلى العكس من ذلك أولئك الذين برهنوا على مقدرتهم على استيعابها والانتفاع بآدابها ودراستها، فهؤلاء يُكافئون بشرف التقدير والاحترام من المجتمع الإسرائيلي كله، فإن الإحاطة بالتوراة هي الجوهرة التي لا تقدر بثمن، وهي ثروة بني إسرائيل، وإذا فُرض أن بني إسرائيل سلبت أموالهم وأمتعتهم وكلُّ مصادر ثرواتهم، وبقيت لهم التوراة فإنهم الرابحون، وإن الثراء الذي ذهب لا يقاس بشيء إن قيس بالتوراة ما بقيت لهم، وفي سبيل المحافظة على التوراة ورعايتها يَرْخُص كلُّ غالٍ ويهون كل صعب. وإله إسرائيل سيكون خير عون لشعبه ما حافظوا على كتابه المقدس: وكلُّ جُهد يُبذل من أجل التوراة ويكون نصيبه الفشل، فإن باذله لا بد أن يكون متأكداً من حسن الثواب من الله. ومع هذا فخدمة التوراة ينبغي ألا تقدَّم نظير جزاء، بل ينبغي أن تكون متعة في نفسها، وأن يُتْرَك الجزاء يجيء من نفسه من يهوه ومن شعب يهوه. ذلك هو إحساس اليهود تجاه التوراة وذلك

---

(١) انظر إظهار الحق للعلاّمة رحمة الله الهندي ص ١٢٧.

هو ما يدور بخلدهم عن كتابهم المقدس[1].

ويقتبس Arthur Hertzberg اقتباسات من الربانيين عن قيمة التوراة نورد هنا بعضها، لنُظهر إلى أي مدى كانت أهمية التوراة عند بني إسرائيل؛ يقول Arthur Hertzberg إن التوراة تضمن لدارسها والمحيط بها أسمى مكانة في المجتمع الإسرائيلي، فإن التوراة عند بني إسرائيل كانت وجوداً ثانياً، كانت دولة شامخة وروحانية رفيعة، تضاف أو تغني عن دولتهم الدنيوية فقد أصبحت التوراة خلال مدة النفي مركزاً التفَّ حوله بنو إسرائيل، وتبعوا إرشاداته في السرِّ والعلانية، وإن المثل الذي يقول «إسرائيل والتوراة شيء واحد» ليس مجرد مثل سائر، ولا يستطيع غير بني إسرائيل أن يدركوا كنهه، فمعنى التوراة في أهميته الوطنية لا يفهم لغير بني إسرائيل، ومحتويات التوراة ليست فقط ديناً أو عقيدة أو أخلاقاً أو تشريعاً أو علماً بل ليست كلُّ هذه مجتمعة، إنها شيء أكثر جداً من كل هذا عند بني إسرائيل، إنها حياتهم ودنياهم في الماضي والحاضر والمستقبل، والتوراة ـ في الفكر الإسرائيلي ـ الوسيلة والأداة التي خُلق بها العالم، فبها ولأجلها خَلَق الإله الدنيا، ولذلك فهي أقدم من هذا العالم، إنها أسمى فكرة، وإنها الروح الحية للدنيا كلها، وبدونها ليس للدنيا بقاء، ودراسة التوراة أهم عند بني إسرائيل من بناء معبد، والإلمام بها يضع صاحبه في مكانة أسمى من الكهنة ومن الملوك، ودارسها يضمن لنفسه النجاح، وبها يسمو الإنسان على كل البشر، ولو اشتغل بها وثَنِّي فإنه يصبح في مكانة أسمى من رجل الدين الذي يجهلها[2].

---

(١) Guignebert: The Jewish World in the Time of Jesus p. 78. 79.

(٢) Judaism pp.72. 73.

٢ ـ بروتوكولات حكماء صهيون

مقدمة:

لا يزال واضعو هذه البروتوكولات ووقتُ وضعها من الأسرار التي لم تُكْشَف حتى الآن بوجه الدقة، وتدل الظواهر على وجود علاقة زمنية بين هذه البروتوكولات وبين نهاية القرن التاسع عشر، وعلى وجود ارتباط بين هذه البروتوكولات وبين مؤتمر «بال» الذي عقد سنة ١٨٩٧[1].

ومرجع هذا الفهم أن هذه البروتوكولات عبارة عن مؤامرة شريرة بين البشرية، ويبدو أنها كانت رد فعل لما عاناه اليهود خلال القرن التاسع عشر من اضطهاد في أوربا، وما نزل بهم من جور وتعسف، فتدارسوا في هذا المؤتمر ـ ضمن ما تدارسوه ـ وسائل الانتقام من البشرية جميعاً التي اعتقَد اليهود أنها اشتركت كلها بطريق أو بآخر في إذلالهم والنيل منهم.

وبروتوكولات معناها محاضر جلسات، ويسميها بعض الباحثين «قرارات» وتلتقي التسميتان إذا لاحظنا نصوص البروتوكولات، وأنها عبارة عن تقرير وضعه بعض الباحثين، وأن هذا التقرير عرض على المؤتمر في «بال» بسويسرا، وأن المؤتمرين أقرُّوه، فالبروتوكولات تقرير بالنسبة لواضعيها،

---

(١) يرى بعض الباحثين أن هذه البروتوكولات كانت القرارات السرية لمؤتمر بال، أما القرارات العلنية فهي التي أعلنت عن ضرورية قيام دولة لليهود في فلسطين، وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في الفصل السابق.

ومحاضر بالنسبة لعرضها على المؤتمرين في جلساتهم، وقرارات بالنسبة لقبولها وتأييدها.

وكانت هذه البروتوكولات مودعة في مخابىء سرية، ولا يعرِف محتوياتِها إلا الخاصةُ من اليهود الذين يعملون على تنفيذ ما جاء بها بهدوء وحسب تخطيط منظم، ثم حدث اجتماع بين سيدة فرنسية مسيحية وبين زعيم صهيوني كبير، وتمَّ هذا الاجتماع في وكر الماسونية في باريس، ورأت هذه السيدة بطريق الصدفة بعض هذه القرارات، فذُعِرت من محتوياتها، واستطاعت أن تختلس منها بعضها وتخرج بها من هذا الوكر، وكان ذلك سنة ١٩٠١ ويبدو أن السيدة الفرنسية خافت أن تُتَّهَم بسرقة هذه الوثائق فعملت على أن تذاع هذه الوثائق من مكان قَصيّ هو روسيا القيصرية، وقد وصلت هذه الوثائق إلى رجل يهمه أمرها هو أليس نيقولا نيفتش كبير أعيان روسيا القيصرية، فسلمها إلى صديقه الأستاذ سرجي نيلوس الذي نشرها في العام التالي (أي سنة ١٩٠٢) باللغة الروسية، وعقب اكتشاف سرقة هذه الوثائق أعلن تيودور هرتزل الذي دعا إلى مؤتمر بال أنه قد سُرِقَ من «قدس الأقداس» بعض الوثائق السرية التي قصد إخفاؤها عن غير أصحابها. وأن ذيوعها قبل الأوان يعرِّض اليهود في العالم للخطر، فلما ظهرت هذه الوثائق مطبوعة عقب ذلك هبَّ اليهودُ في كل مكان يعلنون أنها مختَلقة عليهم وينكرون صلتهم بها، ولكن هذا الإنكار لم يكن ذا قيمة على الإطلاق لأن الأحداث العالمية التي وقعت آنذاك كانت مطابقة لما ورد في البروتوكولات، ومتمشية مع مصلحة اليهود، وكان واضحاً أن ذلك ليس مجرد مصادفة.

وننقل فيما يلي ما كتبه الأستاذ محمد خليفة التونسي في مقدمته لترجمة هذه البروتوكولات عن تطور طبع هذه الوثائق ونشرها[1]:

أعاد نيلوس نشر هذا الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥،

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٠ ـ ١١.

ونفدت هذه الطبعة بسرعة غريبة بوسائل خفية، وتبيَّن أن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها، ثم طبعت سنة ١٩١١ فنفدت على هذا النحو، ولما طبعت سنة ١٩١٧ صادرها الشيوعيون الذين كانوا يومئذ قد استطاعوا تدمير القيصرية وقبضوا على أزمة الحكم في روسيا، وكان معظمهم من اليهود الصرحاء أو المستورين أو من صنائعهم، ثم اختفت البروتوكولات من روسيا حتى الآن.

وكانت قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥ إلى المتحف البريطاني في لندن وختمت بخاتمِه، وسجل عليها تاريخ تسلمها (١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦) وبقيت مهمَلة حتى سنة ١٩١٧. وحينئذ وقعت هذه النسخة في يد الأستاذ فيكتور مارسدن مراسل جريدة المورننج بوست المدنية، فقرأ النسخة، وقدّر خطورتها ورأى نبوءة ناشرها بالانقلاب الروسي قبل وقوعه بإثني عشر عاماً، وكشف في المتحف على ترجمتها، ثم طبعها قبل أن يسافر إلى روسيا لموافاة جريدته بأخبار الانقلاب الشيوعي الذي تمّ حينذاك، وأعيد بعد ذلك طبعها عدة مرات كانت آخرها وخامستها سنة ١٩٢١ ومنها النسخة التي ترجمها الأستاذ خليفة للعربية[١]، كما نشرت كذلك بالفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من اللغات، وكانت تنفد نسخها في كل طبعة بطرق غريبة. وأحجمت دور النشر بعد ذلك عن إعادة طبعها بسبب نفوذ اليهود وسلطانهم على هذه الدور.

وبين يدي الآن نسخة من هذه البروتوكولات، وأريد أن أحللها[٢] هنا تحليلاً علمياً لا دعاية فيه ولا تعصب:

عدد البروتوكولات أربعة وعشرين، ولكنها غير دقيقة التأليف، وبها كثير من التكرار، وقد حاولتُ أن أقترح عنواناً محدداً لكل منها فلم يتيسر ذلك، إذ

---

(١) نشرت بالقاهرة مرتين (مكتبة الخانجي).

(٢) والكلام هنا للدكتور أحمد شلبي، حيث وقفنا على أهم المعلومات في هذا الفصل من كتابه اليهودية.

لم يخصص موضوع لكل منها، ولعل ذلك هو طبيعة النقاش في الجلسات الذي يستطرد أحياناً، حتى ليخيل لي أن الوثائق التي بين أيدينا خلاصة محاضر جلسات، وليست نص تقرير قدم لهذه الجلسات، ولا نص محاضر الجلسات، وربما كان ما استطاعت السيدة الفرنسية الفرار به جزءاً من هذه المحاضر، أو حتى جزءاً غير متسلسل منها. وهدف هذه البروتوكولات إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية، ومن أجل ذلك يمكن أن نقسم البروتوكولات قسمين كبيرين: يبحث القسم الأول في موقف اليهود من العالم قَبل تحقيق هدفهم، ويبحث القسم الثاني في موقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه، والبروتوكولات العشر الأولى تتبع القسم الأول تقريباً، أما باقي البروتوكولات فتتبع القسم الثاني، وسنذكر فيما يلي أهم الملامح لكلٍّ من هذين القسمين، ثم نورد نصوصاً من البروتوكولات:

قبل تكوين الحكومة اليهودية العالمية:

من أهم ما يعنى به اليهود قبل تكوين هذه الحكومة إعداد الشعب اليهودي للسلطان، وتثبيت الاعتقاد بأن اليهود هم شعب الله المختار، فالناس عند اليهود قسمان: يهود وجوييم أو أمميون[1] أي كفرة وثنيون، واليهود شعب الله المختار، وهم أبناء الله وأحباؤه لا يتقبل العبادة إلا منهم، ونفوسهم مخلوقة من نفس الله وعنصرهم من عنصره، فهم وحدهم أبناؤه الأطهار، وقد منحهم الله الصورة البشرية تكريماً لهم، أما الجوييم فخلقوا من طينة شيطانية، والهدف من خلقهم خدمة اليهود، ولم يمنحوا الصورة البشرية إلا بالتبعية لليهود ليسهل التعامل بين الطائفتين إكراماً لليهود، فاليهود أصلاء في الإنسانية، والجويين أتباع فيها، وعلى هذا فمن حق اليهود معاملة الأمميين بها، فلهم أن يسرقوهم ويغشوهم ويكذبوا عليهم ويخدعوهم ويغتصبوا أموالهم ويقتلوهم ويهتكوا أعراضهم. ويرتكبوا معهم كل الموبقات ما أمنوا استتار جرائمهم (وقد عبر

(١) يسميهم القرآن: أميين كما سيأتي.

القرآن الكريم عن ذلك بقوله على لسانهم «ليس علينا في الأميين سبيل»[1].

وبناء على هذه العقيدة يرى اليهود أن العالم لم يُخْلق إلا لهم، ومن حقهم وحدهم استعباده وتسخيره، وليس لغيرهم إلا السمع والطاعة والرضا والقناعة بما يجود به اليهود عليهم.

ويرى اليهود في هذه المرحلة ضرورة تمزيق الأوطان، والقضاء على القوميات والأديان، وإفساد نظم الحكم في كل الأقطار بإغراء الملوك وسائر الحكام باضطهاد الشعوب، وإغراء الشعوب بالتمرد على سلطة الحكام ونصوص القانون.

وترسم البروتوكولات لليهود أن يهتموا في هذه المرحلة بنشر المذاهب المختلفة، وأن يختلف اتجاههم في مكان عن اتجاههم في مكان آخر، وكذلك فيما يتعلق بالزمان، فهم يعملون على نشر الشيوعية أحياناً والرأسمالية أحياناً، ويلبسون مسوح الاشتراكيين في بعض الأحيان، ويوقِفون بذلك الكتل العالمية متصارعةً، وهم يقولون أحياناً بالحرية والمساواة فيثيرون المظلومين في وجه الظالمين، ولكنهم سرعان ما يحاربون الحرية والمساواة، ويعلنون أن الطاعة العمياء والتفاوت بين الناس هما أساس القيم البشرية، ويحاربون الحرية مؤكدين أنها تحوّل الغوغاء إلى حيوانات ضارية، وأن من الضروري أن تسحق هذه الكلمة ويزول مدلولها تماماً.

في هذه المرحلة ينشرون الإباحية والفوضوية، ويعملون على تقويض الأسر وصلات الود، ويدفعون الناس للشهوات والابتعاد عن كل القيم الإنسانية.

وترسم البروتوكولات لليهود أن يستعملوا ما في النفس الإنسانية من ضعف، فالمال والنَّهَم والنساء وسائل يمكن استعمالها مع الجوييم ليكونوا أداة

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧٥.

في يد اليهود ينفّذون بسببها ما يطلب منهم. كما توصي البروتوكولات أن يضع اليهود في المراكز الكبيرة شخصيات مرموقة لها أخطاء لا يعرفها إلا اليهود، وفي ظل الخوف من إشاعة هذه الأخطاء ينفّذ هؤلاء الأشخاص لليهود ما يشيرون به.

وتهتم البروتوكولات بأن يسيطر اليهود في هذه المرحلة على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام، حتى لا يتسرب للرأي العام العالمي إلا ما يريده اليهود.

ويستعمل اليهود المال وسيلة من أكبر وسائلهم، ليس للرشوة فحسب كما سبق القول، بل لإثارة الثورات الداخلية عن طريقه، فهم يغرون الحاكم بجمع الأموال لنفسه، والظهور بمظهر البذخ والأبهة التي تناسب جلال الملوك وأمجادهم، ثم يدفعون الفقير ليثور ضد الحاكم الذي استحوذ على ثروة البلاد وغلبته الأنانية القاسية.

ويدفع اليهود بالدول للاستعمار، ويجرُّ الاستعمار إلى التنافس بين هذه الدول، والتنافس وسيلة هامة من وسائل الحروب بين الدول المستعمِرة، فإذا شبت الحروب بين الدول المستعمرة قدَّم اليهود لهؤلاء ولأولئك القروض والسلاح بشروط سهلة حيناً ومعقدة حيناً، ورِبْحُ اليهود في هذه الصفقات مزدوج؛ فهم أولاً يستنزفون ثروات الدول ويجمعونها لأنفسهم، وهم ثانياً يسخرون بعض الجوييم لقتل البعض الآخر.

وفي المؤسسات والمصانع يعمل اليهود على إفسادها بإشاعة الخلل في إدارتها والتخريب في أجهزتها كلما أمكنهم ذلك.

ويتشتت اليهود في كل أقطار العالم خلال هذه المرحلة ليختفوا عن المسرح العالمي حتى لا يتتبع الناس نشاطهم الهدام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتصل اليهود بأقطار مختلفة ويعملون متعاونين بالمال والعلم والنساء ليصلوا إلى القصور، وليكون لهم في إدارة البلاد شأن ونفوذ، فاليهود في فرقتهم متحدون، وفي تشتتهم مجتمعون.

بعد تكوين الحكومة اليهودية العالمية:

إذا تحقق انتصار اليهود فإنهم يقيمون مملكة استبدادية تحكم العالم كله ويكون مقرها أورشليم، وحكمها للعالم يكون بطريق مباشر لو تم سقوط كل حكومات العالم، كما يكون بطريق غير مباشر أي من وراء الحكومات التي لم تسقط بعد، فإذا اكتمل النصر وسقطت كل الحكومات انتقلت العاصمة إلى روما حيث تستقر إلى الأبد ويتعاقب على العرش حكام من ذرية داود، «فالسياسة صناعة سرية سامية لا يحسنها إلا نخبة من اليهود دُرِّبوا عليها تدريباً تقليدياً؛ وكُشفت لهم أسرارها التي استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ وغيره خلال قرون طويلة، وهم يتناقلونها في الخفاء، وعليها يربُّون ملوكهم ومن يحيط بهم من المستشارين»[1].

ويسوس اليهود الناس بالرشوة حيناً وبالعنف والإرهاب حيناً، فمن خضع للمال والنساء والمناصب وأسلس القياد بذلك، قُدِّم له هذا الدواء أو الداء، ومن لم يخضع لذلك استُعمل معه العنف؛ فالجوييم كقطعان البهائم أو الوحوش يُخضعهم الإرهاب والإذلال فيصبحون كقطع الشطرنج تتصرف فيها أصابع اليهود حسبما تشاء هذه الأصابع.

وفيما يلي اقتباسات قصيرة من هذه البروتوكولات:

نماذج من البروتوكولات
[قبل قيام الحكومة اليهودية العالمية]

من البروتوكول الأول:

ـ يجب أن يُلاحَظ أن ذوي الطباع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوي

(١) انظر صبري أ: والمجد: نهاية إسرائيل ص ١٤.

الطباع النبيلة، وإذن فخير النتائج في حكم العالم ما يُنتَزَع بالحكم والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية.

ـ إن الحرية السياسية ليست حقيقة بل فكرة. ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخّر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية، فيتخذها طعماً لجذب العامة إلى صفِّه إذا كان قد قرَّر أن ينتزع سلطةَ منافسٍ له، وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءاً بالأفكار التي تسمىَ تحررية فيتخلى عن بعض سلطته بسهولة.

ـ إن الجمهور غرٌ غبيٌّ، ومن ارتفعوا من بينه ينغمسون في خلافات تعوق كل إمكان للالتقاء، وكل قرار للجمهور يصدر عن جهل بالأسرار السياسية ويقود للفوضى، وإذا نال الرعاع الحرية مسخوها فوضى واضطراباً.

ـ إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيَّد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو غير راسخ على عرشه.

ـ إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ـ ونحن نضع خططنا ـ ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقي وما هو خير، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد.

ـ عندما تضطرب قوى المجتمع ستكون قوتنا أشد من أية قوة أخرى، لأنها ستكون مستورة حتى اللحظة التي تبلغ فيها مبلغاً لا تستطيع معه أن تنسفها أية خطة ماكرة.

ـ إن مما يحقق السعادة أن تكون الحكومة في قبضة شخص واحد مسؤول، وبغير الاستبداد لا يمكن أن تكون حضارة.

ـ في السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأموال بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة، وإن دولتنا ـ في سبيل الفتوح السامية ـ لها الحق أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام، والإعدام ضرورة تولد الطاعة العمياء، فالعنف وحده هو العامل الرئيسي في قوة الدولة.

ـ كنا قديماً أول من صاح في الناس «الحرية ـ المساواة ـ الإخاء» وهي كلمات ما انفكت ترددها ببَّغاوات جاهلة، متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر، وقد حرّمت ـ بترديدها ـ العالم من نجاحه.

من البروتوكول الثاني:

ـ إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتَّبناه من قبل، وإن الأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحاً، ولكن ينبغي أن ندرس ونعي ما يلائم منها أخلاق الأمم وميولها.

ـ الصحافة هي القوة العظيمة التي نستطيع بها توجيه الناس؛ فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور، وتعلن شكاوى الشاكين، وتولد الضجيج بين الغوغاء، وقد سقطت الصحافة في أيدينا، ومن خلالها أحرزنا النفوذ وكدسنا الذهب دون أن نظهر للعيان.

من البروتوكول الثالث:

ـ إن موازين المجتمع وتقاليده القائمة ستنهار سريعاً، لأننا على الدوام نُفْقِدها توازنها، كي نبليها بسرعة ونمحق كفايتها.

ـ إن الناس مستعبَدون للفقر أكثر مما كانوا مستعبدين لقوانين رق الأرض، فمن الرق كانوا يستطيعون أن يحرروا أنفسهم بطريق أو بآخر، ولكن لا شيء يحررهم من طغيان الفقر الذي فرضناه عليهم.

ـ إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال، جئنا لنحررهم من هذا الظلم حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين الشيوعيين، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طبقاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية.

ـ إن فائدتنا نحن في ذبول الأمميين وضعفهم، وقوتنا تكمن في أن يبقى

العامل في فقر ومرض دائمين، لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا إذ لن يجد قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا.

ـ حينما نستحوذ على السلطة يجب أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية، باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسخ الشعب حيوانات متعطّشه للدماء.

من البروتوكول الخامس:

ـ كان الناس ينظرون إلى ملوكهم نظرهم إلى إرادة الآلهة، فكانوا يخضعون في هدوء لاستبداد ملوكهم، ثم أوحينا إلى العامة بحقوقهم الذاتية وببشرية الملوك، فانساق العامة خلفنا وسقطت المسحة المقدسة عن رؤوس الملوك، وانقلبت السلطة إلى رجل الشارع، فاختطفنا منه هذه السلطة دون أن يعي.

ـ لقد بذرنا الخلاف بين الأفراد كما بذرناه بين الأمم، ونشرنا التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً، فلم يعد من الممكن أن يلتقي الأفراد، ولا أن تلتقي الأمم.

ـ إن علم الاقتصاد السياسي الذي محّصه علماؤنا الفطاحل قد برهن على أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج، ويجب أن نحصل من التجار على أكبر ربح ليظلم التجار الجماهير ويثيروهم على الحكومات.

من البروتوكول السادس:

بعد القضاء على أرستقراطية الأمميين كقوة سياسية ينبغي أن نقضي على الأرستقراطيين من ملاّك الأرض، فهؤلاء خطر علينا لأن معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم، ومن وسائل القضاء عليهم فرض الأجور والضرائب حتى تنهار مواردهم فيبدءون في بيع أراضيهم لأنهم بما تعودوه من ترف لا يستطيعون القناعة بالقليل.

ـ كي نخرِّب صناعة الأمميين سنزيد أجور العمال، ولكنا في الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية فنسترد زيادة الأجور، ونعرض الصناعة للخراب، والعمال للفوضى.

من البروتوكول الثامن:

ـ ملء المناصب الكبيرة باليهود في هذه المرحلة غير مأمون، ولذلك توصي البروتوكولات بأن يُعْهَد بهذه المناصب الخطيرة إلى الناس الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم، كي تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم، كذلك يوضع في هذه المناصب الناس الذين إذا عصوا الأوامر توقعوا المحاكمة والسجن، والغرض من كل هذا أن هؤلاء سيدافعون بحماس عن المصالح اليهودية التي وضعتهم في هذه المناصب وعَرفت زلاتهم.

من البروتوكول التاسع(١):

ـ لقد أصبحنا المشرِّعين من خلف الستار، فنستطيع أن نقضي بإعدام من نشاء، كما نستطيع العفو عمن نشاء.

ـ نحن نسخِّر في خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب، من رجال يرغبون في إعادة إنشاء الملكيات، واشتراكيين، وشيوعيين، وحالمين بالمملكة الفاضلة، لقد وضعناهم جميعاً تحت السرج. وكل منهم بطريقته الخاصة يحارب القوانين القائمة، ويقوض النظم الحكومية ببلده، وسنرث في النهاية كل هذه الحكومات.

ـ لقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين، وجعلناه فاسداً متعفناً بما

---

(١) من تعليقات المترجم على هذا البروتوكول أن اليهود يدخلون في الأديان الأخرى في الظاهر، ويمضي جيلان وهم ينتقلون من مكان إلى مكان، ويظهر أحفادهم دون أن يعرف أحد صلتهم باليهودية، ويؤلفون الجمعيات أو ينضمون إليها، وفي ظروف كثيرة يخدمون اليهود دون أن يتهمهم أحد.

علّمناه من مبادىء ونظريات، معروف لدينا زيفها التام، وكانت الأديان من وسائلنا لتحقيق هذا الهدف.

البروتوكول العاشر:

ـ إذا أوحينا إلى عقل كل فرد أهميته الذاتية، فسوف ندمر الحياة الأسْرِيَّة بين الأمميين وأهميتها التربوية.

ـ إذا استطعنا أن نصل إلى إقامة عصر جمهوري فسيمكننا أن نضع بدل الملك المقدس ناطوراً في شخص رئيس لهذه الجمهورية، ونختاره من الدهماء من بين مخلوقاتنا وعبيدنا وأمثال هؤلاء يختارون ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو صفة أخرى مشيئة، وإن رئيساً من هذا النوع سيكون منفذاً لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذي يتملك دائماً الرجل الذي وصل إلى السلطة والذي يتلهف على أن تبقى امتيازاته وأمجاده المرتبطة بمركزه الرفيع.

[بعد قيام الحكومة اليهودية العالمية]

من البروتوكول الحادي عشر:

ـ من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت، هذا التشتت الذي يبدو ضعفاً فينا أمام العالم، قد ثبت أنه كل قوتنا التي وصلَتْ بنا إلى عتبة السلطة العالمية.

من البروتوكول الثاني عشر:

ـ كان دور الصحافة تهييج الغوغاء وإثارة المجادلات الحزبية التي كانت ضرورية لمقاصدنا، ولكن بعد انتصارنا يتغير كل شيء، فسنقود الصحف بلجم حازمة، ونسيطر على شركات النشر، ونصادر الصحف والكتب التي لا تتمشى مع أغراضنا، ونفرض على النشر ضرائب باهظة ونعطل الصحف التي تُكرر نقدها لنا. وسندسُّ بين النشرات الهجومية نشرات من عملنا نحن، ولكنها لن تهاجم إلا النقط التي نعتزم تغييرها في سياستنا، وسنسيطر على وكالات الأنباء

بحيث لا يصل للمجتمع خبر دون أن يمر على إدارتنا.

ـ سنلهي الجماهير بأنواع شتى من الملاهي والألعاب لملء الفراغ، وسندعو الناس للدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها.

ـ وحينما نُمَكِّن لأنفسنا ونكون سادة الأرض لن نسمح بقيام أي دين غير ديننا، وسنكون قد حطمنا كل عقائد الأديان الأخرى، وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الديانات الأممية.

من البروتوكول السابع عشر:

سنغير الجامعات ونعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة، وسيكون مديروها وأساتذتها قد أُعِدُّوا إعداداً خاصاً، وسيلتهُ برنامج سري متقن، سيهذَّبون ويشكَّلون بحسبه، ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب؛ وسيرشَّحون بعناية بالغة، وسيكونون معتمِدين كل الاعتماد على الحكومة، ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتياناً خضر الشباب ذوي أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة، أو ذوي اهتمام بالمسائل السياسية على الإطلاق، كما سنمحو كل أنواع التعليم الخاص.

من البروتوكول الثامن عشر:

ـ سنحدّ نطاق عمل مهنة المحاماة، وسنضع المحامين على قدم المساواة مع الموظفين المنفذين، والمحامون ـ كالقضاة ـ لن يكون لهم الحق في أن يقابلوا عملاءهم وستعيّنهم المحكمة، وسيكون أجرهم محدوداً سواء كان الدفاع ناجحاً أو غير ناجح.

ـ وسنحط من كرامة رجال الدين الأمميين لننجح في الإضرار برسالتهم، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تماماً، وستتبعها في الانهيار باقي الأديان، ويصير مَلِك إسرائيل (بَابَا) العالم.

من البروتوكول التاسع عشر:

ـ إن أية ثورة ضدنا ينبغي أن تصير كنباح كلب على فيل، فليس على الفيل إلا أن يقوم بمَثَل واحد متقن من التدمير حتى تكف الكلاب عن النباح، وتشرع في البصبصة بأذنابها عندما ترى الفيل، ولكي ننزع عن المجرم السياسي تاج شجاعته سنضعه في مراتب المجرمين الآخرين بحيث يستوي مع اللصوص والقتلة والأنواع الأخرى من الأشرار المنبوذين المكروهين.

مباحث البروتوكولات الباقية:

تهتم البروتوكولات الباقية بشرح البرنامج المالي للدولة اليهودية العالمية، ونظام الضرائب الذي ستتبعه، والعملة والقروض والبورصة والسندات، ومعالجة البطالة والأسلوب الذي يربى عليه الملوك من أحفاد داود ليبقى ملكهم ما بقي الزمن.

هذه صورة سريعة لهذه البروتوكولات، ومنها يبدو ما بها من خطر على الأفراد وعلى الشعوب والمدنيات.

والذي يقرأ هذه البروتوكولات بدقة يدرك أن كثيراً من الحكومات الديكتاتورية بالشرق تتبنى مبادئها، وتنفِّذ توجيهاتها.

٣ ـ التلمود

التلمود هو من الكتب المنزلة عند اليهود

التلمود عند اليهود أفضل من التوراة ـ عصمة الحاخامات عن الخطأ ـ كل ما قالوه يعتبر كأقوال إلهية ـ حمار الحاخامات

يعتبر اليهود التلمود من قديم الزمان كتاباً منزلاً مثل التوراة ما عدا بعض المعاندين، فإنه لا يعتقد ذلك بالطبع. ولكن إذا أمعن الإنسان نظره في اعتقاداتهم يتحقق أنهم يعتبرونه أعظم من التوراة! كيف لا وجاء في صحيفة من التلمود:

«إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ومن درس (المشنا) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها ومن درس (الغامارة) فعل أعظم فضيلة».

وجاء في كتاب (شاغيجا):

«من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى».

وقد جاءت أقوال الحاخامات وعلماء اليهود لهذا المبدأ فقال العالم

بشاي: ««لا يلزم أن تختلط بمن يدرس التوراة والمشنا دون الغامارة».

وجاء في التلمود أن أشعيا النبي هو الذي قسم أبوابه وفصوله (أشعيا ٦,٣٣) وأن الحديث مساوٍ لشريعة موسى.

وجاء أيضاً:

«إن التوراة أشبه بالماء، والمشنا أشبه بالنبيذ، والغامارة أشبه بالنبيذ العطري، والإنسان لا يستغني عن الثلاثة كتب المذكورة كما أنه لا يستغني عن الثلاثة أصناف السالف ذكرها. وبعبارة أخرى: شريعة موسى مثل الملح، والمشنا مثل الفلفل، والغامارة مثل البهار، فلا يمكن الإنسان أن يستغني عن واحد من هذه الأصناف».

وقال الحاخام (روسكي) المشهور: **«التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى».**

وجاء في أحد كتبهم المسمى (الهمار) وهو شرح على التوراة: **«إن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط والخبز هو التوراة بل يلزمه شيء آخر وهو أقوال الله كقواعد وحكايات التلمود».**

وذكر في كتاب أحد الحاخامات المؤلف سنة /١٥٠٠/ بعد المسيح: **«إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والغامارة فليس له إله».**

وجاء في التلمود ما معناه:

«قد أعطى الله الشريعة على طور سيناء، وهي التوراة، والمشنا، والغامارة، ولكنه أرسل على يد موسى الكليم التلمود شفاهياً، حتى إذا حصل فيما بعد تسلط أمة أخرى على اليهود يوجد فرق بينهم وبين باقي الوثنيين، وجاءت شريعة التلمود شفاهية لأنها لو كتبت لضاقت عنها الأرض».

ولكننا نستنتج مما جاء في التلمود وأقوال الحاخامات أنه ليس من الكتب المنزلة كما يعتبر اليهود ذلك، لجملة أسباب، منها:

أولاً: يثبت ذلك ما يحتويه من التعاليم. والحاخامات كلهم متساوون ولم يكونوا رسلاً مكلفين بتبليغ رسالة من قبل الله.

ثانياً: اليهود يعتقدون أن لكل الحاخامات سلطة إلهية، وكل ما قالوه يعتبر أنه صادر من الله.

يقول الرابي مناحم، كباقي الحاخامات:

«إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء»!!

وذكر في التلمود: «إن الحاخامات المتوفين مكلفون بتعليم المؤمنين في السماء».

وجاء في كتاب يهودي اسمه (كرافت) مطبوع في سنة ١٥٩٠:

«اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء» وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله فما بالك إذا قال لك إن اليمنى هي اليمنى واليسرى هي اليسرى».

وقال أحد علماء اليهود المسمى (ميمانود) المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر:

«مخافة الحاخامات هي مخافة الله».

وقد جاءت العبارات الآتية في التلمود، وهي:

«ومن يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ، وكأنه جادل العزة الإلهية»!!

وقال الحاخامات مناخم في أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها:

«إنها كلام الله مهما وجد فيها من التناقض! فمن لم يعتبرها، أو قال إنها ليست أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى».

وذكر في كثير من كتب اليهود **«إن أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها منزلة من السماء، ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير»**.

والحاخامات الذين ألفوا التلمود يأمرون بالطاعة العمياء لهم، ويدعون أن ما جاء في التلمود من التناقض بين أقوال الحاخام (هلال) والحاخام (شماي) صادر كله من الله ولو أن هذين الحاخامين لم يتفقا على لفظة مهمة أو غير مهمة.

وقد حصلت مشاحنة يوماً ما بين حاخامين أحدهما يدعى الرابي (شايا) والثاني (باركبارة)، وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قال كيت وكيت مما ادعوه، ولم يفصل في الخلاف الواقع بينهما. فجاء الحاخام (روسكي) وقال: «إن الحاخامين المذكورين قالا الحق لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ»!!

وجاء في التلمود (صفحة/ ٧٤):

«إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله!! وقد وقع يوماً الاختلاف بين الباري تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور»[1].

وهذه العصمة لا تختص فقط بالحاخامات بل بكل ما يتعلق بهم أيضاً فقيل: **«إن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئاً محرماً»!!**

وجاء في أحد كتبهم، حلاً لمسألة مهمة، وهي حيث أنه يوجد في الكتب أقوال مناقضة لبعضها فكيف يعرف الإنسان الحقيقة؟ فأجيب عن ذلك بما يأتي:

«كل هذه الأقوال هي كلام الله فافتح أذنيك مثل القمع واسمع. وليكن عندك قلب يفرق بين ما هو مباح لك وما هو محظور عليك تلك أقوال معناها

---

(١) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً (م).

العربي: إفعل ما شئت إذا تمكنت من ذلك. فإذا أراد أحد الربيين مثلاً أن يتمسك بالحقيقة والعدالة فلك أن تخالفه في قوله وتتبع قولاً آخر مناقضاً له، لأن الأقوال المناقضة لأقواله هي من كلام الله أيضاً. ولذلك ذكر في التلمود بأفصح عبارة: إن الإنسان مهما كان شريراً في الباطن وأصلح ظواهره يخلص»!!

لنبحث الآن في أقوال الحاخامات الذين يعتبرون أنفسهم معصومين من كل خطأ وأن أقوالهم هي أقوال الله[1].

أولاً: العزة الآلهة على حسب التلمود

ماذا يصنع الله في السماء ـ الحوت وزوجته ـ خطيئة الله وندمه وسبع الآي ـ سبب الزلازل على الأرض ـ تخطئة القمر لله ـ نقائص أخرى لله.

قال التلمود:

«إن النهار اثنتا عشرة ساعة: في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة. وفي الثلاث الثانية يحكم. وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم. وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك.

وقال مناحم:

إنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع (اسموديه) ملك الشياطين في مدرسة في السماء ثم ينصرف (اسموديه) منها بعد صعوده إليها كل يوم.

والحوت كبير جداً يمكن أن يدخل في حلقه سمكة طولها /٣٠٠/ فرسخ بدون أن تضايقه. وبالنسبة لحجمه الكبير رأى الله أن يحرمه من زوجته، لأنه إن

---

(١) لعنة الله تعالى الأبدية على الكاذبين. وصدق الله تعالى إذ يقول في قرآنه العظيم: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون﴾** (م).

لم يفعل ذلك لامتلأت الدنيا وحوشاً أهلكت من فيها. ولذلك حبس الله الذكر بقوته الإلهية. وقتل الأنثى، وملحها وأعدها لطعام المؤمنين في الفردوس.

ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعدما زينها بملابسها، وعقص لها شعرها. وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً:

تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي. وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كان ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان!

ولما يسمع الباري تعالى تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول:

ما أسعد الملك الذي يُمدحُ ويبجل مع استحقاقه لذلك. ولكن لا يستحق شيئاً من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء.

أما سبع (الآي) الذي يشبهون زئير الله بزئيره فهو سبع غابة (الآي) الذي أراد أن ينظره أمبراطور رومية، ولما أحضر إليه، ووصل على بعد أربعمائة فرسخ زأر مرة زئيراً حصل منه ضجة سقطت منها النساء الحبالى، وهدمت منها أسوار رومية، ولما وصل على بعد ثلاثمائة فرسخ زأر مرة أخرى فوقعت أضراس أهل رومية، ووقع الأمبراطور على الأرض من فوق عرشه مغشياً عليه، وطلب بعد إفاقته أن يرد حالاً ذلك السبع إلى محله!!

يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل!!

وأما تخطئة القمر لله فإنه قال له: أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس. فأذعن الله لذلك واعترف بخطئه، وقال: **اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأني خلقت القمر أصغر من الشمس.**

وليس الله على حسب ما جاء في التلمود معصوماً من الطيش، لأنه حالما يغضب يستولي عليه الطيش، كما حصل ذلك منه يوم غضب على بني إسرائيل وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية. ولكنه ندم على ذلك بعد ذهاب الطيش منه، ولم ينفذ ذلك اليمين، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة!!

وجاء في التلمود:

«إن الله إذا حلف يميناً غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه وقد سمع أحد العقلاء من الإسرائيليين الله تعالى يقول: من يحللني من اليمين التي أقسمت بها؟ ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها اعتبروه حماراً، لأنه لم يحلل الله من يمينه. ولذلك نصبوا ملكاً بين السماء والأرض اسمه (مي) لتحليل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم»!!

وكما حصل لله أن يحنث في يمينه فقد كذب أيضاً بقصد الإصلاح بين إبراهيم وامرأته سارة. وبناء عليه فيكون الكذب حسناً سائغاً لأجل الإصلاح.

وإن الله هو مصدر الشر كما إنه مصدر الخير، وإنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسنّ له شريعة لولاها لما كان يخطىء، وقد جبر اليهود على قبولها فينتج من ذلك أن داود الملك لم يرتكب بقتله لـ(أوريا)، وبزناه بامرأته خطيئة يستحق العقاب عليها منه تعالى، لأن الله هو السبب في كل ذلك.

ثانياً: الملائكة

أصل الملائكة ـ وظائفهم المختلفة ـ حسدهم لليهود

الملائكة قسمان: من لا يطرأ عليه الموت، وهو الذي خلق في اليوم الثاني. ومن يطرأ عليه الموت، وهو قسمان أيضاً:

ـ من يموت بعد مكثه زمناً طويلاً قدر له فيه الحياة بأجله وهو الذي خلق في اليوم الخامس.

ـ ومن يموت في يوم خلقه بعد أن يرتل لله، ويقرأ التلمود، ويسبح التسابيح، وهو الذي خلق من النار. وقد أهلك الله منهم جيشاً جراراً بواسطة إحراقه بطرف إصبعه الخنصر.

ويخلق الله كل يوم ملكاً جديداً عند كل كلمة يقولها. فهؤلاء الملائكة يأتون إلى عالم الوجود بسرعة كما يخرجون منه.

أما وظائفهم فمنهم من وظيفتهم حفظ الأعشاب التي تنبت في الأرض، وهم واحد وعشرون ألفاً بعدد أنواع الأعشاب كل واحد يحفظ النوع الذي نيط به.

ومنهم الملك (جركيمو) للبرد. وميخائيل للنار وإنضاج الأثمار.

ويوجد جملة ملائكة أخرى معروفة أسماؤهم لدى الحاخامات، بعضهم مخصص بالخير، وبعضهم بالشر وبعضهم لبث المحبة والصلح، وبعضهم لحفظ الطيور والأسماك والحيوانات المتوحشة، وبعضهم مختص بصناعة الطب، وبعضهم لمراقبة حركة الشمس والقمر والكواكب.

وقال الحاخام ميمانود: «**الأجرام السماوية هي صالحو الملائكة ولذلك تراهم يعقلون ويفهمون**»!!

وتشتغل الملائكة ليلاً ببث النوم في الإنسان. وتصلي لأجله نهاراً، ولذلك يلزمنا أن نطلب منها ما نريد.

غير أن الملائكة لا تفهم اللغة السريانية ولا الكلدانية. فعلى من يطلب منها شيئاً أن لا يوجه إليها الخطاب بإحدى هاتين اللغتين.

وتجهل الملائكة هاتين اللغتين لسبب مهم وهو أنه يوجد لدى اليهود صلاة عديمة المثال يصلونها باللغة الكلدانية. وجاء في التلمود أن الملائكة يجهلون هذه اللغة حتى لا يحسدوا اليهود على صلاتهم.

وعلى حسب رواية أخرى تفهم الملائكة جميع اللغات غير أنها تكره

هاتين اللغتين كراهية كلية، ولا تسمع من يطلب منها شيئاً بهما.

ثالثاً: تاريخ الشياطين

أصل الشياطين - علاقات آدم مع نساء الشياطين وعلاقات حواء مع الشياطين الذكور - رؤساء الشياطين - وظائفهم وسكنهم على الأرض - شجر البندق وقرون الثور والجنازات الخ - التلمود والسحر

خلق الله الشياطين يوم الجمعة عندما خيم الغسق ولم يخلق لهم أجساداً ولا ملابس، لأن يوم السبت كان قريباً وما كان لديه الوقت الكافي ليعمل كل ذلك!!

وعلى حسب رواية أخرى لم يخلق لهم أجساداً عقاباً لهم، لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الإنسان بدون جسد.

والشياطين على جملة أنواع: فبعضهم مخلوق من مركب مائي وناري، وبعضهم مخلوق من الهواء، وبعضهم من الطين. أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لا تصلح إلا لصنعها.

وبعض الشياطين من نسل آدم لأنهُ بعدما لعنهُ الله أبى أن يجامع زوجتهُ حواء حتى لا تلد لهُ نسلاً تعيساً، فحضر لهُ اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين.

وجاء في التلمود: أن آدم كان يأتي شيطانة مهمة اسمها (ليليت) مدة ١٣٠ سنة فولد منها شياطين.

وكانت حوّاء أيضاً لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين.

والشياطين على حسب التلمود يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون مثله.

وأمهات الشياطين المشهورات أربع استخدمهنَّ سليمان الحكيم بما كان لهُ عليهنَّ من السلطة، وكان يجامعهنَّ.

قال التلمود: إن إحدى هؤلاء النسوة امرأة الشيطان المسمى (شماعيل) تذهب مع بناتها في مقدمة مائة وثمانين ألف شيطان بصفة رئيسة عليهم ليضروا الناس في ليلتي الخميس والسبت. (وليليت) السابق ذكرها عصت آدم زوجها فعاقبها الله بموت أولادها، فهي تنظر كل يوم مائة من أولادها يموتون أمامها. ومن ذلك الحين تعهدت أن لا تقتل أحداً من الأطفال التي يموتون أمامها. ومن ذلك الحين تعهدت أن لا تقتل أحداً من الأطفال التي لها عليهم السلطة إذا تليت عليهم ثلاثة أسماء من أسماء الملائكة. هذا وهي دائماً تعوي كالكلاب ويصحبها مائة وثمانون ملكاً من الأشرار ويوجد شيطانة أخرى من الأربع المذكورات دأبها الرقص بدون أن تستريح وهي تصحب معها مائة وتسعاً وسبعين روحاً شريرة.

وبحسب التلمود، يولد الآن من بني آدم كل يوم جملة من الشياطين ولكن لا نقص عليك تفصيل ذلك محافظة على الآداب.

ويقدر الإنسان في بعض الأحوال أن يقتل الشياطين إذا أجاد في صناعة فطير الفصح. وقد تسبب نوح في حياة بعضهم لأنه أخذهم معه في السفينة.

أما محل سكن الشياطين فقال الحاخامات: إن بعضهم يسكن في الهواء، وهم الذين يسببون الأحلام للإنسان. وبعضهم يسكن في قاع البحر، وهم الذين يتسببون في خراب الأرض إذا تركوا وشأنهم. وبعضهم يسكن في أجسام اليهود المتعودين على ارتكاب الخطايا.

وعلى حسب التلمود يحب الشيطان الرقص بين قرون ثور خارج من المياه. وهو مغرم أيضاً بالرقص بين النسوة اللاتي يرجعنَ من دفن ميت.

ويحب أن يوجد بجانب الحاخامات، لأن الأرض الجافة تحتاج إلى المطر ويحب شجر البندق، والنوم تحت هذهِ الأشجار خطر لوجود شيطان على كل ورقة من أوراقها.

يسكن جبال الشرق المظلمة ثنتان من الشيطانات المشهورات اسمهما

(آذا، وآذائيل) وهما اللتان علمتا السحر (لبلعام، وأيوب، ويوترو) وكان يحكم الملك سليمان على الطيور والشياطين بواسطتهما وكانتا السبب في حضور بلقيس إليه.

وبسبب كثرة الشياطين لا ينبغي للإنسان أن ينفرد في المحلات البعيدة، بل يلزمهُ أن يجتنب الخروج مدة تزايد الهلال أو نقصانه. وعليه أن لا يحيي أحداً بتحية ليلاً، لأنهُ من المحتمل أن يكون قد وجهَ السلام لشيطان. وعلى كل شخص أن يغسل يديه في الفجر لأن الروح النجسة تستريح على الأيادي النجسة.

وساوس علماء التلمود التي من قبيل ما ذكرناه كثيرة فلا ننتهي منها إذا ذكرناها كلها. ويوجد عندهم كتب مخصوصة بهذه الوساوس. ويعتقدون أن التلمود من كتب السحر، وقال معلم السحر (اليفاس ليفي) اليهودي: «**إن التلمود أول كتاب سحري**» والآن فلنكتفِ بذكر بعض عبارات جاءت في التلمود تثبت ما قدمناه:

جاء في التلمود (سنهدرين ص/ ٢ ما): إن أحد مؤسسي ديانة التلمود كان في إمكانهِ أن يخلق رجلاً بعد أن يقتل آخر. **وكان يخلق كل ليلة عجلاً عمرهُ ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر وكانا يأكلانْ منهُ معاً** وكان أحد الحاخامات أيضاً يحيل الفرع والشمام إلى غزلان ومعيز (سنهدرين ص/ ٧٠).

وكان الرابي (نياي) يحوّل الماء إلى عقارب وقد سحر يوماً ما امرأة وجعلها حمارة، وركبها ووصل عليها إلى السوق (سنهدرين ٢ ,٦٧).

وكان إبراهيم الخليل يتعاطى السحر ويعلمهُ. وكان يعلق في عنقه حجراً ثميناً يشفي بواسطته جميع الأمراض، فوصل هذا الحجر لبعض الحاخامات التلموديين، وكان بقوته هو وباقي رفقائه يقيمون الموتى!! وحصل أن أحد الحاخامات قطع مرة رأس حية ثم لمسها بالحجر المذكور فإذا هي حية تسعى. وقد لمس أيضاً بهِ جملة أسماك مملحة فدبت فيها الروح بقوة السحر!!

رابعاً: «الأسرار»

خلق آدم وحوّاء ـ الملك عوج ـ طوله وحادثته مع النمل ـ كيف مات وما صنع إبراهيم بعظامه

قال الحاخام (فابيوس) المولود في مدينة ليون ضمن خطبة الشعب يوم عيد رأس السنة اليهودية سنة ١٨٤٢: إن الدين اليهودي هو جميع الأديان لأنهُ لا يحتوي على أسرار وكل تعاليمهِ معقولة، بعكس المسيحي فإن قواعدهُ مبنية على الجنون».

وها قد طالعتَ أيها القارىء كثيراً من القواعد التلمودية كما يدعي (فابيوس)!! ولكني سأزيدك من ذلك وأفي لك الكيل لك كيفية خلق آدم وحوّاء كما صورها التلمود، فأقول:

أخذ الله تراباً من جميع بقاع الأرض وكوّنه كتلة، وخلقها ذا وجهين، ثم شطرهُ نصفين فصار أحدهما آدم والثاني حوَّاء. طويلاً جدًّا فكانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، وإذا نام كان المشرق ورجلاه في المغرب (سنهدرين ص ٢,٣٨).

وصنع الله لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أوَّلها لآخرها. ولما عصا نقص طوله حتى صار كباقي الناس.

أما الملك عَوْج الذي ذكر اسمهُ في التوراة فسبب تسميته بها مقابلته مع إبراهيم الخليل حالما كان يخبز فطير الفصح المسمى باللغة (العجة). وتخلص هذا الملك من الغرق في زمن الطوفان لأنه مشى بجانب سفينة نوح حيث كان الماء بارداً. وأما في الجهات الأخرى فكان وصل إلى درجة الغليان.

وكان الملك عوج يتغذى كل يوم بألفي ثور، ومثلها من الطيور، ويشرب ألف صاع تقريباً من الماء!!

ومن أخباره أنه لما اقترب من عاصمة جيش وعلم أنه جيش بني إسرائيل

الجرار الذي يشغل مسافة ثلاثة فراسخ من الأرض اقتلع جبلاً مساحته ثلاثة فراسخ، وحمله على رأسه، وذهب لمقابلته! فسلط الله على الجبل نملاً كانت تقرضه بأسنانها حتى حفره حفراً موصلاً لرأس الملك، فسقط الجبل حول عنقه على هيئة طوق. فانتهز موسى الفرصة وأحضر معه بلطة طولها عشرة أذرع، وقفز في الهواء بعلوّ عشرة أذرع، وضرب الملك عوج على عرقوبه فقضى عليه!!

وجاء مع ذلك في محل آخر من التلمود: إن الملك عوج صعد إلى السماء حيّاً.

وذكر في صحيفة أخرى أن الرابي (يوحانان) وجد مرة عظمة ساق ميت، فمشى بجوارها ثلاث ساعات ولم ينتهِ لآخرها، وكانت هذهِ عظمة ساق الملك عوج!

وجاء في التلمود أيضاً أن إبراهيم الخليل كان غذاؤهُ مقدار غذاء ٧٤ شخصاً، وشربه بقدر شربهم، ولذلك كانت قوّته قوَّة ٧٤ شخصاً. وكان قصيراً بالنسبة إلى الملك عوج.

ومما يحكى عن الملك عوج أنه خلع له ضرس، فأخذهُ إبراهيم واستعمله سريراً لينام عليه.

خامساً: «أرواح اليهود والنصارى»

أصل الأرواح ـ الفرق بين روح اليهودي وروح شخص آخر ـ تناسخ الأرواح والسبب الذي لأجله وجد

خلقت كل الأرواح في الستة أيام الأولى للخليقة، ووضعها الله في المخزن العمومي في السماء، ويُخرج منها عند اللزوم، أي كلما حملت امرأة ولداً.

وخلق الله ستمائة ألف روح يهودية، كما جاء في التلمود، لأن كل فقرة من التوراة لها ستمائة ألف تأويل، وكل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح!

وفي كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة على روحه الأصلية، وهي التي تعطيهِ الشهية للأكل والشرب.

وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الإبن جزء من والده.

ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح الغير يهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات.

وذكر في التلمود: إن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات. وبعد موت اليهودي تخرج روحه وتشغل جسماً آخر. فإذا مات أحد الجدود مثلاً تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثي الولادة. وكان لقايين ثلاث أرواح الأولى دخلت في جسد (قورش)، والثانية في جسد (جترو)، والثالثة في المصري الذي قتله موسى.

ودخلت روح (يافث) في جسد شمسون، وروح (ثار) في أيوب، وروح حواء في إسحاق، وروح رحاب القهرمانة في (هيبر)، وروح (صبائيل) في (هبلي)، وروح أشعيا في يسوع، كما قال الحاخام باشي (أباربانيل)، وذكر في التلمود: **إن شعيا كان قاتلاً وزانياً**.

أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات، ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذاباً أليماً مدة إثني عشر شهراً، ثم تعود ثانياً وتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين، ثم ترجع إلى جسد اليهود بعد تطهيرها.

أما هذا التناسخ فقد فعله الله رحمة باليهود، لأنه سبحانه وتعالى أراد أن يكون لكل يهودي نصيب في الحياة الأبدية.

سادساً: «الجحيم والنعيم»

النعيم لليهود ـ ماذا يأكلون ويشربون هناك ـ الجحيم لباقي الأمم

قال التلمود: النعيم مأوى الأرواح الزكية. وقد وضع إلياس يوماً ما جبَّة أحد الحاخامات هناك فتعطرت من أوراق الأشجار، وبقيت فيها تلك الرائحة العطرية، وبسببها كانت تساوي ٣٠٠ فرنك!!

ومأكل المؤمنين في النعيم هو لحم زوجة الحوت المملحة كما علمت[١]. ويقدم لها أيضاً على المائدة لحم ثور برّي كبير جدّاً كان يتغذى بالعشب الذي ينبت في مائة جبل.

ويأكلون أيضاً لحم طير كبير لذيذ الطعم جدّاً، ولحم أوزّ سمين للغاية. أما الشراب فهو من النبيذ اللذيذ القديم المعصور ثاني يوم خليقة العالم!! (سنهدرين ص ٨).

ولا يدخل الجنة إلا اليهود. أما الجحيم فهو مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين.

ويوجد في كل محل منه زيادةً على ذلك: ستة آلاف صندوق، في كل صندوق منها ستة آلاف برميل ملأى من الصبر.

والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين[٢]، والذين لا يختنون كالمسيحيين الذين يحركون أصابعهم (يفعلون إشارة الصليب) يبقون هناك خالدين.

---

(١) انظر ما تقدم في الفصل الأول.

(٢) يظهر أن الحاخام الذي أدخل هذه القرية في جملة خرافات التلمود لم يكن يعلم أن المسلمين يوجب عليهم دينهم أن يغتسلوا من الجنابة غسلاً عاماً لجميع البدن (م).

سابعاً: «المسيح وسلطان اليهود»

ماذا يعنون بهذه الكلمات ـ ماذا يعطي المسيح لليهود وماذا تصير باقي الأمم ـ أوصاف المسيح الحقيقي

ينتظر اليهود بفروغ الصبر الزمن الذي سيظهر فيه المسيح. ولكن من هو هذا المسيح المنتظر؟

قال التلمود: «لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً حبه بقدر كلاوي[1] الثيران الكبيرة. وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود. وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له. وفي ذاك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه، وثلثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته!!

ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار (الخارجين عن دين بني إسرائيل).

يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض حتى تبقى السلطة لليهود وحدهم، لأنه يلزم أن يكون لهم السلطة أينما حلوا، فإن لم يتيسر ذلك لهم يعتبروا بصفة منفيين وأسارى.

وإذا تسلط غير اليهود على أوطان اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا عليها ويقولوا يا للعار ويا للخراب.

ويستمر ضرب الذل والمسكنة على بني إسرائيل حتى ينتهي حكم الأجانب. وقبل أن تحكم اليهود نهائياً على باقي الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم، ويبقى اليهود مدة سبع سنوات متوالية يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر.

---

(١) يقصد المترجم بالكلاوي جمع (كلية) العضو المعروف جرياً منه على الخطأ العامي لأن العوام يقولون في المفرد (كلوة) ويجمعونها (كلاوي) والصواب (كلية وكلى) مثل (دمية ودمى).

وحينئذٍ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارجاً عن أفواههم!!

وتعيش اليهود في حرب عوان مع باقي الشعوب منتظرين ذلك اليوم.

وسيأتي المسيح الحقيقي ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين.

وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد تحصلت على جميع أموال العالم.

وذكر في التلمود أ ن هذه الكنوزِ ستملأ (سرايات) واسعة لا يمكن حمل مفاتيحهاوأقفالها على أقل من ثلثمائة حمار.

وترى الناس كلهم حينئذٍ يدخلون في دين اليهود أفواجاً ويقبلون كلهم ما عدا المسيحيين، فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان.

ويتحقق منتظر الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون تلك الأمة هي المتسلطة على باقي الأمم عند مجيئهِ».

هذا ما ينطق به التلمود.

ولكن هذه الأوهام قلب لحقائق الأمور نشأ من تخيلاتهم الكاذبة، كما قلبوا الحقيقة في المسيح حال حياتهِ، وآذوه بسبب تحمله. ومن سبهم فيهِ أنهم جعلوه صنماً، وتفوهوا بذلك علناً في البلاد المسيحية.

وإنهُ لمن الأمور المستغربة أن يباح لليهود في البلاد المسيحية وصفهم للمسيح علناً بأنه صنم ولد من الزنا!!

الكتاب الثالث
فساد الآداب

أولاً: «القريب»

قريب اليهودي هو اليهودي فقط ـ باقي الناس حيوانات في صور هم حمير وكلاب وخنازير ـ يلزم بغضهم سرًّا ـ قاعدة النفايات

جاء في التلمود: إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة ضرب أمي[1] إسرائيلياً فأكنهُ ضرب العزة الإلهية.

ويعتقد اليهود في سفره أنهم لحاخاماتهم من أن اليهودي جزء من الله إذ أن الإبن جزء من أبيه. ولذلك ذكر في التلمود أنه: إذا ضرب أميٌّ أمه فالأمي يستحق الموت (ستهدرين ص ٢ و ٥٨)، وأنه لو لم يخلق اليهود لانتهت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش.

والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب!

وجاء في تلمود أورشليم (ص ٩٤) أن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب

---

(١) يريدون بالأمي كل من ليس يهودياً. فالأمي والأممي والكافر والأجنبي والوثني في أصطلاحهم سواء وهم حيوانات في صورة بشر!! (م).

الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان!

وقال الرابي (كرونير): «لا فرق بين الأجنبي والخارج عن دين اليهود. على حسب التلمود. والغريب هو الذي لا يختتن ولا فرق بينهُ وبين الوثني».

وجاء في التلمود أن اليهودي يتنجس إذا لمس القبور[1] وفاقاً للتوراة ما خلا قبور من عداهم من الأمم، إذ كانوا يعدونهم بهائم لا أبناء آدم (بياموت البند ٦).

ويعتبر التلمود أيضاً الأجانب بصفة كلاب لأنهُ مذكور في سفر الخروج (١٢, ١٦) أن الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب.

وقد نقل الرابي موسى بن نعمان هذه العبارة في كتابهِ فقال ترتبت الأعياد لكم، وليست للأجانب ولا للكلاب (صحيفة ٤, ٥٠).

وذكر مثل هذه العبارة أيضاً في كتاب الحاخام (رشي) بخصوص عبارة سفر الخروج (١٢) التي ذكرت في نسخة طبعت في مدينة البندقية. وأما النسخ المطبوعة في مدينة (أمستردام) فلم يذكر فيها عبارة «وليست للكلاب».

وذكر في كتب أخرى: **إن الكلب أفضل من الأجانب، لأنهُ مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس لهُ أن يطعم الأجانب، وغير مصرح لهُ أيضاً أن يعطيهم لحماً، بل يعطيه للكلب لأنهُ أفضل منهم**[2]!!

والأمم الخارجة عن دين اليهود ليست فقط كلاباً بل حميراً أيضاً. وقال الحاخام (أباربانيل): «الشعب المختار (أي اليهود) فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير.

---

(١) لعل المراد (إذا امتهنها أو أزالها) كما يدل عليه باقي العبارة (م).

(٢) قارن هذا اللؤم والحقد على سائر البشر بقول رسول الإسلام محمد عليه السلام: «في كل كبد رطبة أجر»، أي في كل ما تطعمه جائعاً ذا كبد رطبة ثواب لك، الله تعالى دون تمييز بين مسلم وغير مسلم، لأنه عمل إنساني. (م).

ولا قرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود، لأنهم أشبه بالحمير، ويعتبر اليهود بيوت باقي الأمم نظير زرائب للحيوانات.

ولما قدم بختنصر ابنتهُ إلى ابن (سيرا) ليتزوجها قال لهُ هذا الأخير: إني من بني آدم ولست من الحيوانات.

وقال الرابي مناحم: «أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله. وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة».

وكان هذا رأي الحاخام (أريل)، لأنهُ كان يعتبر الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة تسكن الغابات. ويلزم المرأة أن تعيد غسلها إذا رأت عند خروجها من الحمام شيئاً نجساً، ككلب، أو حمار، أو مجنون، أو أميٍّ، أو جمل، أو خنزير، أو حصان، أو مجزم[1]. والخارج عن دين اليهود حيوان على العموم، فسمّهِ كلباً أو حماراً أو خنزيراً. والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان.

وقال الحاخام (أباربانيل) المرأة الغير يهودية هي من الحيوانات. وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمهُ ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورتهِ الحيوانية. كلا ثم كلا فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة. فإذا مات خادم ليهودي أو خادمة، وكانا من المسيحيين، فلا يلزمك أن تقدم لهُ التعازي بصفة كونهِ فقد إنساناً، ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة لهُ!!

وعلى اليهودي أن لا يبالغ في مدح المسيحيين، ولا يصفهم بالحسن والجمال، إذا قصد أن يمدحهم كما يمدح الإنسان حيواناً، لأن الخارج عن دين اليهود يشابه الحيوان!!

---

(١) هكذا الأمل، ولعلها (مجذوم) (م).

وكان الحاخام (ناتاتسون) المتوفي في مدينة (لمبرج) من مدة ثلاث سنوات ينصح اليهود بالكيفية الآتية:

«أنصحكم أن لا تتوجهوا إلى محلات التشخيص (التياترات) خصوصاً عندما يوجد فيها رقص، لأن ملابس الراقصات تستميلكم إلى الزنا، وجمالهنَّ يستميلكم إلى الإطناب في مدحهنَّ، مع أن ذلك ممنوع ومحرَّم».

فبناء على هذه القواعد لا يعتبر اليهود باقي الأمم كأقارب لهم، لأنهُ لا يمكن اعتبار الحيوان بصفة قريب للإنسان ويعتبر التلمود أن يسوع المسيح ارتد عن الدين اليهودي وعَبَدَ الأوثان!

ويعتبر اليهود الوثني الذي لا يتهود، والمسيحي الذي يبقى على دين المسيح، عدوّ الله وعدوّهم.

يعتبر اليهود كل خارج عن مذهبهم غير إنسان، ولا يصح أن تستعمل معهُ الرأفة. ويعتقدون أن غضب الله موجه إليهِ، وأنهُ لا يلزم أن تأخذ اليهود شفقة عليه.

وذكر في كتاب التلمود (سنهدرين ١,٩٢) «غير جائز أن تشفقوا ذي جنة»!!

وقال الرابي (جرسون) ليس من الموافق أن الرجل الصالح تأخذه الشفقة على الشرير.

وقال الحاخام (أباربانيل): «ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم.

وجائز لبني إسرائيل على حسب التلمود أن يغشّوا الكفار، لأنهُ مكتوب: «يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين»!!

وقال الرابي (اليعازر): «يتميز اليهودي عن باقي الأمم بأفعالهِ الصريحة كما يتميز المغربي عن باقي الأمم بشكلهِ وزيه».

محظور على اليهود تلمودياً أن يحيُّوا الكفار بالسلام ما لم يخشوا ضربهم أو عدوانهم. فاستنتج من ذلك الحاخام بشاي: «إن النفاق جائز وإن الإنسان (أي اليهودي) يمكنهُ أن يكون مؤدباً مع الكافر ويدعي محبتهُ كاذباً إذا وصول الأذى منه إليه».

وذكر التلمود أنهُ جائز استعمال النفاق مع الكفار وهؤلاء الكفار هم الخارجين عن الدين اليهودي.

والحسنة والصدقة الصادرة من بني إسرائيل ترفع شأنهم وهي مقبولة لديهِ تعالى. وأما الصدقة الصادرة من بقية الأمم فهي خطاياهم لأنهم لا يفعلوا إلا كبرياء (برابنداول ص ١٠).

ويعتبر التلمود كل من لا يختتن من الوثنيين الأشرار الذين ليس لهم عقيدة دينية. وأما اختتان المسلمين فلا يمنعهم أن يكونوا كالباقين، لأنهُ ليس الختان الحقيقي!!

مصرَّح لليهودي إذا قابل أجنبياً أن يوجه لهُ السلام، ويقول لهُ «الله يساعدك أو يباركك» على شرط أن يستهزىء به سرّاً ويعتقد أنهُ لا يمكنهُ أن يفعل خيراً ولا شرّاً.

مصرَّح لليهود أن يزوروا مرضى المسيحيين ويدفنوا موتاهم إذا خافوا وصول الضرر والأذى إليهم منهم!

وكان الرابي (كهانا) تعود أن يسلم على الأجانب بقوله: «الله يساعدكم» غير أن سلامه كان مضمراً لسيدهِ أو لمعلمه وليس للأجنبي.

ثانياً: التملك والتسلط العموميان

أعطى الله الأرض لليهود ـ من أين تستنتج هذه القاعدة التي تجوزّ لهم السلب والسرقة ـ تطبيق غريب لهذِهِ القاعدة[1]

حيث إن اليهود يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الإلهية فتكون الدنيا بما فيها تعلقهم[2]، ولهم عليها حق التسلط. ولذلك جاء في التلمود صراحةً إذا نطع ثور يهوديٍ ثورَ أميّ فلا يلتزم اليهودي بشيء من الأضرار ولكن إذا كان الأمر بالعكس يلتزم الأميّ بجميع قيمة الضرر الذي حصل لليهودي (ص ٢٦ غامارة). وذلك لأنهُ ذكر في التوراة أن الله سلط اليهود على الأجانب لنا نظر أن أولاد نوح لم يحافظوا على السبع وصايا المعطاة لهم، فأخذ أموالهم وسلمها لليهود.

وأولاد نوح على حسب التلمود هم الخارجون عن دين اليهود. أما اليهود فإنهم أولاد إبراهيم.

وقال الرابي (البو): **«سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم»**.

وجاء شرح ذلك في التلمود بالكيفية الآتية:

«إذا سرق أولاد نوح (أي غير اليهود) شيئاً، ولو كانت قيمتهُ طفيفة جدّاً، يستحقون الموت، لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أعطاها الله لهم. وأما اليهود فمصرَّح لهم أن يضروا الأميّ، لأنهُ جاء في الوصايا «لا تسرق مال القريب».

وقال علماء التلمود مفسرين هذه الوصية: إن الأميّ ليس بقريب وإن

---

(١) إذا كانت هذه العقائد والسلوك الإجرامي المذهل صلاحاً فما هو الفساد والإفساد وصدق القرآن العظيم إذ يقول فيهم: **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾** (م).

(٢) مراده بكونها تعلقهم أنها خاصتهم، أي ملكهم (انظر ما سيأتي قريباً في كلام الرابي (عشي) (م).

موسى لم يكتب في الوصية «لا تسرق مال الأميّ» فسلب ماله لم يكن مخالفاً للوصايا.

وجاء زيادةً على ذلك: «لا تظلم الشخص الذي تستأجرهُ لعمل ما إذا كان من أخوتك». أما الأجنبي فمستثنى من ذلك.

وقد ضرب الرابي (عشي) مثلاً لذلك فقال: إني نظرت كرماً حاملاً عنباً، فأمرت خادمي أن يستحضر لي منهُ إذا ظهر أنهُ تعلق أجنبي، وأن لا يمسهُ إذا ظهر أنهُ تعلق يهودي.

وقال (ممياند) مفسراً لقولهِ تعالى «لا تسرق»: إن السرقة غير جائزة من الإنسان أي من اليهود، **أما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة!!**

وهذه القاعدة مطابقة لما قبل من أن الدنيا هي تعلق اليهود ولهم عليها حق التسلط. **فالسرقة من الأجانب ليست سرقة عندهم بل استرداداً لأموالهم.** فإذا قال الحاخام التلمودي لا تسرق يكون الغرض من ذلك عدم سرقة اليهودي. وأما الأجنبي فسرقته جائزة لأنهم يعتقدون أن أمواله مباحة، ولليهودي الحق في وضع اليد عليها.

وجاء في كتاب «الروسيا اليهودية» (ص ١١٩): «إن الحكام اليهود يبيعون للأفراد الحق في سلب أموال أشخاص معينين من المسيحيين. وبعد حصول البيع يكون المشتري دون غيره من اليهود لهُ الحق في عمل الطرق اللازمة لوضع يدهِ على أموال ذلك المسيحي. فأموال ذلك المسيحي التي كانت مباحة تصبح ملكاً لذلك المشتري من وقت عقد البيع.

ويجوز تداخل يهودي آخر مع الأول بصفة شريك ليتفقا معاً على اللازم إجراؤه لاسترداد ذلك المال، لأن أموال الأميين مباحة ولكل يهودي الحق في وضع يدهِ عليها!!

وعلى اليهوديين المذكورين أن يقتسما ما يتحصلان عليهِ من الأموال،

لأنهُ إذا اشترك إثنان من اليهود في سرقة أو غش أو نهب أحد الأجانب فالقسمة بينهما واجبة.

وقال العالم (ففنكرن): **أموال المسيحيين مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة، أو كرمال البحر، فأول من يضع يده عليها يمتلكها!!**

وجاء في التلمود أن مثل بني إسرائيل كمثل سيدة في منزلها: يستحضر لها زوجها النقود فتأخذها بدون أن تشترك معهُ في الشغل والتعب.

ثالثاً: «الغش»

القاعدة المتبعة في القضايا بين اليهود وغيرهم ـ معنى هذه الكلمات: «يجدف باسم الله»[1] ـ أمثال ضربتها الحاخامات ـ يوم السبت

قال التلمود: **«مسموح غش الأميّ، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش،** لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه!!

إذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحاً فافعل وقل للأجنبي هكذا تقضي شريعتنا (إذا حصل ذلك في مدينة يحكم فيها اليهود). وإذا أمكنك ذلك وفقاً لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحاً، وقل للأجنبي هكذا تقضي شريعتك. فإذا لم تتمكن من كلا الحالين (بأن كان اليهود لا يحكمون البلد، والشريعة الأجنبية لا تعطي الحق لليهودي فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودي».

وقال الرابي إسماعيل طبقاً لتعاليم الحاخام (أكيبا): **«يلزم اليهودي أن لا يجاهر بقصدهِ الحقيقي، حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم».**

---

(١) لم يأتِ في هذا الفصل تفسير لمعنى هذه العبارة، عند اليهود فلعل المؤلف أو المترجم نسي ذلك.

وقالت الحاخامات: إن من يضبط متلبساً بجنحة السرقة أو الكذب يضر بالدين ضرراً بليغاً.

وقال الحاخام (رشي): «مصرَّح لك أن تغش مفتش الجمرك الخارج عن الديانة اليهودية، وتحلف لهُ يميناً كاذبة على شرط أن تنجح في ما لفقتُه من الأكاذيب».

واعترض عليه الرابي إسماعيل من مدينة (ناربونيا) قائلاً: كيف يكون الكذب والخداع جائزين مع أن الحاخام (أكيبا) حرمهما لعدم الضرر بالدين؟ وأجاب عن ذلك بأن غرض (أكيبا) **أن يجتهد اليهودي في أن يغش الأجنبي بدون ما يكتشف هذا الأخير أنهُ أدخل غليه الغش.**

وجاء في التلمود: **إن الرابي** (صموئيل) **أحد الحاخامات المهمين كان رأيهُ أن سرقة الأجانب مباحة** وقد اشترى هو نفسهُ من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاساً، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط، وهو ثمن بخس. **وسرق درهماً أيضاً من البائع».**

واشترى (الرابي كهانا) مائة وعشرين برميلاً من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة منها فقط!!

وباع أحد الربيين لأجنبي شجراً معداً للكسر ثم نادى خادمهُ وأمرهُ **أن يكسر بعضها ويسرقهُ، لأن المشتري وإن كان يعرف عددها لكنه يجهل حجم كل قطعة منها.**

وقال الرابي موسى (ونظر في ذلك إلى عواقب الأمور): إذا غلط أجنبي في حسبة فعلى اليهودي أن لا يغشه بل يقول لهُ «لا أعرف» لأنهُ من الجائز أن يكون الأجنبي فعل ذلك عمداً لامتحان اليهودي وتجربته.

وقال الرابي (برنز) في كتابهِ المسمى (بودنيلج): يجتمع اليهود كل أسبوع بعدما يغشون المسيحيين، ويتفاخرون على بعض بما فعل كل منهم من أساليب

الغش، ثم يفضون الجلسة بقولهم: «**يلزمنا أن ننزع قلوب المسيحيين من أجسامهم ونقتل أفضلهم**».

رابعاً: «الأشياء المفقودة»

ممنوع رد الأشياء المفقودة ـ سبب هذا المنع

جاء في التلمود: **إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأميّ مالهُ المفقود**، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب (سنهدرين ص ٦٧).

وقال الرابي موسى: غير جائز رد الأشياء المفقودة إلى الكفرة والوثنيين وكل من اشتغل يوم السبت.

وإذا دل أحد اليهود على محل وجود يهودي آخر هارب لعدم دفع دينٍ يطالبه به أجنبي فلا يحكم عليه بالإعدام كالمبلّغ بأمر كاذب، لأن اليهودي مديون في الحقيقة، غير أن **هذا البلاغ يعد كفراً من المبلّغ**، ومَثَله مثل من يرد الأشياء المفقودة لأجنبي. فيلزم المبلّغ في هذه الحالة أن يدفع لليهودي المبلّغ عنهُ قيمة الضرر الذي لحقه من ذلك البلاغ.

وقال الرابي (جريكام) إذا فقد أجنبي سنداً محرراً على يهودي بدينٍ مّا، ووجده يهودي، فيمتنع رده إليه لأن الدين يسقط بوجود السند تحت يد يهودي. وإذا قال من وجده إني أردهُ لصاحبهِ احتراماً لإسم الله وتأديةً للحق فيلزم الرد عليه بما يأتي، وهو: «**إذا أردت أن تحترم اسم الله فادفع الدين من مالك**»!!

ومعنى احترام اسم الله لدى اليهود وتمجيده: **السعي في علو شأن الديانة اليهودية بواسطة إصلاح الظواهر، ولو كانوا أشراراً في الباطن**!!

وقال الحاخام (رشي) المشهور: من يرد شيئاً مفقوداً لأجنبي فقد اعتبرهُ في درجة الإسرائيلي.

وقال (ميمانود) يذنب اليهودي ذنباً عظيماً إذا رد للأميّ مالهُ المفقود،

لأنهُ بفعله هذا يقوّي الكفرة، ويظهر اليهودي بذلك أنهُ يحب الوثنيين، ومن أحبهم فقد أبغض الله!!

خامساً: «الربا»

قاعدة الاستعارة عند المسيحيين ـ تحريف الحاخامات لقاعدة التوراة ـ سوء قصدهم الظاهر ـ مثل الحاخامات ـ نفاق قواعدهم ومبادئهم ـ تربية أولادهم فيما يختص بالربا

تُلزم شريعة موسى الغني أن يساعد الفقير بإعطائهِ بعضاً من أموالهِ على سبيل الهبة أو مجرد عارية استهلاك[١].

وعارية الاستهلاك هي أن المعير ينقل إلى المستعير ملكية شيء يتلزم المستعير بتعويضه بشيء آخر من عين نوعهِ ومقدارهِ وصنفهِ[٢] بعد الميعاد المتفق عليه. وليس من العدل أن يسترد المعير من المستعير أكثر مما أعطاهُ، لأن الشيء المستعار لم يزد في أموال المستعير باستعماله. وليس للمعير الحق في طلب زيادة عما أعطاهُ، لأنهُ لو حصل ذلك منهُ يكون من قبيل الربا.

ولكن قد يحصل عادةً للمعير بسبب منعهِ عن وضع يده مؤقتاً على الأشياء تعلقه[٣] وعدم استعمالها لمنفعتهِ الخصوصية، أو تكون الأشياء المذكورة عرضة للخطر عند المستعير، أو يحرم صاحبها من الكسب بسببها، (ويحصل هذا الأمر الأخير إذا كانت الأشياء من الأشياء ذات الثمرة) ففي كل هذه الحالات يسوغ للمعير أن يطلب زيادة عن قيمة ما أعطاه لأنهُ في الحقيقة أعطى عن الشيء المعطى.

---

(١) عارية الاستهلاك في الاصطلاح القانوني هي القرض، ويقابلها «عارية الاستعمال»، كإعارة الآلة أو الماعون لاستعماله ورده (م).

(٢) أي بمثله سواء أكان نقوداً أو أموالاً أخرى مثلية استهلاكية كالسكر والرز والزيت (م).

(٣) أي التي تخصه، كما سبق تفسيره في مناسبة أخرى جاء فيها التعبير عن الملك والاختصاص بالتعلق.

فإذا أعطى المستعير قيمة الضرر أو الحرمان الذي حصل من العارية الفوائد قانونية، وإذا زادت عن ذلك فهي الربا.

ولو اتبعنا الأصل الطبيعي في الأشياء لوجدنا أن النقود ليست هي التي جعلتها الطبيعة تنتج أثماراً، إلا أنهُ في حالة ما إذا حصل ضرر للمعطى حرمانهِ من مالهِ مؤقتاً يجوز إعطاؤه فوائد في مقابل ذلك.

ولكن يلزم أن تكون الفوائد في الأحوال المذكورة قانونية ومنها أصل الديانة يلزم معاملة اليهودي وغيره حال الاقتراض بالسوية. وقال الله تعالى لبني إسرائيل عند دخولهم أرض كنعان أن يأخذوا من أهلها زيادة عن قيمة الشيء المستعار ولو كانت العارية مجرد عارية استعمال. الله صرَّح بذلك في أحوال مخصومة، وأمر أن تكون الفوائد المطلوبة لحالة الأجنبي ولقيمة الشيء المعطى إليه، وإلا لكان الأمر من قبيل انتهاء فقر القريب لسلب أمواله ونهبها بدون حق. ولكن حوَّل الحاخامات هذا إلى الأمر، وعوضاً عن قولهم: إن موسى سمح بأخذ الفائدة إذا أقرض الذميّ مالاً، قالوا يجب أخذ تلك الفائدة!

وكتب (ميمانود) ما يأتي:

أمرنا الله بأخذ الربا من الذميّ وأن لا نقرضهُ شيئاً إلا تحت هذا (أي بالربا). وبدون ذلك نكون ساعدناه مع أنهُ من الواجب علينا ولو أنه هو قد ساعدنا في هذه الحالة (بأخذنا منهُ الفوائد والربا).

أما الربا فمحرّم بين الإسرائيليين بعضهم لبعض. وادعى أحد الحاخامات أن أقوال موسى بخصوص الربا صدرت بصيغة الأمر.

وجاء في التلمود: «غير مصرَّح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا» وقرَّر ذلك أيضاً الحاخام (ليفي بن جرسون) وجملة من الحاخامات. ومع علم اليهود علم اليقين أن موسى لم يصرّح إلا بالفوائد القانونية المناسبة للأحوال، قد حرَّفوا أقوالهُ وغيروها!!! وقرّر العالم بشاي المشهور: «أن الحاخامات لا يصرّحون بأخذ فوائد غير قانونية من اليهودي حتى يتمكن من المعيشة».

وقال عن الأمي في موضع آخر، موجهاً أقوالهُ لليهود: «حياته بين أيديكم فكيف بأموالهِ «أي مصرَّح لكم بزيادة قيمة الفوائد واستعمال الربا وارتكاب السرقة والنهب مع الأميّ لأن حياته وأموالهُ في أيديكم مباحة لكم!!

وجاء في التلمود. أن (صموئيل) أجاز للحاخامات أن يطلبوا الربا من بعضهم وفي هذه الحالة يعتبر أن الربا كهدية يريد أحدهم إهداءها للآخر. **ويتمسكون بإعارة ابن (أصي) لصموئيل مائة رطل من الفلفل على شرط أن يردها إليهِ مائة وعشرين رطلاً!!**

وقال الرابي (يهوذا) أنهُ مصرَّح لليهودي أن يعير أولادهُ وأهل بيته بالربا ليذوقوا حلاوتهُ ويقدّروه حق قدره.

فيستنتج مما ذكر:

أولاً: أنه ليس الغرض مما جاء في العبارات السابقة الفوائد القانونية لأنهُ مذكورٌ فيها عبارة «**الربا المحرم**» على الكل، كما ثبت ذلك عن موسى النبي. إنما الغرض هو الربا المحرَّم لأنها تنطبق على حالة استعمال الأشياء المستعارة البسيطة كما حصل ذلك في مسألة الفلفل.

ثانياً: لأن فائدة عشرين في المائة تزيد عن الفوائد الاعتيادية المسماة بها.

ثالثاً: يوجد في العبارة المذكورة طريقة نفاق، ألا وهي عبارة الهاليهود لأن موسى النبي حرَّم الربا ما بين اليهود، سواء أكان بطريقة ظاهرة أو خفية لأنهُ حرَّم الخطيئة من حيث هي ولم يحلّلها إذا كانت خفية.

فمن كل ذلك يمكنك أيها القارىء أن تفهم بسهولة طريقة الحاخامات في حفظ وتفسير التوراة!!

وقصارى الأمر أنهُ يؤخذ مما تقدم طريقة لتعليم الأولاد الربا، لأنه إذا استعمل الحاخام مع حاخام آخر فائدة غير قانونية، كعشرين في المائة بصفة

فائدة قانونية فيكون بالأولى عند هؤلاء الأولاد ميل غريزي لاستعمال الربا، خصوصاً نحو الأجانب.

وبواسطة هذا التعليم ربما زادوا عن عشرين في المائة كما حصل في مدينة (منشستر) أن إنساناً أقرض آخر سبعين ريالاً، وألزم الدين أن يمضي سنداً بمائة ريال، واشترط عليهِ أن يدفع لهُ عن هذا المبلغ الأخير فائدة حساب ثمانية في المائة.

وهذا الأمر لا يستوجب العجب لأن الحاخام (كرونر) يقول: هذه الطريقة غير قابلة للانتقاد، لأن أفكار الناس تختلف الآن في مسائل الفوائد عما كانت قبل.

وقال الحاخام (أباربانيل): إن الشريعة تجوّز ارتفاع الفوائد على حسب إرادة المقرض!! غير أنهُ استدرك أن هذهِ القاعدة لا تشمل المسيحيين، لأنهم لا يعدون أجانب عند الله. ولكن قال الحاخام المذكور بعد ذلك عندما كان وزير المالية في أسبانيا: **أنهُ لم يستثنِ المسيحيين كما فعل إلا لحفظ السلام ولأجل ما يعيش اليهود في أمانٍ بين المسيحيين!**

ومن هذا تعلم أيها القارىء أن (أباربانيل) درس قاعدة النفاق درساً متقناً!!

وكتب حاخام آخر ما يأتي بدون إخفاء شيء من أفكاره فقال: **لقد أصابت عقلاؤنا عندما صرَّحوا لنا باستعمال الربا ضد المسيحيين والأجانب!!**

وكل ما سبق مطابق لما قالهُ الحاخام (شواب) الذي ارتد عن الدين اليهودي من أنهُ إذا احتاج مسيحي لبعض نقود فعلى اليهودي أن يستعمل معهُ الربا المرة بعد الأخرى، حتى لا يمكنهُ أن يدفع ما عليهِ إلا بتنازله عن جميع أمواله!! فإن تنازل فبها، وإلا طلب حقهُ منه أمام المحاكم، ووضع يده على أملاكه بواسطتها!!

سادساً: حياة الأجانب وأشخاصهم»

مباح قتل غير اليهودي ـ القتل أمر واجب عند التمكن من إجرائه ـ الحفرة والنفاق الممكن استعمالُه ـ القواعد المنصوص عنها في هذا الفصل تشمل النصارى وباقي الأمم ـ حوادث تاريخية مذكورة في كتب اليهود

غير مصرَّح للكاهن أن يبارك الشعب باليد التي قتل بها شخصاً ولو حصل القتل خطأ أو ندم الكاهن بعد ذلك.

ولكن قال الحاخام (شار): إنهُ يمكنه أن يبارك الشعب بتلك اليد إذا كان المقتول غير يهودي ولو حصل القتل بقصد وسبق إصرار.

فينتج من ذلك أن قتل غير اليهودي لا يعدّ جريمة عندهم، بل فعل يرضي الله!!

وجاء في كتاب (بوليميك): **إن لحم الأميين لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة!!** أما اليهود فإنهم تطهروا على طور سينا. والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم، **ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي!!**

ويقول التلمود: **اقتل الصالح من غير الإسرائيليين**، ومحرَّمٌ على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجهُ من حفرة يقع فيها، لأنهُ بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين».

وجاء في صحيفة أخرى: «إذا وقع أحد الوثنيين في حفرةٍ يلزمك أن تسدها بحجر». وزاد الحاخام (رشي) إنهُ: يلزم عمل الطرق اللازمة لعدم خلاص الوثني المذكور منها.

وقال (ميماوند) الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني. فإذا رأيتهُ واقعاً في نهر، أو مهدداً بخطر، فيحرم عليك أن تنقذه منهُ، لأن السبعة شعوب الذين كانوا في

أرض كنعان المراد قتلهم من اليهود لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض. ولذلك قال (ميماوند): إنهُ يلزم قتل الأجنبي، لأنه من المحتمل أن يكون من نسل السبعة شعوب. **وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع.**

هذا ومن ينكر شيئاً من الاعتقادات اليهودية يعتبر أنهُ كافر، ومن تلامذة الفيلسوف (أبيقور)، ويلزم بغضه واحتقاره وإهلاكه، لأنهُ جاء في الكتب: «كيف لا أبغض يا إلهي من يبغضك».

إذا قصد يهودي قتل حيوان فقتل شخصاً خطأً، أو أراد قتل وثني أو أجنبي فقتل يهودياً، فخطيئته مغفورة ملاحظة للقصد.

على أنهُ من المعلوم المقرر أن قتل اليهودي من الجرائم التي لا تغفر، فيلزم أن يكون قتل الأجنبي عندهم من الفضائل حتى إنهم يسامحون القاتل في هذه الحالة.

وقال التلمود أنهُ جائز قتل من ينكر وجود الله. وإذا نظر أحد اليهود كافراً في حفرة فعليهِ أن لا يخرجهُ منها، حتى لو وجد فيها سلماً يمكن الكافر أن يخرج بواسطته منها وجب على اليهودي نزعه محتجاً بأنهُ أخرجهُ حتى لا ينزل عليه قطيعه. وإذا وجد حجراً بجانب الحفرة وجب عليهِ وضعه عليها، ويقول إني أضع هذا الحجر ليمر عليه قطيعي.

وقال التلمود: **من العدل أن قتل اليهودي بيده كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله.**

وجاء في التلمود أيضاً: **إن الكفار كما قال الحاخام (أليعازر) هم يسوع المسيح ومن أتبعه. وقال الرابي (يهوذكيا) إن هذه اللفظة تشمل الوثنيين على العموم.**

أما ما جاء من قوله تعالى: «**لا تقتل**» فقال ميمانود: **إنهُ تعالى نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل.**

ومن المفروض عندهم قتل كل من خرج عن دينهم، وخصوصاً الناصريين، لأن قتلهم من الأفعال التي يكافىء الله عليها. وإذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فمفروض عليه أنهُ يتسبب في هلاكهم في أي وقت أو على أي وجه كان، ويعدون ذلك من العدالة، لأن التسلط على بني إسرائيل سيدوم ما دام واحد من هؤلاء الكفار. فلذلك جاء أن يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السراي الرابعة. أما من قتل يهودياً فكأنه قتل العالم أجمع ومن تسبب في خلاص يهودي فكأنه خلص الدنيا بأسرها.

ولذلك قال (ميماوند): «يصفح عن الأميّ إذا جدف على الله تعالى، أو قتل غير إسرائيلي، أو زنا بامرأة غير يهودية ثم تهوَّد، لكنهُ لا يصفح عنهُ إذا قتل يهودياً أو زنا بامرأة يهودية ثم صار يهودياً. (سنهدرين ص ١٧).

والذي يرتد عن الدين اليهودي يعامل معاملة الأجنبي، غير أنهُ إذا فعل ذلك لأجل أن يغشهم فلا خوف عليهم ولا جناح، لأنه إذا أمكن اليهودي أن يغش أجنبياً ويوهمه أنهُ غير يهودي فهذا جائز. أما الذين تعمدوا واختلطوا بالنصارى، وعبدوا الأصنام مثلهم فيعتبرون كأنهم منهم، ويلقون في حفرة ولا يستخرجون منها.

وهذه التعاليم القاسية الصادرة عن النفاق معلومة لدى اليهود الحديثي العهد المدعين الفلسفة وحب القريب، وأفكارهم الحقيقية تظهر من وقت لآخر. وهكذا فقد مدح اليهودي (جراز) (برن رهين) الشهير الذي كان يغش الأجانب بالعبارة الآتية: «إنهُ في الحقيقة انفصل من الأمم اليهودية في الظاهر، ولكن مثلهُ كمثل المحارب الذي يستولي على أسلحة وراية العدو لأجل أن يتمكن من الفتك بهِ وإهلاكه».

ووصف المعلم (جراز) المذكور ـ وهو خوجه في مجمع الحاخامات في مدينة (برزلو) ـ المسيحي بالعداوة، وقال: «إنه يجب إعدامه، ومدح الوسائط التي يمكن بها التوصل لهذا الغرض، ولو كانت صادرة عن نفاق أو خيانة!!

هذا وحب سفك الدم البريء عند الحاخامات ثابت في التاريخ العام، لأنهُ جاء فيه: إن شاول خرج لمحاربة المسيحيين وهو لا يقصد إلا القتل والفتك بهم فتكاً ذريعاً. ومذكور في رسائل الرسل: إن اليهود كانوا يهيجون سكان المدن التي يسكنونها ضد المسيحيين.

وقالت: اليهود في كتابهم المسمى: (سدرحا دوروت): إن الحاخامات تسببوا بروومة في قتل جملة من النصارى!!

ومن الأمور المتفق عليها اتهام الأمبراطور (أنطونين لبيو) ببغض المسيحيين ولكن في سنة ١٧٨١ اعترض العالم (هافز) على حقيقة الأمر العالي الصادر من هذا الأمبراطور لمنفعة المسيحيين. على أنهُ إذا كان ذلك الأمر حقيقيّاً وإذا صدر لأجل أن يحمي النصارى من فتك الشعب بهم في بعض المدن ـ كما ادعى ذلك المؤرخ (أزيب) في كتابهِ (٤, ٢٦) ـ فإن ذلك لا ينفي ما ذكر في كتاب (سدرحا دوروت) صحيفة ١٢٧ وهو ما يلي:

«الحاخام الرباني يهوذا كان محبوباً لدى الأمبراطور، وأطلعهُ على الناصريين قائلاً له: «إنهم سبب وجود الأمراض المعدية. وبناء على ذلك تحصل على الأمر بقتل كل هؤلاء الناصريين الذين كانوا يسكنون في رومة في سنة ٣٩١٥ أي ١٥٥ بعد المسيح.

وجاء في الكتاب نفسه بعد هذه العبارة: «إن الأمبراطور (مارك أوريل) قتل جميع الناصريين بناء على إيعاز اليهود».

وقال في صحيفة ١٢٥ إنهُ في سنة ٣٩٧٤ أي ٢١٤ بعد المسيح قتل اليهود مائتي ألف مسيحي في رومة وكل نصارى قبرص».

وذكر في كتاب (سفر يوكاسين) المطبوع في مدينة أمستردام سنة ٧١٧ في الملزمة ١٠٨ إنه في زمن البابا (كليمان) قتل اليهود في رومة وخارج عنها جملة من النصارى» كرمال البحر، وأنهُ بناء على رغبة اليهود قتل الأمبراطور (ديو كليسيين) جملة من المسيحيين ومن ضمنهم البابوات (كليس ومرسلينوس) وأخا (كاييس) المذكور، وأخته روزا.

ومن المعلوم أنهم[1] كانوا من المحبوبين عند الأمبراطور (نيرون).

فيظهر لك جلياً أيها القارىء أن القاعدة المعلومة عند اليهود لم تكن عبر خط مكتوب، وأنه كلما قدر اليهود على استعمال ذراعهم في القتل استعمار ولم يدعوهُ في راحة.

سابعاً: «المرأة»

لا يخطىء اليهودي إذا اغتصب امرأة مسيحية ـ زواج المسيحيين هو من قبيل وطء الحيوانات لبعضها ـ تفسير الأحلام ـ ـ مثل للحاخامات ـ النساء اليهوديات ـ

قال موسى: «لا تشتهِ امرأة قريبك، فمن يزني بامرأة قريبهِ يستحق الموت» **ولكن التلمود لا يعتبر القريب إلا اليهودي فقط فاتيان زوجات الأجانب جائز.** واستنتج من ذلك الحاخام (رشي) أن اليهودي لا يخطىء إذا تعدى على عرض الأجنبي لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، **لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمةٍ والعقد لا يوجد في البهائم.** وما شاكلها. وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي وليفي وجرسون) فلا يرتكب اليهودي محرّماً إذا أتى امرأة مسيحية.

وقال (ميمانود) **أن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات، أي الغير يهوديات!!**

وقال الحاخام (تام) الذي كان في الجيل الثالث عشر بفرنسا: **«إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أو إناثاً لا عقاب عليهِ، لأن الأجانب من نسل الحيوانات.** ولذلك صرَّح الحاخام المذكور ليهودية أن تتزوَّج بمسيحي تهوَّد مع أنها كانت رفيقة لهُ غير شرعية قبل الزواج فاعتبر العلاقات الأصلية كأنها لم تكن لأنها أشبه شيء بنكاح الحيوانات!!

---

(١) الضمير يرجع إلى اليهود (م).

وجاء في التلمود: «إن من رأى أنهُ يجامع والدتهُ فسيؤتى الحكمة، بدليل ما جاء في كتاب الأمثال (٢١٣): إن الحكمة تدعى: «والدة». ومن يرى أنهُ جامع خطيبتهُ فهو محافظ على الشريعة. ومن يرى أنهُ جامع أخته فمن نصيبه نور العقل. ومن يرى أنه جامع امرأة قريبهِ فلهُ الحياة الأبدية.

ناشدتك الله أيها القارىء إذا كانت تلك هي القواعد الأدبية أفلا يتمنى الإنسان بعد ذلك أن يرى تلك الأحلام حقيقة، ويترقى من هذهِ إلى تلك لأنهُ إن كانت نتيجة الأحلام بالكيفية المشروحة فما بالك بالحقيقية؟

وقال الرابي (كرونر): إن التلمود يصرِّح للإنسان (يعني اليهودي) أن **يسلم نفسهُ للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها، ولكنهُ يلزم أن يفعل ذلك سرّاً لعدم الضرر بالديانة!!**

وذكر في التلمود عن كثير من الحاخامات كالرابي (راب، ونحمان): إنهم كانوا ينادون في المدن التي يدخلونها عما إذا كان يوجد فيها امرأة تريد أكم نفسها أي تسلم نفسها لهم مدة أيام.

وجاء في التلمود أيضاً عن الرابي (اليعازر): أنهُ فتك بكل نساء الدنيا، وأنهُ سمع مرة أن واحدة تطلب صندوقاً ملآناً من الذهب حتى تسلم نفسها لمن يعطيها إياهُ، فحمل الصندوق وعدّى سبعة شلالات حتى وصل لها... (ولنضرب صفحاً عن باقي القصة لأنها مخلة بالآداب).

ومن الأمور المذمومة أنهُ جاء في آخر القصة أنهُ: لما توفي هذا الحاخام صرخ الله من السماء قائلاً «تحصل الرابي (اليعازار) على الحياة الأبدية»!!

وليس للمرأة اليهودية أن تبدي أدنى شكوى، على حسب التلمود، **إذا زنى زوجها في المسكن المقيم فيهِ معها.**

ولما قال الحاخام (يوحنان) أن اللواط بالزوجة غير جائز عارضوهُ في ذلك قائلين: إن الشرع لم يحرّم هذا الأمر، بل قال أنهُ لا يخطىء اليهودي مهما

فعل مع زوجتهُ، وأية طريقة اتبعها نحوها بأمر الزواج، فهي له بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحمة اشتراها من الجزاء، يمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية على حسب رغبته. ويضربون لذلك مثلاً أن امرأة حضرت إلى الحاخام وشكت لهُ أن زوجها يأتيها على خلاف العادة، فأجابها «لا يمكنني أن أمنعه عن هذهِ المسئلة يا ابنتي، لأن الشرع قدمك قوتاً لزوجك».

ولا تظن أيها القارىء أن هذهِ القواعد لم تذكر إلا في التلمود القديم بل هي مرصودة أيضاً في النسخ الجديدة المطبوعة في مدن (أمستردام) سنة ١٦٤٤ و (سلزباج) سنة ١٧٦٥ و (فرسوفيا) سنة ١٨٦٤.

وذكر في كتاب سنهدرين (ص ٨٥) أنه مصرح لليهودي أن يفعل ذلك الأمر بزوجتهِ وليس بمصرَّح للأجنبي أن يفعلهُ إلا بامرأة أجنبية عنهم، على حد قول الشاعر:

فإن لم تكونوا قوم لوط حقيقة   فما قوم لوط منكم ببعيد!!

ويلزم أن يكون حاضراً في الكنيس عشرة أشخاص ذكور فإذا حضر تسعة فقط ومليون امرأة لم يكف هذا العدد في الإتيان بالواجب، **لأن المرأة تحسب عندهم صفراً!**

قال الرابي (كرونر) أنه لا يوجد بين اليهود أولاد غير شرعيين كما في باقي الأمم. واستنتج من ذلك أن الزنى قليل بينهم. ولكن ثبت من التعداد العمومي خلاف ذلك، ووجدت المومسات من اليهود في المدن الكبيرة بأوروبا أكثر من المومسات في النساء المسيحيات. وما عليك إلا أن تتثبت من هذا الأمر بواسطة البحث في مدن (باريس، ولندن، وبرلين، وهمبرج، وفرسوفيا، وكراكوفي).

وقد يجد الإنسان في المحلات العمومية اليهوديات أكثر من المسيحيات مع المحافظة على النسبة بين عدد الأمتين. وهذا من الأمور المحزنة لهم.

ولكن عزت الصحف الأمة الإسرائيلية بوفاة امرأة مشخصة[1] منها تسمى الست (يوديت فاريرا) ذات وجهٍ حسن وشيعت جنازتها على حسب الطقس الإسرائيلي، وأكدت تلك الصحف أنه غفر لها كل ما ارتكبته من الأفعال التي لا بد أن يرتكبها كل إنسان يشتغل بفن التشخيص، وذلك لأنها ماتت على دين أهلها.

فينتج من ذلك أن كل ذنب عندهم مغفور إذا مات الإنسان محافظاً على دين اليهود!!

ثامناً: اليمين

اليمين لا تلزم اليهودي أمام المسيحي ـ قاعدة الرجوع عن اليمين وتحويلها بالنية ـ نفاق الحاخامات ـ طريقة يمكن بها العدول عن اليمين

لا يعتبر اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاتهِ مع باقي الشعوب يميناً، لأنه كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعد يميناً، لأن اليمين إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا. فإذا اضطر يهودي أن يحلف لمسيحي **فله أن يعتبر ذلك الحلف كلا شيء!**

على أنه لا معنى للنزاع القائم بين يهودي ومسيحي بخصوص الملكية، لأنه من المقرَّر أن أموال المسيحي ودمه من تعلقات اليهودي[2]، ولهُ التصرُّف المطلق فيها، وله الحق، طبقاً لقواعد التلمود، في استرجاع تلك الأموال. فإذا دعي يهودي لحلف يمين مختصة بشيء متنازع فيه فعليهِ أن يرفض ذلك، **لأنهُ لا محل لليمين في هذه الحالة**. وإذا خاف سلطة شخص أو ضرراً يصل إليه من عدم تأدية اليمين فعليهِ أن يحلف بما يريدون، غير أنهُ يلزم أن يكون معتقداً باطناً أن الأموال التي حصل بخصوصها اليمين هي في الحقيقة تعلّقهُ، ولهُ الحق في استرجاعها في أول فرصة.

---

(١) أي ممثلة محترفة فن التمثيل (وكان يسمى في مصر فن التشخيص).

(٢) أي كملك اليهودي الخاص به (م).

يجوز لليهودي الحلف زوراً، فلا يخطىء إذا حوّل اليمين لوجهة أخرى!! وقد حلف الرابي (يوحنان) يوماً ما لامرأة على أن لا يبوح بسرها قائلاً لها إني لا أبوح بهذا السر أمام الله، ففهمت المرأة أن الحاخام يحلف لها بالله على كتمان السرّ مطلقاً مع أنهُ حولهُ بالكيفية الآتية «احلف أن لا أبوح بهذا السر أمام الله، ولكني سأفشيهِ لبني إسرائيل»!!

ومن القواعد المقررة عند اليهود أن يستعملوا مثل هذا التأويل إذا كانت اليمين إجبارية، كما إذا كلفت الحكومة مثلاً أحد الأفراد بحلف يمين. ففي هذه الحالة **يعتبر اليهودي نفسه أنهُ غير حرٍّ، وله الحق في الكذبُ!!**

قالت الحاخامات إذا استشهد أمير يهودياً لأجل أن يعرف منهُ إذا كان فلان اليهودي زنا بامرأة، وحلفهُ اليمين ليعلم منهُ الحقيقة، ويحكم بالإعدام في الأحوال الجائز فيها ذلك قانوناً، فعلى الشاهد أن يعتبر تأدية اليمين جبرية، وأن يؤولهُ في سرِّه بكيفية أخرى، وإذا أمر الحاكم أحد اليهود مثلاً أن لا يخرج من البلد فعليهِ أن يحلف لهُ بذلك، ولكنهُ ينوي في سرِّه أنهُ لا يخرج منهُ اليوم. وإذا خصص الحاكم الوقت وقال لليهودي: أن لا يخرج منهُ أبداً فعليهِ أن يحلف ولكنهُ يقصد في سرّه أنهُ على شرط كذا وكذا. ولكن كل ذلك غير جائز إذا عرفهُ الأجنبي واطلع عليهِ لعدم الضرر بالدين. ولذلك عوقب (سادسيساس) لأنهُ حلف يميناً كاذبة أمام بختنصر مع أن تلك اليمين كانت إجبارية.

فينتج من ذلك أنهُ يجوز لليهودي أن يؤدي يميناً كاذبة أمام حكام البلد كلما سئل على شيء لا يجوز لهُ أن يقول طبقاً للشريعة اليهودية، وذلك نتيجة القاعدة العمومية التي مؤداها **أن الإنسان مهما كان شريراً في الباطن وأصلح ظواهره يخلص!**

وإذا سرق يهودي أجنبياً وكلفت المحكمة اليهودي بحلف اليمين، فعلى باقي اليهود أن يسعوا في صالح أخيهم اليهودي عند الأجنبي حتى لا يحلف اليمين. ولكن إذا صمم الحاكم على تحليفه وأمكن المتهم أن يحلف زوراً بدون معرفة حقيقة الأمر لدى الأجانب فعليهِ أن يحلف!

وفي كل مدة يوجد في مجمع اليهود يوم للغفران العام الذي يمنح لهم، فيمحو كل ذنب ارتكبوه، ومن ضمنها اليمينات الزور. وليس على اليهودي أن يرد ما نهبه أو سرقه من الأجنبي لأجل التحصل على ذلك الغفران.

وعلى اليهودي أن يؤدي عشرين يميناً كاذبة ولا يعرض أحد أخوانه اليهود لضررٍ مّا. ومن المقرر لديهم أن من يعرف شيئاً مضرّاً بصالح اليهودي ونافعاً لأميّ فعليهِ أن لا يعلم بهِ السلطة الحاكمة، وإذا فعل ذلك ارتكب ذنباً عظيماً.

أما يوم الغفران العمومي فهو اليوم الذي يصلي فيهِ اليهود صلوة يطلبون فيها الغفران عن خطاياهم التي فعلوها، واليمينات التي أدوها زوراً، والعهود التي تعهدوا بها ولم يقوموا بوفائها. وتقام هذه الصلوة في محفل عمومي ليلة عيد، وينطق بها الكاهن الخادم بمساعدة حاخامين، ويحصل ذلك في يوم واحد من كل سنة. ويمكن لليهود أن يتحصلوا على ذلك الغفران في أي وقت كان من حاخام واحد، أو ثلاثة شهود.

حقيقة يوجد يهود آخرون يدعون أن هذه القواعد ليست متبعة إلا بالنسبة لليمين والنذورات التي تصدر من الإنسان بسرعة وبدون تروّ، على شرط أن تكون مختصة بأشياء خصوصية لا تضر بمصالح الغير. ونحن نريد أن نصدقهم فيما ادعوهُ، ولكن ما يستعملونهُ في ليلة الغفران من الرسميات يجعلنا أن نشك في صحة هذا الادعاء.

ومما يقوي هذا الشك أن كثيراً من اليهود المرتدين عن دينهم شهدوا بأن الاعتذار من الأمة الإسرائيلية بالكيفية التي سلفت ليس إلا لأجل التخلص من الاعتراف بالحقيقة.

ولا يخطر بفكرك عدم تصديق هؤلاء الأشخاص بسبب ارتدادهم عن دين اليهود لأنهُ من الواجب على كل إنسان أن يشهر علناً كل ما يظنهُ مضرّاً بالهيئة الاجتماعية.

ومن هؤلاء المرتدين (يوحنان شمير) الذي قال أن الحاخامات يدعون أن لهم الحق في أن يحللوا الله من أيمانه!! ووافقهُ (برنز، ودراك) على هذا الأمر بخصوص الأيمان لدى اليهود، مع أنهما من العلماء المعول على أقوالهم ولو أن اليهود أرادوا أن يحطوا من قدر الثاني منهما.

تاسعاً: «في المسيحيين»

ألفاظ «عابدي الأوثان» و «أجنبي» معناها يشمل النصارى ـ نفاق الحاخام ذ. ليفي ـ أدلة تثبت حقيقة هذا التفسير

ادعى اليهود أن اللعنات الموجودة في التلمود لا تشمل النصارى بل الأمم الأخرى الغير يهودية كالصادوقيين. ويعترفون أنهُ مصرح لهم حقيقة بالتصرف في أموال «الكفرة، والوثنيين، والأجانب»، ولكن المسيحيون لا يدخلون تحت هذه الأسماء، أو ليس لهم فيها شأن.

ولكن نعرف أن اليهود مصرح لهم أن يحلفوا زوراً على أن كتبهم المقدسة خالية من الطعن في المسيحيين خوفاً من الضرر أو العداوة، وهم محافظون على هذه القاعدة، وأنهم يعتقدون أن المسيح إنسان لا إله، ويعتبرون المسيحيين بصفة وثنيين، لأنهم يعبدون مخلوقاً، ولا عبرة باختلاف كيفية عبادتهم عن شكل عبادة باقي الوثنيين، لأنهُ قد يحصل اختلاف في كيفية العبادة ويكون لأحد النحل شكل في العبادة أرقى من الآخرين، مع أنهُ ما دامت العبادة لمخلوق فهي على أي حالة عبادة للأوثان، مثلاً فإن عبادة العجم القدماء كانت أقل شناعة من عبادة أهل كنعان في الشكل.

فإذاً اللعنات الموجودة في التلمود موجهة على جميع الأمم الخارجين عن مذهب اليهود، ومن ضمنهم المسيحيون غير أنهم يستعملون أسماء الشعوب التي تلاشت واندثرت لإخفاء مقاصدهم، وخوفاً من ضرر وعداوة المسيحيين لهم ومما يثبت ذلك أن الحاخام (ذوي) أراد مرة أن يقنع مسيحياً بأنهُ في ضلال مبين، حيث يعتقد أن اليهود يعنون بكلمة (جويم) المسيحيين. ولما لم يفلح

في إثبات ما أراده ادعى أن هذه اللفظة ليست من ألفاظ الشتم ولا السبّ، ولكن ثبت أن الأمر بخلاف ما ادعاهُ، لأنه لما دعى بعض الإسرائيليين بهذه اللفظة غضب واعترض على وصفه بهذه الصفة.

ومما يثبت سوء قصدهم هو تغيير هذهِ الكلمة بكلمة أخرى في نسخة التلمود المطبوعة في فرسوفيا سنة ١٨٦٢ .

ويسمون الأمم الخارجة عن دينهم أيضاً (أكيم) لأنهُ قيل: «إذا صلى يهودي وتقابل في طريقهِ مع (أكيم) **يحمل صليباً**، وكان اليهودي وصل للنقطة الواجب الانحناء فيها للصلاة فعليهِ أن لا يفعل ذلك ولو كان قصده موجهاً لله».

(فالأكيم) الذي يحمل صليباً لا شك أنهُ المسيحي.

وقال (ميماوند) بصراحة أنهُ لا فرق بين المسيحي وباقي الوثنيين، لأن الناصريين الذين يتبعون أضاليل يسوع معدودون من باقي الوثنيين، ويجب أن يعاملوا معاملتهم. أما كلمة (جويم) فمعناها المسيحيون، لأنه قيل أن اليهود الذين يتعمدون يختلطون (بالجويم) فمحرَّمٌ على غيرهم من اليهود أن يعيشوا معهم، ويدعوهم أخوة لهم، بل يحتم عليهم الشرع أن يلقوهم في الهاوية.

وكذلك الأمر بالنسبة لكلمتي (مين، وميم) اللتين يدعون بهما الكفار.

لدغ ثعبان مرة ابن (ضمّا) فتقدم أحد المسيحيين ليرقيه باسم سيده يسوع، فعارضهُ الرابي إسماعيل قائلاً: أنهُ ليس من الجائز أن يرقى الإنسان بواسطة أحد الكفرة.

ثم أنهم يطلقون كلمة الأجانب على المسيحيين أيضاً لأن الرابي يعقوب الذي كان يعيش في فرنسا في القرن الثاني عشر، وجمع أموالاً كثيرة من الربا كان يقول: **إن استعمال الربا جائز مع الأجانب**. وكان يقصد بهذهِ الكلمة الفرنساويين الذين كان ينهب أموالهم، والفرنساويون مسيحيون كما هو معلوم. فلو أن التلمود أوجد فرقاً بين المسيحيين والوثنيين لكان كالفرق الموجود بين العجم والكنعانيين، مع أن الجميع عندهُ وثنيون.

وجاء في التلمود أنهُ: «من ضمن أيام أعياد الوثنيين أول الأسبوع المسمى بيوم الناصريين، يعني يوم الأحد عند المسيحيين. ويسمي التلمود الناصري: ابن النجار. وهذا مطابق لما كان يقولهُ اليهود للمسيح أيام حياته على الأرض (راجع إنجيل متى ١٣, ٥٥). ويسمي التلمود يسوع المسيح: تمثالاً. فينتج من ذلك أن المسيحي لديهم وثني، لأنه يعبد المسيح.

وجاء في التلمود «أن المسيح كان ساحراً، ووثنياً. فينتج أن المسيحيين وثنيون أيضاً مثله.

ويقول التلمود: إن المسيح كان مجنوناً. وهذا مطابق لما كان يعامله به (هيرودس) ومعاصروه الذين كانوا يصفونهُ بأنه ساحر ومتفق مع الشيطان.

ووصف التلمود المسيح بأنه: «كافر لا يعرف الله» فيستنتج من ذلك أن المسيحيين كفرة مثله.

وقد سبق أنه من المقرَّر عندهم أن يقتل اليهودي الوثني إذا قدر، فعليه حينئذٍ قتل المسيحي لأنه من ضمن الوثنيين[1].

وقال الحاخام (رشي) صراحة أقتل الصالح من المسيحيين[2].

وجاء في التلمود: «المسيحيون من عابدي الأصنام، غير أنه جائز أن يتعامل الإنسان معهم في أول يوم من الأسبوع الذي هو يوم عيد عندهم».

وجاء بخصوص القداس والقسيسين والشموع والكؤوس: «إن كل ذلك من عبادة الأصنام».

وجاء أيضاً أنه يجوز لليهودي أن يسكن مع الوثنيين ويستأجر منهم منزلاً، لأنهم لا يستحضرون أصنامهم إلا إذا مات أحدهم.

---

(١) انظر ما تقدم سابقاً.
(٢) انظر ما تقدم سابقاً.

كل الشعوب ما عدا اليهود وثنيون، وتعاليم الحاخامات مطابقة لذلك.
وقال الحاخام (رشي): «الناصري هو من يقبل تعاليم ذلك الرجل الذي أمر أصحابه بالاستراحة في أول يوم من الأسبوع».

وكتب (ميمانود) ما يأتي:

«المسيحيون الذين يتبعون أضاليل يسوع وثنيون، ويلزم معاملتهم كمعاملة باقي الوثنيين، ولو أنه يوجد فرق بين تعاليمهم».

وقال أيضاً: **«المسيحيون وثنيون، وأول يوم في الأسبوع عندهم يوم مقدس».**

وقال الحاخام (كمشي): **«إن أهل ألمانيا من الكنعانيين، لأن أهل كنعان هربوا أمام يشوع، وذهبوا إلى ألمانيا. ولذلك اسم الألمانيين الآن كنعانيون».**
ومن المعلوم أن الكنعانيين عند اليهود من أشرّ الوثنيين يدعون أيضاً أن المسيحيين وثنيون، لأنهم يجثون أمام الصليب. ويسمي التلمود المسيح **يهودياً مرتدّاً.**

وكتب (ميمانود) ما يأتي: **«يلزم أن يقتل الإنسان بيدهِ الكفرة، مثل يسوع الناصري وأتباعه، ويلقيهم في هاوية الهلاك».**

وجاء في التلمود الجديد: **«إن تعاليم يسوع كفر، وتلميذه يعقوب كافر، وأن الأناجيل كتب الكافرين».**

وقال الحاخام (أباربانيل): **«المسيحيون كافرون، لأنهم يعتقدون أن الله لهُ لحم ودم».**

وقال (ميمانود): **«الكافر هو الذي يعتقد أن الله تجسد».**

فينتج مما سلف أنهُ إذا ذكر في أحد كتب اليهود أو تعاليمهم الحاخامية أنهُ **مفروض على اليهودي قتل الكافر،** وأنهُ لهُ الحق في إهلاكه يكون المقصود من ذلك ليس خصوص الأمم السالفة، **بل المراد ما يعمها ويعم الأمم الموجودة**

الآن الخارجين عن مذهب اليهود.

عاشراً: «الحرمان»

سبب الحرمان ـ الحرمان على درجتين ـ نص الحرمان العظيم

كل هيئة اجتماعية مرتبة تحافظ على ترتيبها ونظامها، وتسن قوانين لمعاقبة من يخل بهذا النظام. فاليهود التلموديون سنُّوا أيضاً عقوبات لهذا الغرض أهمها الحرمان ـ وأسباب الحرمان هي:

أولاً: احتقار الحاخامات ولو بعد وفاتهم.

ثانياً: احتقار أقوالهم أو احتقار الشزيعة.

ثالثاً: التسبب في إبعاد الناس عن الطريق المستقيم، والمحافظة على الشرع.

رابعاً: مبيع الحقول والغيطان لغير يهودي.

خامساً: تأدية اليمين أمام محكمة غير يهودية ضد شخص يهودي.

وللحرمان ثلاث درجات: **الأولى** يسمونها (ندوى)، **والثانية** (شريما)، **والثالثة** غير مستعملة الآن فنضرب عنها صفحاً.

أما (الندوي) فنتيجتها انفراد المحروم عن مخالطة باقي الجماعة، ومعيشته منفصلاً عن باقي أبناء جنسه، لا يقرب أحد منهُ غير زوجتهِ وأولادهِ وأهل منزله على بعد أربعة أذرع منهُ. وفي مدة حرمانهِ محجور عليهِ أن يغتسل ويحلق.

وإذا اجتمع تسعة أشخاص لتأليف الجمعية المقدسة فلا يكون المحروم العاشر. وإذا وجد فيهم يلزمهُ أن يجلس بعيداً عن الباقين على مسافة أربعة أذرع. وإن توفي قبل انتهاء مدة عقوبتهِ يلزم أن يوضع على قبرهِ حجر، علامةً على أن الميت كان يستحق الرجم، لأنهُ مات بدون قصاص وهو محروم. وفي

هذه الحالة لا تحزن عليهِ أهلهُ، ولا يمشون خلف جنازتهِ، ولو كانوا من أخص أقاربه.

ومدة هذا الحرمان ثلاثون يوماً. فإذا تاب المجرم في خلال تلك المدة فبها، وإلا عاقبوه من ستين إلى تسعين يوماً.

فإذا لم ينفع ذلك لردعه يحرم بالحرمان الأكبر المسمى (شريما). ونتيجة هذا الحرمان أن يمنع المحروم من مخالطة الغير، ويمنع من التعليم والتعلم، والأكل والشرب مع أي شخص، ومحرم على أي شخص أن يؤدي لهُ خدمة، كما أنهُ يحرم عليهِ تأدية الخدمة لأي شخص. إنما مصرح مبيع الطعام لهُ ليس إلا لأجل أن لا يموت جوعاً.

ويلزم أن يصدر هذا الحرمان من عشرة أشخاص على الأقل، ويكون صدوره في محفل رسمي، بخلاف الأول فإنهُ يمكن صدوره من شخص واحد من العوام.

وعند عمل هذا الاحتفال يوقدون الشموع، ويبوّقون بالأبواق، ويلعنون المخطىء، ثم يطفئون الأنوار رمزاً إلى أن المجرم خرج عن الأنوار الإلهية.

وهاك نص الحرمان:

«بناء على حكم إلهنا إله الآلهة يحرم فلان بن فلان من المحكمتين: محكمة أول درجة، والمحكمة العليا، ومن القديسين والملائكة، ومن الجمعيات الكبيرة والصغيرة،

ويصاب بالقروح والأمراض الخبيثة كلها،
ويكون منزله مسكناً للجن،
ويكون نجمهُ مظلماً في السماء، ومن المغضوب عليهم،
ويطرح جسده للوحوش المفترسة وللثعابين،
ويفرح أعداؤه ومن يريد لهُ الشر،

وتعطى أمواله من الذهب والفضة لغيره، وتسقط تلك الأموال تحت سلطة العدوّ،

ويَلعن أولادُه حياتَه،

ويكون ملعوناً من فم (عيد بريرون) و (عشتاريال) و (صندلفون) وعزرائيل و (عنسيل) و (باشتيل) وإسرافيل،

و (سنجاسيل) وميخائيل وجبرائيل وروفائيل و (مسكارتيل)،

ويكون محروماً من فم (زفرا) و (هاهاقيل) الإله الأكبر، وفم العشرة أسماء المعظمة ثلاث مراتٍ، ومن فم (زرتاج) حامل الختم،

ويفرق مثل(كوريه) و (جيشه)،
وتخرج روحهُ من جسدهِ بخوف وجزع،
ويحكم عليهِ الله بالموت،
ويخنق مثل (اشيتوفيل)،
ويكون جزامهُ مثل جزام (جينري)،
ويسقط ولا يقوم،
ويُلفظ عن قبور بني إسرائيل،
وتعطى امرأته لغيرهِ، ويميل إليها آخرون بعد موته،
ويسقط هذا الحرمان على فلان بن فلان، ويكون من نصيبهِ.
أما أنا وبنو إسرائيل فيكون لنا بركة الله وسلامه. آمين.

ملحق

ـ إذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب، لأن الذي يخالف شريعة موسى خطيئته مغفورة أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل!!

ـ يجب على كل يهودي أن يلعن كل يوم النصارى ثلاث مرات، ويطلب من الله أن يبيدهم، ويفني ملوكهم وحكامهم. وعلى كهنة اليهود أن يصلوا ثلاث مرّات أيضاً في كنيسهم بغضاً للمسيح الناصري.

ـ أمر الله اليهود بنهب أموال المسيحيين وأخذها بأي طريقة كانت، سواء استعملوا الحيلة أو السرقة أو الربا.

ـ على اليهود أن يعتبروا المسيحيين حيوانات غير عاقلة، ويعاملوهم معاملة الحيوانات الدنيئة!!

ـ على اليهود أن لا يفعلوا مع الوثنيين لا خيراً ولا شرّاً. وأما مع النصارى فليسفكوا دمهم ويطهروا الأرض منهم[1]!

---

(١) تقدم أنه من الواجب على اليهودي قتل كل من ليس يهودياً سواء في ذلك النصارى وغيرهم.

تنبيــه

وجدنا هذه المنشورات في آخر كتاب شارل لوران فترجمناها وجعلناها ملحقاً لكتاب الدكتور روهلنج إتماماً للفائدة.

ـ حرام على اليهودي الخدمة عند الحاكم الوثني، وتغفر جريمته، وأما عند الحاكم المسيحي فغير جائزة أصلاً، وجريمته لا تغفر!!

ـ كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام، فيجب على اليهود تخريبها!!

أناجيل النصارى عين الضلال والنقص، ويلزم تسميتها بكتب الظلم والخطايا. ويجب على اليهود إحراقها ولو كان اسم الله فيها!!

ملامح يهودية أخرى

ولعب اليهود في الخفاء دوراً ضخماً لتحقيق أهدافهم لا يقلُّ عن الدور الذي لعبوة في العلانية، وقد اتسع نطاق هذا الدور فشمل التآمر، والاغتيال، وشمل التجسس، وإشعال الثورات، وغيرَها من ضروب الغدر، وفي هذا الباب سنذكر الخطوط العريضة لهذه الأحداث الجسام:

الإثارة وبثُّ الفتن:

يقرر الباحثون أن الدور الذي قام به اليهود في بثّ روح الثورة، وإنشاء الجمعيات السرية، وإثارة الحركات الهدامة، عظيم جداً ومؤكد جداً، فهم دعاة الثورة وقادة التقويض، وعنهم يقول الكاتب العظيم برنارد لازار: «اليهودي يضطرم بروح ثوري، وهو داعية للثورة سواء شعر بذلك أو لم يشعر» ومما يؤكد نسبة أكثر الحركات الهدامة السرية لليهود، أنه تظهر دائماً في هذه الحركات آثار التعاليم اليهودية الفلسفية(١).

ويعترف اليهود بذلك، فقد ورد في مجلة الجامعة الإسرائيلية نص خطير بهذا الشأن، اقتطفه Louis Daste ووضعه على غلاف كتاب عن (اليهود والجمعيات السرية) وفيما يلي هذا النص:

نصادف في كل التغييرات الفكرية الكبرى تقريباً عملاً يهودياً، سواء كان

(١) محمد عبد الله عنان: تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص ١١٦ ـ ١١٧ بتصرف.

ظاهراً واضحاً أو خفياً سرياً، وعلى هذا فإن التاريخ اليهودي يمتد بامتداد التاريخ العالمي بجميع مجالاته، حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس[١].

وقد رأينا من قبل أن كثيرين من اليهود لم يرحبوا بالفرصة التي أتاحها لهم قورش للعودة لفلسطين، وآثروا البقاء في فارس وفي أرض بابل لينعموا هناك بالغنى والجاه، وفي تلك المنطقة نفث اليهود سمومهم، ولما جاء الإسلام عاداه اليهود، ووقف كذلك في وجهه قادة الفرس وأمراؤهم، فكان ذلك فرصة لهؤلاء وأولئك ليتعاونوا للوقوف في وجه الإسلام وإثارة الشغب والفتن في الربوع الإسلامية، ومن هنا كانت فارس مركزاً متسعاً لكثير من الحركات الهدامة التي هبت في الماضي في وجه الإسلام، كالشيعة الغلاة أو الذين نسمِّيهم «مدَّعي التشيُّع» وكالقرامطة والبابية والبهائية.

وفي حالات كثيرة هاجر اليهود من فلسطين إلى أوربا، وحملوا معهم بُذور الدهاء للعمل في الخفاء، ويقرر علماء الغرب أن حركات الهدم التي اجتاحت أوربا واشتعلت بها مدى قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر للجهود السرِّية التي تأكَّد أن اليهود يبذلونها منذ ظهور النصرانية في سبيل هدم المسيحية انتقاماً لليهودية[٢].

ويرى بعض المفكرين المسلمين هذا الرأي فيما يتعلق بدعوات الهدم ضد الإسلام، ولا سيما دعوة عبد الله بن ميمون التي أسفرت عن انفجار أعظم حركات هدّامة عرفها الإسلام، فيقولون إن اليهود هم الذين نظّموا مصارعة الإسلام منذ ظهوره وحشدوا الدعاة لإفساد تعاليمه، وأن ميمون بن ديصان وولده عبد الله كانا يعملان على بث مبادئهما السرية في الإلحاد والهدم بتحريضٍ وتعضيدٍ من الدعاة اليهود[٣].

---

(١) مجلة الجامعة الإسرائيلية ٢٦، يوليو سنة ١٩٠٧ ص ٥٨٥ و اليهود والجمعيات السرية» تأليف Louis Daste (صفحة الغلاف الأمامية).

(٢) المرجع السابق ص ٧١.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٢، ص ٩.

ومما يذكره التاريخ من محاولات الإثارة والهدم ما قام به اليهود في المدينة إذ عمدوا إلى محاولة إحياء الأحقاد والضغائن الكامنة في نفوس الأوس والخزرج وقد ظهرت لهم بوادر النجاح لولا أن تداركت عين الله مجتمع المسلمين، فتدخل الرسول وأعاد للقوم رشدهم ونزل قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين﴾[١].

وعمد اليهود كذلك إلى التشكيك وإثارة الشبهات ليُضعفوا الإيمان في نفوس المسلمين وليزعزعوا ثقتهم في الإسلام، وقد نزل فيهم قوله تعالى: **﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾**[٢]، وقوله: **﴿ودَّت طائفة من أهل انكتاب لو يُضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون، يا أهل الكتاب لمَ تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون؟ يا أهل الكتاب لم تَلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾**[٣].

ويسير يهود اليوم على نهج أسلافهم في التشكيك، ومن أبشع ما عمدوا إليه في ذلك تحريف المصحف ومحاولة نشره محرّفاً، وكذلك تحريف السنة المحمدية، ولولا أن فطن المسلمون لذلك لأمكن أن يكون لهذا الفعل نتائج بالغة الغاية في السوء.

ويربط بعض الباحثين معظم الثورات الكبرى في العالم باليهود، فأنَّى عاش اليهود وُجدت الإثارة فالثورة، حصل ذلك في الشرق والغرب على السواء، ورأيناه أحياناً يتم باسم الرأسمالية لتضرب الحركات الشيوعية، وباسم الشيوعية لتضرب الاتجاهات الرأسمالية، فهدف اليهود الثورة والتدمير على كل حال، تدمير هذا الاتجاه وذاك الاتجاه حتى أن الانقسامات المذهبية في

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٠.

(٢) سورة البقرة، آية ١٠٩.

(٣) سورة آل عمران، الآيات ٦٩ ـ ٧١.

المسيحية ما هي إلاّ دساس يهودية نجحت في زرع الشقاق.

تلك لمحة سريعة عن دور اليهود في الإثارة وبثٍّ الفتن وتسميم الأفكار، ونضيف إلى ذلك أن اليهود لم يكتفوا بالأفكار يسمّمونها، بل عمدوا إلى تسميم الأجسام ما وسعتهم الحيلة، وقد عَرَفَ تاريخهم تسميم الآبار، ولا يستبعد المفكرون أن يضع اليهود مقادير ضئيلة من المواد التي تضر بالصحة في الأدوية والمشروبات الروحية، بل في الدقيق ومنتجاته وغيرها من المواد التي يصدّرونها بطريق مباشر أو غير مباشر للشعوب غير الصديقة إن لم يكن للشعوب جميعاً.

خلف وسائل الإعلام:

قلنا عند الحديث عن «بروتوكولات حكماء صهيون» إن اليهود يهتمون بالسيطرة على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام، حتى لا يتسرب إلى الرأي العام العالمي إلا ما يريده اليهود، وقد استطاع اليهود أن يحققوا هذا الهدف إلى حد كبير، فقد ثبت في الإحصاء الذي أجري سنة ١٩٥٦ الخاص بالصحافة، أن اليهود يُصْدِرون ٨١٩ صحيفة ومجلة بمختلف اللغات وفي مختلف الأقطار. وهو عدد يمثِّل الأغلبية العظمى من صحف العالم ومجلاته. ولليهود مثل هذا التفوق في وسائل الإعلام الأخرى كدور النشر، ووكالات الأنباء، بل في السينما والإذاعة والتليفزيون في معظم بلاد العالم، ويسيطر اليهود على الصحافة والنشر بطريق آخر هو طريق احتكار تجارة الورق، فهم يقبضون أيديهم ويبسطونها حسب استجابة الصحافة لأغراضهم، ويتسرب بعض الكتّاب من أتباعهم إلى الصحف التي لا تخضع لهم تمام الخضوع، وإذا حدث أنَّ صحفياً عُرِف بمعارضة اتجاهاتهم وضعوا العراقيل أمامه حتى يفقد وظيفته أو يخضع لاتجاهاتهم.

فاحتكار اليهود متكامل الحلقات، فهم يسعون إلى احتكار ما يسيطر على معدة الإنسان، ويسعون كذلك إلى احتكار ما يسيطر على عقله وعواطفه، لذلك كان احتكار الصحافة وشركات الأنباء ودور النشر من الخطوات الأساسية في

هذا السبيل، فعن طريق هذه الوسائل ينشر اليهود ما يناسب صالحهم ويمنعون من النشر كل ما يعارض ذلك الصالح[1].

ويقول اليهود بصلف وكبرياء:

- إن الصحافة قد انتهت إلى الوقوع تحت سيطرتنا عدا شواذ قليلة منها يمكن تجاهلها بارتياح.

- اكتسبنا عن طريق الصحافة قوى ذات نفوذ في الوقت الذي احتجبنا فيه وراء الظلال.

- لقد سيطرنا على وكالات الأنباء المهمة في العالم، فلن يصل إعلان واحد للجمهور دون رقابتنا وسننشر ما نريد نشره لصالحنا، ولن ننشر ما يتعارض مع اتجاهنا وآمالنا[2].

ومن الوسائل التي يختفي خلفها اليهود نجوم السينما والمسرح والفنانون بوجه عام، ويستطيع اليهود عن طريقهم، أن يقدموا للعالم أفلاماً وروايات بها بذور صهيونية وحقائق مسمومة يتلقاها المشاهدون وهم في غمرة البهجة، فتصل إلى عقول الكثيرين منهم دون مقاومة تذكر.

التجسس:

كان التجسس ولا يزال وسيلة مهمة لليهود، يحصلون عن طريقه على أسرار الدول والجماعات ليستغلوا هذه الأسرار في خدمة مصالحهم، وفي إيقاف تطور أعدائهم أو تدمير هذا التطور، فقد عرفت المسيحية منذ عهدها المبكر، تجسس اليهود على قادتها وعلى أفكارها، وكان من بين الحواريين مَنْ عمل جاسوساً لحساب اليهود، فقد ذكرت الأناجيل الأربعة أن يهوذا

(١) دكتور محمد عبد المعز نصر: الصهيونية في المجال الدولي ص ٨٤.
(٢) جون سكوت: الحكومة السرية في بريطانيا ص ٨٠.

الإسخريوطي عمل جاسوساً لليهود وساومهم على تسليم المسيح ابن الله نظير ثلاثين من الفضة، ولما قبضها قاد جماعة من اليهود للقبض على المسيح حيث كان مختفياً، وقد جاء في إنجيل متَّى عن ذلك ما يلي: حينئذٍ ذهب واحد من الإثني عشر الذي يدعى يهوذا الإسخريوطي إلى رؤساء الكهنة، وقال: ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه[1]...

وبعد مدة اصطحب جمْعاً معهم سيوف وعصي من قبل رؤساء الكهنة، وسار إلى حيث كان يختبىء عيسى واتفق مع هؤلاء وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه[2].

وفي مطلع الإسلام اتخذ اليهود التجسس وسيلتهم لينالوا من الإسلام، فقد ادعى بعض اليهود دخول الإسلام. ولكنهم كانوا في حقيقة الأمر منافقين، ومن هؤلاء داعس، وسعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، ورافع بن حريملة وغيرهم، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام عن رافع يوم مات «اليوم مات منافق عظيم» وكان هؤلاء يتخذون المسجد وحلقات العلم مجلساً لهم ليتسقطوا أخبار المسلمين. وليطَّلعوا على تنظيماتهم، لينقلوا ذلك إلى اليهود وإلى حلفائهم المشركين، ولكن المسلمين شكّوا في تهجدهم وفي افتعالهم التقوى، فراقبوهم حتى ظهر منهم ما ينقل هذا الشك إلى اليقين، فانقضَّ المسلمون عليهم وأخرجوهم من المساجد معلنين للملأ نفاقهم[3].

وظل التجسس دأبهم في كل قطر أقاموا به، كانوا جواسيس الحلفاء في ألمانيا، وكانوا جواسيس الغرب في روسيا، وهم لا يزالون حتى الآن يزاولون حرفة التجسس في كل مكان نزلوا فيه، ففي كندا اكتُشفت حلقة تجسس خطيرة

---

(١) الإصحاح ٢٦: ١٤ ـ ١٦.
(٢) الإصحاح نفسه: ٤٨ ـ ٢٠.
(٣) ابن هشام جـ ٢ ص ١٦ وما بعدها، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي جـ ٦ ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

سنة ١٩٤٥ كان اليهود يتزعمونها، وكان من بين الجواسيس عضو في البرلمان الكندي وأستاذ في جامعة ماك دل[1].

أما تجسس اليهود في البلاد العربية، فلا تنقطع خيوطه وهو يسير على أشده، وتتوالى حلقاته، ويشترك فيها الرجال، والنساء الحسان، ويدرَّب الجواسيس تدريباً كاملاً على استعمال الأجهزة والآلات الخاصة بالاستقبال والإرسال، وكذلك على فنون التصوير والكتابة غير المرئية، وإعادة الكتابة إلى الرؤية، واستعمال المتفجرات وإرسالها داخل مظاريف، وغير ذلك من الفنون، والجواسيس على صلة وثيقة بمراكز التجسس بإيطاليا وغيرها من أوربا، وقد استطاع الجواسيس أحياناً أن يضللوا بعض مرضى النفوس من الشعب العربي ليعاونوهم وليُمدوهم بما تحت أيديهم من أسرارٍ ليبعث بها الجواسيس إلى إسرائيل، وهذه الكلمات تكتب بضاحية المعادي ودماء الأبرياء تسيل بهذه الضاحية نتيجة لمظروفٍ انفجر في وجه عاملٍ في مكتب البريد، فشوَّه وجهه وأفقده البصر إلى الأبد، وقد انكشف أمر الجاسوس الألماني اليهودي الذي ارتكب هذه الفعلة النكراء، وقد اعترف الجاسوس الأثيم كمااعترف سواه قبله بما ارتكبوا من آثام. وإذا تعذّر عليهم القيام بأنفسهم أوجدوا لهم عملاء يحسنون التفجير والتدمير دون شفقة ضاربين بكل القيم وبالإنسان كينونة وقيمة، عرض الحائط غير مبالين بشيء، همّهم حصد أكبر عدد ممكن من الأبرياء.

التستر خلف أديان أخرى:

قلنا في السطور السابقة إن بعض اليهود تظاهروا بالدخول في بعض الأديان ليتمكنوا من التقاط أخبار أتباعها، والتعرف إلى خططهم لينقلوها إلى اليهود، ونحن الآن نتكلم على طريق آخر من طرق استغلال اليهود للأديان ذلك هو التظاهر بالدخول في دين ـ لا لينقلوا الأخبار ـ بل ليعملوا وهم في ظل الدين الجديد ما يخدم أغراض دينهم الأصيل وهو اليهودية، وتبعاً لهذا المبدأ

(١) Franit Briton: Behind Communism pp. 145-146.

دخل اليهود أكثر الديانات المعروفة، دخلوا البوذية والمسيحية والإسلام وهي الأديان الثلاثة الغالبة في العالم من حيث العدد ومن حيث المكانة، وأخذوا يعملون لصالح اليهود، ففي نطاق البوذية أبرزت التجارب أن عدداً ممن يعتنقونها من رجال الشرق الأقصى يعملون لصالح «إسرائيل» بنفس الإخلاص والحماسة التي يعمل بها أي يهودي، وقد أخبرني بعض الأصدقاء أن بعض سفارات هذه البلاد بأندونيسيا تخدم قضية إسرائيل بنشاط بالغ الحد.

وقد استطاع كثير من هؤلاء البوذيين ذوي الدم اليهودي أن يصلوا إلى أرقى المناصب الدينية والمدنية، حتى أوشكت الكهانة أن تكون وقفاً عليهم.

وإذا ذهبنا إلى المسيحية وقفنا على الانقسامات التي عصفت بالمسيحية؛ فراح البعض ينكر على المسيح ألوهيته وراح البعض ينادي بالطبيعة الواحدة وراح البعض يشكك بتولية العذراء مريم كل ذلك بفعل اليهود الذين تظاهروا بالدخول في المسيحية ليحاربوها من الداخل بسلاح الهدم والتدمير.

أما في الإسلام فيصادفنا عدد من اليهود دخلوه ليدمِّروه وفي القمة من هؤلاء عبد الله بن سبأ وهو الشخص الذي نقل الثورة ضد عثمان من الكلام إلى العمل وقد قلتُ عنه في مكان آخر إنه لم يكن مخلصاً في حركته، وكان يهودياً ادَّعى أنه دخل الإسلام، ولم يكن يضمر للإسلام ولا للمسلمين خيراً، فانتهز فرصة صور من النقد وُجِّهت لسياسة عثمان، وأشعل الفتنة وأنزل بالعالم الإسلامي ناراً ظلت متأججة عشرات السنين، أو مئات السنين، وبالإضافة إلى موقفه ضد عثمان، ذلك الموقف الذي انتهى بقتل الخليفة، تجده يدفع بنظريات فارسية يحشرها حشراً في الفكر الإسلامي، فهو الذي نشر مذهب الوصاية، ووضع الأحاديث ليدعم بها رأيه، كما أشاع نظرية الحق الإلهي. وغير ذلك مما يجعله بحق زعيم الفتن السياسية والدينية في الإسلام[1].

ولا تزال هذه حال اليهود حتى العهد الحاضر، يدفعون ببعض أسرهم أو

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٣٢٦.

ببعض أفرادهم ليدخلوا هذا الدين أو ذاك، ويغيِّر هؤلاء أسماءهم وينتقلون من بلد إلى بلد، ويتعمقون في دراسة الدين الجديد، ويأتي وقت عليهم لا يعرف الناس حولهم عن ماضيهم شيئاً، وحينئذ يحاول هؤلاء أن يخدموا اليهودية دون أن يكونوا موضع اتهام[1]، ويعتقد بعض الباحثين أن عدداً من الكرادلة في الفاتيكان ينحدر من أصل يهودي، وقد دفعتهم الأغراض اليهودية لاتخاذ بعض قراراتهم، كقرار تبرئة اليهود من دم المسيح، ومثل هذا يقال عن الدوافع التي ألغت في ديسمبر ١٩٩١ القرار الذي كانت الجمعية العمومية الدولية قد اتَّخذته بمساواة الصهيونية بالعنصرية.

ومن أبرز اليهود الذين اعتنقوا المسيحية في العصر الحديث دزرائيلي الذي ولد في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٤ ـ ١٨٨١)، من أب يهودي وأم يهودية، وقد بدت عليه علامات النجابة والنبوغ منذ صباه، فلما مات أبوه سنة ١٨١٦ رئي أن يدخل الصبيّ المسيحية فعمد في كنيسة في إنجلترا سنة ١٨١٧، وأتاح له هذا أن يتغلغل في المجتمع الإنجليزي ويصبح نجماً لامعاً، وفي سنة ١٨٣٧ دخل البرلمان الإنجليزي، وفي سنة ١٨٤٧ أصبح زعيماً لحزب المحافظين، وفي سنة ١٨٧٤ أصبح رئيساً لمجلس الوزراء ست سنوات، وينسب له أنه أقدمُ مَنْ عمل لإقامة إسرائيل في العصر الحديث، فقد اشترى لأنجلترا نصيب مصر من أسهم قناة السويس، فثبت بذلك أقدام بلاده لتحرس الوطن الذي كان قد فكر في إقامته لبني دينه، ثم خطا خطوة أخرى لخدمة اليهود، فساعد بعض المسيحيين أو اليهود الذين دخلوا المسيحية على شراء بعض ضياع في فلسطين، فخطَّ بذلك الخط الأول لإقامة وطن قومي لليهود بهذه البقعة المقدسة.

---

(١) انظر البروتوكول التاسع من بروتوكوات حكماء صهيون وانظر هامشي المترجم. ص ١٦١ و ١٦٦.

التآمر والاغتيال:

التآمر والاغتيال طبيعة في اليهود لم تتخلف في كل عصورهم، وقد شهدناها ضد يوسف من إخوته، وتحدث القرآن الكريم عن هذه الطبيعة في اليهود فذكر أنهم «كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون»[١].

وعندما جاءت المسيحية اتجه التآمر والاغتيال تجاه الجماعة الجديدة، وكان المسيح نفسه ـ في رأيهم ـ ضحية من ضحايا اليهود، وقد نزل بكثيرين من أتباعه في عهده وبعده مثلُ ما نزل به، فقد جاء في كتاب «سدر حادوروث» ما يلي:

الحاخام الرباني يهوذا كان محبوباً لدى الإمبراطور الروماني، فذكر له عن الناصريين أنهم سبب وجود الأمراض المعدية، وبناء على ذلك حصل على الأمر بقتل كل هؤلاء الناصريين، الذين كانوا يسكنون روما في فترة تعادل تقريباً سنة ١٥٥ م، وجاء في الكتاب نفسه بعد هذه العبارة أن الإمبراطور «مارك أوريل» قتل جميع الناصريين بناء على إيعاز اليهود، وفي كتاب سفر يوكاسين أنه في زمن البابا «أكليمان» قتل اليهود في روما وخارجها جملة من النصارى كرمال البحر، وكان اليهود محبوبين عند الأمبراطور نيرون[٢]، ويبدو أنه بإيعازهم ألقى نيرون المسيحيين للوحوش الضارية، تنهش أجسامهم، وأمر فطليت أجسام بعضهم بالقار، وأشعلت لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التي كان يقيمها في حدائق قصره[٣].

وجاء الإسلام فبدأ تآمر اليهود مبكراً ضد هذا الدين، فلقد حاولوا اغتيال محمد ﷺ بعدة طرق، كان منها أن وضعت امرأة يهودية له السم في طعام دعته

(١) سورة المائدة، الآية ٧.
(٢) نقلاً عن الكنز المرصود ص ٧٠.
(٣) انظر: زكي شنودة: تاريخ الأقباط ص ١٠١.

إليه، وذهب مرة إلى مساكن بني النضير يطلب منهم ـ بناء على المعاهدة التي كانت بينه وبينهم ـ أن يسهموا مع المسلمين في دفع دية التزموا بها، فتظاهر اليهود بحسن استقباله، وقالوا له: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، وطلبوا منه الجلوس ريثما يدبرون المال الذي طلبه، وذهب اليهود لا ليجمعوا المال من بينهم بل ليدبِّروا حيلة للقضاء على محمد، ولكن الله أوحى له بأن اليهود يأتمرون به ليقتلوه، فانسحب في صمت، وكان عقاب بني النضير أن أخرجوا من المدينة.

ولم يكفّ اليهود عن تدبير المؤامرات، فراحوا يدبرون مؤامرة أوسع وأقسى، يريدون بها القضاء على الإسلام والمسلمين وكان ذلك في غزوة الأحزاب، عندما تجمعت قوى الشر وحاصرت المدينة، فاتصل يهود بني النضير الذين هاجموا المدينة مع المهاجرين، بيهود بني قريظة الذين كانوا لم يزالوا بالمدينة، ودُبرت مؤامرة من أعنف المؤامرات، ليضرب بنو قريظة المسلمين من الخلف ليوقعوهم بين شقي الرحى، واستجاب يهود بني قريظة لهذا الغدر الذي أوقع المسلمين في حالة من الذعر والقلق يصورها القرآن الكريم أدق تصوير حين يقول: **﴿إذ جاءوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾**[1] ولكن الله نجى المسلمين من هذا الطغيان ورد الذين كفروا على أعقابهم[2].

واشترك اليهود في قتل عمر وعثمان وعلي، وفي كل حركات الاغتيال التي حدثت في العالم الإسلامي أو أكثرها[3].

وظلت هذه خطة اليهود في جميع مراحل التاريخ، حتى في أزهى عصور

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ١٠ ـ ١١.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي جـ ١ ص ١٦١ ـ ١٧٦ من الطبعة الرابعة عشرة.

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٦ ـ ٢٧٩.

المدنية التي حرَّمت دم الإنسان وحمت رأيه واتجاهه، ولكن الغدر والاغتيال كانا دستور اليهود فلم يحيدوا عنه، قاموا به في روسيا، ونفّذوه ضد الإنجليز في فلسطين وقاموا به في ألمانيا وأمريكا، وكان نصيب العرب منه نصيباً واسعاً.

ففي روسيا ظهر في بداية القرن العشرين منظمة من أبرز منظمات الإرهاب التي سجلها التاريخ أطلقت على نفسها «الحزب الاشتراكي الثوري» وكان اليهود يسيطرون على هذه المنظمة وكان بالمنظمة قسم للإرهاب يرأسه يهودي اسمه «غرشوني» وهذا القسم هو الذي اغتال ستة من كبار الزعماء بروسيا، وقد حوكم أعضاء هذا القسم وثبت عليهم الاغتيال فأعدم بعضهم، وحكم على آخرين بالسجن المؤبد[١].

ونال الألمان نصيباً وافياً من اغتيال المنظمات الإرهابية اليهودية، فاليهود تارة يهاجمونهم في الطرقات فيقتلونهم أو يخطفونهم، وتارة يرسلون لهم المواد المتفجرة، وبخاصة لأولئك الذين عملوا وتعاقدوا على العمل مع البلدان العربية.

وقد قامت «جماعة ستيرن» باغتيال اللورد موين «Moyne»، الذي كان وزيراً بريطانياً مقيماً بالقاهرة، لاعتقادهم أنه ـ إبان كان وزيراً للمستعمرات ـ قام بتضييق أبواب الهجرة إلى فلسطين في وجه اليهود[٢].

وفي سنة ١٩٤٨ أطلق اليهود على الكونت برنادوت وسيط هيئة الأمم اثنتي عشرة رصاصة في أثناء وجوده بالسيارة التي كان يستقلها بالقدس فمات على الفور مع أحد مساعديه الفرنسيين، وكان كل ذلك لأنه أعرب عن رأيه بأن العدالة تقضي بإعادة النقب للعرب[٣].

وليس الرئيس الأمريكي الراحل كيندي إلا ضحية من ضحاياهم، ومن

---

(١) Franit Briton: Behid Communism p. 44.

(٢) Kirk. A Short History of the Middle East p. 323.

(٣) John Scott: The Secret Goverment in Britain p. 56.

العجيب أن التحقيق كان يسير في هذا الاتجاه وذاك، حتى إذا أوشك أن يلتف حول اليهود عاد أدراجه فانفضّ عنهم، لا لشيء إلا لأن الاغتيال كان جزاءً محدداً لكل من يُثْبِت هذه الجريمة على اليهود، ولم يكن ذنب كيندي إلا أنه أيَّد العدالة في قضية التفرقة العنصرية في أمريكا.

ومن الاغتيالات التي حدثت بمصر، ذلك الطرد المملوء بالمتفجرات الذي أرسله اليهود في مارس سنة ١٩٦٣ فقضى على ستة من العلماء المصريين في أحد مراكز البحوث العربية.

وفي العراق ضبط البوليس سنة ١٩٥١ كميات كبيرة من الأسلحة والمواد المتفجرة مخبأةً في كنيس يهودي يدعى كنيس عزرا، وكانت هذه الكميات كافية لنسف بغداد كلها، كما أن البوليس اكتشف في منزل أحد الأثرياء اليهود مخبأً متسعاً يضيق بما فيه من مدافع رشاشة[1].

هذه صورة سريعة لمظهر التآمر والاغتيال عند اليهود لم نقصد بها إلاّ الإشارة الخفيفة، فإن إحصاء هذه الأحداث يفوق العدّ.

جمعيات سرية:

الجمعيات السرية الخطرة كانت ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم والوصول إلى هدفهم، وقد ينشىء اليهود جمعيات لهذا الغرض، أو يوعزون بإنشائها، وقد يجد اليهود جمعيات قامت لغرض أو لآخر فيندسُّون فيها، وينفثون فيها سمومهم، ويوجهون أتباعها وجهتهم التي يريدونها، ولا تكاد توجد جمعية ذات أسرار وأخطار إلا كان اليهود يعيشون فيها خلف الستار، والمراجع العديدة التي اعتمدنا عليها في هذا الباب توحي بأن اليهود كانوا خلف الحركات التي هبت في وجه المسيحية والإسلام، فقد كانوا خلف جمعية فرسان المعبد، وجمعية الصليب الوردي وغيرهما من

---

(١) جون بتي: الستار الصهيوني حول أمريكا ص ١٤٦ (الترجمة العربية).

الجمعيات التي وجهت نشاطها للنيل من المسيحية، وكانوا خلف القرامطة، وغلاة الشيعة وغيرهما من الجمعيات التي ناصبت المسلمين العداء رغبةَ النيلِ من الإسلام وفي مكان آخر لم أقبل تعبير «غلاة الشيعة» وقلت إن هؤلاء ليسوا شيعة وليسوا مسلمين، وإنما هم جماعة من أعداء الإسلام تظاهروا بالدخول فيه وتظاهروا بالتشيع، فجعلوا من اسم الشيعة ستاراً لهم، ونسجوا خلفه ألواناً من الترهات والأباطيل بقصد الكيد للإسلام والمسلمين وأسميتهم «مدعى التشيع»[1].

وإذا تركنا الماضي وعُنينا بالحاضر وجدنا اليهود خلف كثير من الجمعيات السرية الموجودة الآن: كالماسونية ـ والروتاري ـ والليونز ـ آليوجا ـ منظمة شهود يهوه[2].

لا حاجة بنا إلى تفصيلها فتعاليمها منشورة ومعروفة بأنها تصبّ في هدف واحد نحو الصهيونية العالمية. ونتحدث عن بعض الجمعيات غير المعروفة كالكبّالية.

الكبالية:

تعني الكبالية بالعربية: «الأحاديث المنقولة». تؤمن إيماناً عميقاً بالله يهوه وبالعلاقة المباشرة به، والموجودات المرئية والغامضة منبثقة، من قدرته الخلاّقة. وما تركيب الخليقة إلا ومْضاً من أُلوهته. «ب. سبينوزا B. Spinoza» تؤمن هذه العقيدة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى. يشارك هؤلاء الرأي الفيلسوف سبينوزا، قائلاً باستحالة كشف تناهي جلالته، بالمنطق السليم، بل في «البصيرة» وفي الأسرار العميقة الجذور، إذ كل غموض روحي يتعدى كل الفلسفة.

إنها عقيدة يهودية غامضة، توغل في ما بعد الطبيعة، عريقة في القدم،

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي جـ ٢ ص ١٥١ من الطبعة الثامنة.
(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٢٠ ـ ٢٣٥.

قدم الإنسان على الأرض، تعتقد بأن الشريعة التي تسلمها موسى، انتقلت منه ليوشع، فالأنبياء، حيث غرسها هؤلاء بذوراً روحانية الجنى، في صدور الشيوخ الحكماء. تضمّ الكبالية: التراجم الباطنية للإسرائيليين. وما الكبَّال في حقيقته إلا الكشف اللفظي الذي تلقَّاه موسى وحده بعد الشريعة المخطوطة، من ربه يهوه. إنه المعنى الصحيح لكل مفاهيم ورموز التوراة.

اعتبروا مجد الله متمثلاً في عرش، تحدَّث عنه (حزقيال) وهو خفي داخل «ستاركونيٍّ» خبيءٍ، كأنما هو: «المايا» ذات القدرة المتناهية. للوصول إلى هذا العرش، يجب اختراق سبع غرف في القصور السبعة المقدسة، ولهذه الغرف أثر عميق في المستوى الذي بلغه الفرد من الطهارة.

آمن الكبَّال بأن سفر الجزيرة (Yetsirah) يشرحُ خلق العالم بواسطة اثنين وثلاثين طريقة، منها عشرة أسفار (Sephiroth) وإثنان وعشرون حرفاً. كلها تمثلِ أسماء الألوهة، وقدرتها هذه الـ (Sephiroth) كأنما هي شجرة ذات ثلاثة فروع، مقطوعة في الفضاء، البعيد، وهي مقلوبة الوضع، جذورها في السماء، وأغصانها تشمل الأرض، كالندى البَليل الأقدس.

الفرع الأول هو الرحمة والغفران، والثاني: القسوة والعدالة، والوسط منها يماثل شجرة آدم في الجنة، وهي محور العالم حيث يقوم إنجاز الخليقة.

إن الاتحاد بالألوهة (Deuckuth) هدف للكبّال. وقد استطاعت هذه العقيدة الباطنية أن تجتاح معاقل المسيحية الأولى، ثم المُعاصرة، بعض الشيء، وأن تتغلغل في عقائد فارس واليونان، كما يتضح من الفصول المعنية بها.

تهدف الكبالية إلى معارف باطنية، تعدت الإدراك، بواسطة التأمل والإشراق. (الكتاب المقدس ص ٩٠) وهذا التأمل هو اتحاد باطني بين إرادة الإنسان والله.

تمتد حياة الكبال بين القرن الأول قبل المسيح حتى القرن العاشر بعده. هي عرفانية التوراة والتلمود.

المركبًا:

تناول المركبا أنبياء الرؤى، ولم يهتدِ إلى تعريف واضح إليها إلا المؤرخ (شوراقي Chouraqui) حين قال: «إنها البرج السماوي المنتصب في أقصى السماء السابعة، تحدث عنه «أخنوخ»: إنه «عرش الله». هذا التيار الباطني اليهودي الذي تشتمل عليه «المركبا» هو أبعد ما ارتسم بخاطر يوحنا المعمدان وحزقيال في رؤاهما.

يضيف المرجع: «لا يكفي التأمل المركَّز على طبيعة الله، في حال الذهول، بل في عمق التحسس في تجليه على «المركبا» حيث محجة الفلسفة العرفانية.

العرفانية:

عرّف هذه الفلسفة (Gnose) الروحيُّ الكبير (لايْزغانْغ Leisegang) فقال: «هي معرفة الحقيقة التي تتعدى الأحاسيس في مرآها الأزل الغامض، وإنها وثيقة الصلة بالوحدة الإلهية وبالأرواح والملائكة».

هذه العرفانية التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني والثالث بعد المسيح، تفرّق بين الله المجهول والقريب والصالح، وبين الخالق الذي وحَّدته اليهودية في إله إسرائيل.

بهذا المدلول، عرَّف المؤرخ (شوراقي) العرفانيّة. وإني أراه تعريفاً لحقيقة تاريخ التوحيد في العالم. فالبدائيون نزلوا الكهوف والأدغال، الذين عرفهم كبار رجال التاريخ بأنهم كانوا يتحسسون القوة الخفية الخلّاقة وأن «أتون» مصر، وهرمس، وأخناتون، كلهم نادوا بوحدانية الخالق، وعظيم قدرته، وكانت أناشيدهم الدليل الحق على تفهمهم كُنه العرفانية هذه. وهل كان الأسينيون والمسيحيون الأوائل، إلا من هذا الرعيل الميمون؟ حين تزايد وعي

الإنسان، ولم تَعُدِ الفطرة وحدَها هي المالك لزمام أهوائه وأفكاره، برزت العرفانية بمضمونها، دون أن تلبس أي مدلول لها. أليست رؤى الأنبياء القدامى زبدة العرفانية؟؟

ولنسمع لهؤلاء العرفانيين، «الكبّال» رأيهم في الخالق والخلق والأنبياء:

الخالـق:

قال أحد حكمائهم: «الله هو الحقيقة عينها، أما الحقيقة فليست هي الله. إنه متعال غير مجسد، يتعدى جوهره الإدراك البشري، جوهره متماسك بالعالم. أليس هو القائل: «إن النفس التي تطير على أجنحة الملائكة، (النفس الخيرة) قادرة على المضي بين أشداق السباع، وملءٍ الأفاعي الرقطاء دونما أذيةٍ ولا خوف.

الخَلـق:

كان اعتماد «الكبال» في النظرة إلى بدء الخلق، على سفر الظُهور (Zahar) الذي يقول، أن الله أول ما خلق: «المدى»، تتوسطه شرارة أولية لها شكل «نقطة». منها تفجر الضياء الذي حوى مادة العالم. وفي تأويل لسفر الظهور، يوضح أن المسيح هو مؤسس العالم الحالي، وليس الأول. إذ قد سبق عوالم وعوالم كان يحكمها ملوك «أدوم Edom) واضمحلوا. والعالم الأول مركب من أنغام وحروف ذات طابع إلهي، ما كانت هناك مادة ما. تشكل العالم من (٤٤) حرفاً ازدان بها اسمه المقدس. وتشكلت من الأحرف أكاليل في الجهات الأربع، تركَّز عليها العالم، كالحلقة من الخاتم.

هذه اللفتة إلى عوالم سبقت عالمنا الحاضر، اعترف بها الباطن الإسماعيلي، كما ألمحَ إلى إمكانية ذلك العالم «أينشتين» في كتابه (النسبيّة). فالكباليةُ هي السابقة إلى هذه اللفتة.

وما دمنا مع بدء الخلق فلنتعرف إلى مولد البشرية في هذا المعتقد العرفاني:

أثبت سفر الظهور (I ٢٣٣ b) ما يتقدم: تهبط الأرواح من الحديقة العليا (السماء) إلى السفلى مقرّ «آدم»، ثم من هناك تتابع هبوطها حتى الأرض. أثناء الحمل تتلبس الروح شكلاً أثيرياً سابحاً فوق أجساد ذويه.

المسيـح:

هو ابن داود، قدومه يبشّر بالخلاص. وهو أول ما خلقه الله من موجودات ورفع ملائكته. إذاً فالمسيح ليس ابن الله، بل أقرب الخلق إليه، وأحبهم له وأصفاهم وأولاهم. إنه الصادق الحي مؤسس العالم.

الملائكـة:

للملائكة دور خطير جداً، في عقيدة الكبّال. هم أرواح إلهية تلبّست أجساداً بشرية. أعظم الملائكة ثلاثة، قدموا لإبراهيم وبشّروه بمولوده إسحاق، والرابع الذي هبط وأنقذ «هاجر» من ضياعها في كبد الصحراء، والخامس الذي بدا لـ «يعقوب» وأنجده للحصول على بركات الله.

أمّا تقدمة القربان لله، فتجعل تماساً مباشراً به. وقد تحدثت عنه معظم الأسفار.

الأسفـار:

أعظم الأسفار في عرف «الكبال» هي سفر الخروج وسفر الأسفار. مُستقى مُعظم العقيدة. يتخذون من النور ظاهرة مقدسة، إذ تلتمع القوى العاقلة في الإنسان كما يتألق البهاء في السماء (حزقيال): (٢ ـ VIII) وسفر (الجزيرة) هو كتاب الخلق، يسوق النفوس للتمتع برؤية «المركْبا» (العرش الإلهي) أما (الظهور) فهو كتاب البهاء، ملتقى الروحانيات في الأديان السماوية.

النجـوم:

تقول العقيدة معتمدة على (الظهور Zohar): إن للأجرام السماوية تأثيراً مباشراً على الإنسان. لكل نجم تأثير على عُضو. النجم «زُحل» يؤثر على

الطحال، والمشتري على الكبد، والمريخ على الصفراء. وبما أن هذا التأثير ينجم عنه التزوير والكفر والقتل، نجد التوراة تعتبرهُ شرّ الطوالع.

عرفنا من مضمون العقيدة أثر النجوم في الأجسام، ولم يذكروا لها أثراً في النفوس، ذلك دليل على عدم تأثيرها فيها.

النفوس: (الأرواح):

أشرنا إلى حلول النفس في جسد الوليد، بعد أن تكون شكلاً أثيرياً في فضاء العائلة. عمرها على الأرض محدود، لكن مصيرها إلى أين؟؟ قال الـ (الظُهور): إنها تصعد خلال أبراج الملائكة، لكي تعود إلى مستقرها الآلهي، في ذلك الصفاء المتناهي. وقد يحدث للنفس، هذا التصاعد من غير أن يموت المرء، وذلك في حال الانجذاب والانخطاف «الصوفي العرفاني». يتم صعود النفوس في مراحل حتى السماء السابعة، حيث عرش المجد «المركبا». ولكن لا يتسنّى لها هذا الصعود إلا بعد اكتمال صفائها، وتطهيرها من أدران المادة. إذ هناك عقيدة تنافي التلمود. اعتنقها بعضهم، عن طريق الشرق القديم، وهي نقلة النفوس (التقمص) التي كانت ظاهرة غريبة في الكبّالية النظرية. وألمح كتاب (الظهور) عن نقلة النفس في (III ٢١٥ b و ٢١٦ A) تلك الظاهرة التي نادى بصحتها فلاسفة اليونان: فيثاغورس سقراط وأفلاطون الخ. واعتنقتها الهندوكية، وأخيراً جهر بها مستنداً على دراسات علمية وتَقَصٍّ شاق: علماء الروح المعاصرون.

ما دام لكل عقيدة مناهضون من صميمها، كذلك الحال في الكبّالية:

١ ـ يعقوب فرانك مفكّر إسرائيلي: صرح برفضهِ كلَّ شريعة وبدعة، وقال: «خُلق الإنسان لكي يسعد ويغنم مسرات الأرض. فعلى اليهودية بشيعها أن تتمتع بانفتاح، وحرية، وتفكير في حياتها اليومية، غير مرتقبة مجيء مسيحها».

٢ ـ إن اليهودية بعد عام (١٨٨١) نقضت كثيراً من تعاليم ديانتها، وعادت

إلى روح التسلط والعنف، بانبثاق الصهيونية، تلك الفرقة القائمة على فلسفة «نيتشه» وفي هذه الحال استمر معظم الكبّاليين ملتزمين بتعاليمها، مسترسلين في انخطافهم الروحي السليم. وجاء المفكر الكبير: (برنيشْ فْسْكي، Bernich Vsky) يعلن أن الإنسان هو نفسه عين الخليقة، وأن إرادة الإنسان هي بالحق: إله الخليقة.

٣ ـ غير أن الماسونية. وأشياع «الصليب الوردي»، اتخذوا من معتقد «الكبّال» كثيراً من العبارات، أضافوا إلى خططهم السرّي. والكبالية المسيحية لا تختلف عن اليهودية إلا في مرجعها إلى يسوع وحده.

وقيل عن المُلهَم الألماني (إ. لوريا I. Luria) المولود عام (١٥٣٤)، أنه كان يسمع همهمات النفوس في المياه الغالية، ويسمع تحركات الشجر وذبذبات اللهب. ثم له الاتصال ـ بعُرفه ـ بإيليا ويسوع.

هناك جماعة من صُلب الكبال، متطرفون في الانخطاف (الحسِّيديون، Les Hassi). يتحملون الإهانات والعذاب حتى الاستشهاد بفرح، ذلك لِمجد الله.

ملخص ديانة إسرائيل

في هذه العقيدة، قبل أن تترسخ وتتطور، تناقضات، وباطن رهيب وما يزال.

اعتمدت التوراة (العهد القديم) كتاباً سماوياً، وإبراهيم الخليل مؤسس الشريعة الأول.

سلبوا الكنعانيين معتقداتهم وبعض طقوسهم. حتى كانت الهجرة لمصر، والمضايقات هناك، وترحال موسى وجماعاته وضياعهم في صحراء التيه ونزول الوصايا العشر وموت موسى (قتلاً).

آمنوا بـ (يهوه) إلهاً محارباً، متعايشاً معهم، وهو القائل: «سأدمر كل الشعوب التي تقف بوجه اليهود».

دخل اليهود فلسطين، وأسسوا مملكتهم بعد حروب طاحنة فيما بينهم، وكان داود ومزاميره. ثم سليمان وبيت المقدس. لهم ثالوث إلهي مقدس هو: «يهوه، والشعب الإسرائيلي، والأرض المقدسة». كما لهم الكتاب المقدس ويحوي: التوراة وأقوال الأنبياء ومخطوطات الكَتَبة. ثم أوجد حكماؤهم لهم: التلمود. نادوا بيهوه إلهاً واحداً أحداً، وبان الإنسان مكوَّن من جسد فانٍ ومن روح تستقر تحت التراب إلى يوم بعثها، ومقاضاتها، إمّا تسير إلى السماء وطبقاتها أو إلى جهنم.

فُرض عليهم الصيام في أيام خاصة من السنة. ولهم عيد رأس السنة

العبري في ذكرى نزول التوراة، كما لهم أعياد غيرها. لدى توطّد دولة إسرائيل، شاع في شعبها الفسق والفساد على أنواعهما. فهب المصلحون فيهم، وهم أنبياء المستقبل، وعظوا وهدوا، وعبثاً أفادوا. منهم عاموس وأشعيا وأمليخا. آمن اليهود بالملائكة ومَهامِّها الكريمة، وبالشياطين ومعاصيها وإغراءاتها، وبالمسيح أنه ممسوح بزيت البركة، كان قبل الخليقة، ولم يجىء بعد ولم يُصلَب. تأثرت اليهودية بالتيارات الفكرية المستجدّة، فطور حكماؤها العقيدة بمقتضى الزمان. وكان منهم المؤمن بها، والعامل على تطويرها، وكان الرافضون على أنواعهم، واختلاف مدارسهم. منها:

أ ـ **شهود يهوه**: آمنوا بالروح القدس كقوة فعالة للإله يهوه. اعتصموا بتعاليم وحرفية الكتاب المقدس، وبأن يسوع غير الله، مستشهدين بكلامه: «أبي أعظم مني». وهناك ثواب وعقاب.

ب ـ **الكبالية**: آمنت بيهوه إلهاً فائق القدرة، وبالكون: ومضات من كيانه. ثمَّ استهدفت معارف باطنية تعدت المدارك. وآمنت بالمسيح أول المخلوقات، وبالملائكة وبالأسفار، وبتأثير النجوم على أجساد البشر.

ج ـ **الأسينيّة**: اعتمدت يوحنا المعمدان، ونقضت تعاليم اليهود ومفاتنهم، وآمنت بيسوع مخلصاً وبيهوه إلهاً حقاً واحداً. يعني اسمهم بالعبرية جماعة الله. تجمعوا أخويات على شاطىء البحر الميت. وكانوا زاهدين صابرين موحدين. أنس بهم يسوع وأحبهم وقَدَروه. تميزوا بالصدق والحق والورع والإيمان بخلود الروح وبصحة المقدر لها. ثم انصهروا في مذاهب شتى.

ويبقى الحديث مفتوحاً وشهياً حول هذه الديانة لما تعلّق بها من فرق ومذاهب ولما تعرّضت لتقلّبات وتغيّرات فرضت نفسها على الشرق إلى جانب الديانات الأخرى ونحن قد أحطنا بالموضوع الإحاطة المطلوبة وذلك انسجاماً ومنهجية العمل المقدم.

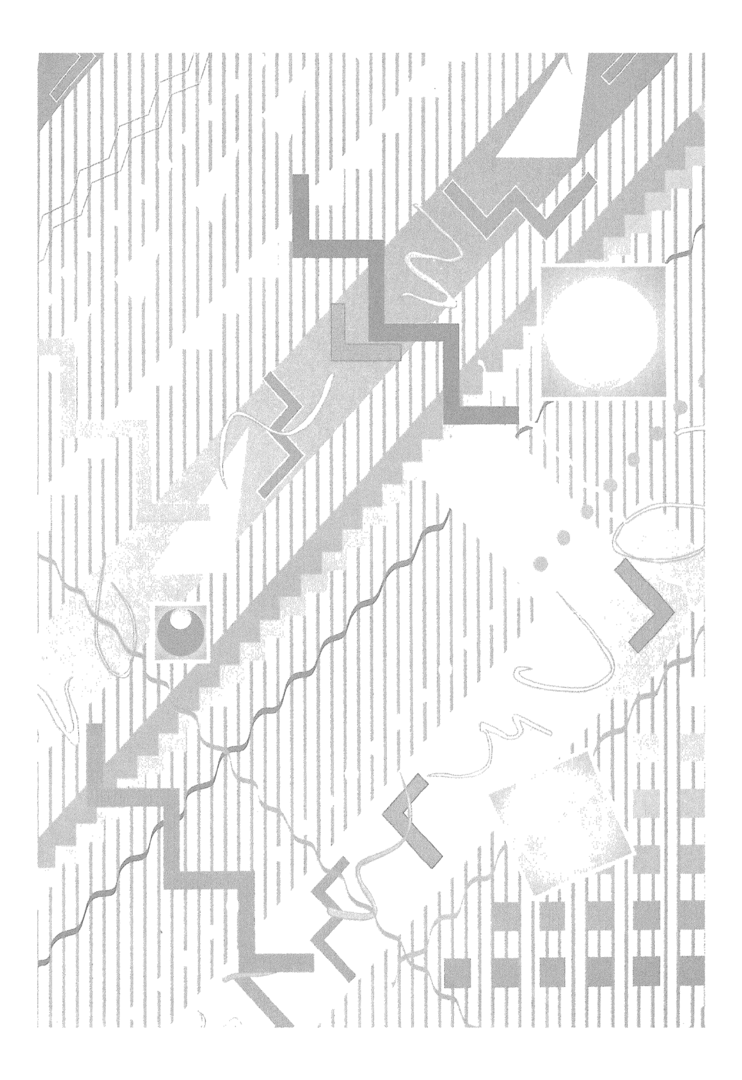
مختصر لأهم
المصادر والمراجع التي اعتمدت

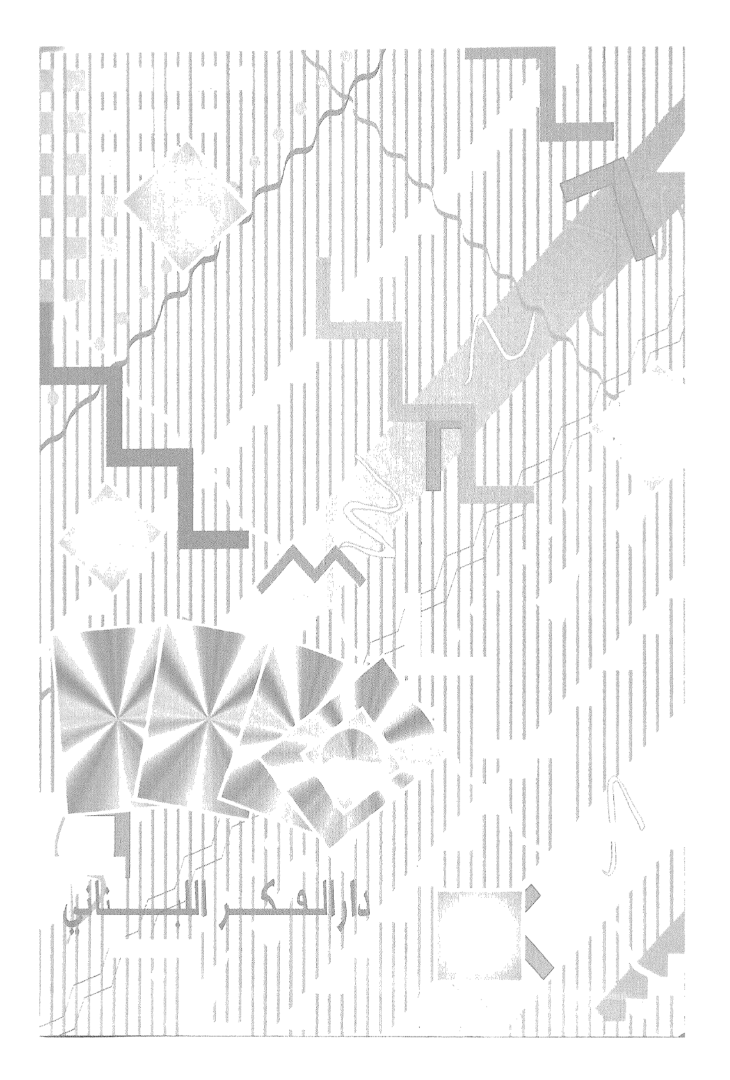
- القرآن الكريم .
- العهد القديم .
- قصة الحضارة ول ديورانت .
- موسوعة الأديان الأخرى، دار الكتب المصري .
- التلمود .
- اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية .
- تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدّامة محمد عبدالله عنان .
- بروتوكولات حكماء صهيون .
- التوراة، تاريخها وغاياتها، سهيل ديب
- التوراة بين الوثنية والتوحيد سهيل ديب دار النفائس .
- الكامل في التاريخ - لابن الأثير .
- تاريخ يهوه - جورجي كنعان .
- الستار الصهيوني حول أميركا الترجمة العربية جون بتي .
- Encyclopédie Journal.
- Guignebert: the Jewish World in the time of Jesus.
- Franit Briton: Bettid Gemmunism
- Kirk: A. Short History of the Middle East.

فهرس الموضوعات

١ - العهد القديم


مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٢٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣




دار الفكر اللبناني

تقدم دار الفكر اللبناني للقارىء العربي موسوعة الأديان السماوية والوضعية في أجزائها السبعة، وذلك للتعريف بصورة موضوعية بالديانات السماوية المتلقاة وحياً وهي اليهودية والمسيحية والإسلام، وللإحاطة بالديانات والمعتقدات الوضعية، الحيّة والقديمة والتي نشأت وعُرفت في الشرق مهد الديانات والحضارات.

إن إعادة الاعتبار للمسألة الدينية والاعتقادية على مختلف المستويات، وفي نهاية القرن العشرين، لأمر بالغ الأهمية، سيّما وأن الدراسات المقارنة للأديان والمعتقدات بلغت ذروتها. إن المثقفين اليوم منكبون على نوع من الدراسات كهذا، ومنكبون أيضاً على دراسة الأديان ليس فقط عن طريق المقارنة بينها، بل أيضاً عن طريق دراستها من حيث طبيعتها الخاصة.

أضف إلى ذلك أن ظهور ما يُسمّى بعلوم الأنتروبولوجيا والأثنولوجيا والأركيولوجيا وغيرها، وإسهامات هذه العلوم في كشف وتفسير وفهم بعض خفايا السلوك البشري اليوم، أدى إلى إعادة الاهتمام بالمسألة الدينية حتى في المجتمعات الأكثر علمانية.

إنّ ما تقدمه هذه الموسوعة هو قراءة تاريخية موضوعية لمختلف الديانات والمعتقدات التي كانت سائدة ولا تزال، وذلك مواكبة منها للمستجدات المطروحة. وهي تحرص كل الحرص على أن تبتعد عن التقويمات والتحليلات، متوخية الدقة والأمانة في عرضها وتعريفها لما تقدمه.

موسوعة الأديان السماوية والوضعية

١ ـ ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة.
٢ ـ الديانات الوضعية الحيّة في الشرقين الأدنى والأقصى
٣ ـ الديانات الوضعية المنقرضة.
٤ ـ أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام.
٥ ـ الديانة اليهودية.
٦ ـ الديانة المسيحية.
٧ ـ الديانة الإسلامية.

دار الفكر اللبناني